صَـرْخَـاتٌ
فِي الْهَوَاءِ الْمُلَوَّثِ

يصرخُها نيابة عن الصّارخين :
محمد ابراهيم مصطفى
(أبو إسلام)

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الأولى - القاهرة

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

تُطْلَبُ الْكُتُبُ مِنْ مَكْتَبَة وَهْبَه ١٤ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة ٣٩١٧٤٧٠

أو من المؤلف : ١٧ ش عبد العزيز جاويش - المهندسين ت ٣٠٢٨٣٨٩ - ٣٠٥٢٤١٦ موبايل : ٠١٠١٤٦٧٠٣٩

الغلاف من تصميم المهندس :

علاء الدين محمد ابراهيم

الإهـــــداء

إلى الذين يصرخون وتضيعُ صرخاتُهم في تلوّث الهواء .
وإلى الذين يكتمون صرخاتِهم في صدورِهم خوفًا من الاعتداء .
وإلى المرضى الذين لا يجدون الدواء .
وإلى من لجأوا إلى القانونِ فأُوذُوا شرَّ إيذاء .
وإلى من تخدعُهم كلماتُ المديحِ والإطراء .
وإلى من يخلصون ولا يجدون التقديرَ أو الثناء .
وإلى شبابِ الانتفاضةِ ، أبطالِ التضحيةِ والفداء .
وإلى رجالِ (حماسٍ) الفدائيين الأشدّاء .
وإلى المناضلين وأرواحِ الشهداء .
وإلى من خدعهم رفاقُ السلاحِ والشركاء .
وإلى الأحرارِ الذين تحوّلوا إلى سُجَنَاء .
وإلى من تحوّلَ أصدقاؤُهم إلى أعداء .
وإلى الْمُعَذّبينَ من الشُّرَفَاء .
أُقدّمُ كتابي هذا لعلّه عَزَاء .
حتى ينصرَ اللهُ الحقَّ ويُزيلَ البلاء .

الكاتب

المُـــقَـــدِّمَـــةُ

لا تتعجَّبْ أيها القارئُ إن وجدتَ صرخاتك قد تبدّدتْ في الهواءِ الملوَّث ولا تسمعُها أُذُنٌ ، فقد أُصيبت الآذانُ بالصَّمَم !!

ولا تندهشْ إذا تألّمتَ ولم تجدْ مَنْ يخففُ عنك الألم !!.. فلا حياةَ لمعظمِ الناسِ ، بل هم في عَدَم !!

ولا تحزنْ إذا اختفت المروءةُ وخَرُبَتْ الذِّمَم !!.. ولا تبتئسْ إذا اختفت الشجاعةُ وتقاعست الهمَم !!.. فنحن في أيام مؤسفَة ، الظنونُ فيها مُختلفَة .. وصدق اللهُ تعالى إذ يقولُ : (أَزِفَتِ الآزِفَةُ ، لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ) !!.. " ٥٧ – ٥٨ النجم "

ولا تيأسْ من رحمة الله ، إذا وجدتَ أعداءَ الله وقد عاثوْا في الأرض فسادًا ، وأنَّ أنصارَ الحقِّ يصيرون أشلاءً ورمادًا .. وإذا رأيتَ الباطلَ يعلو ، والحقَّ يخبو ، ولتعلمْ بأن اللهَ يعلمُ حيث يضعُ رسالتَه ، ولْتَثقْ بأنَّ كلَّ أزمة ، لله فيها حكمة !!.. وأنَّ له في كلِّ شأن أمرًا ، وإنَّ مع العسرِ يُسرًا !!..

رحمَ اللهُ الفضائلَ ، ورحمَ أصحابَها .. فلقد انتشرت الرذائلُ ، وكثر أحبابُها .. ولم يَعُدْ لأصحاب المبادئ مكانٌ ، وعزَّ الإخلاصُ في هذا الزمانِ .. والوفيُّ في هذه الحياة تاهَ ، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله !!..

إذا تأملتَ الناسَ من حولك ، فسيخيبُ ظنّك وينتهي حُسْنُ أَمَلك .. فقد سيطر الخبثاءُ على الأمورِ ، واختفى الشرفاءُ في الجحورِ ، وضاعت حقوقُ المظلومين بين الذئابِ والنمورِ !!..

وإذا لجأ المظلومُ إلى محكمة ، في شكاية أو مظلمة ، فستشيبُ رءوسُ أحفاده ، قبل أن تظهرَ العدالةُ والمرحمةُ .. وإذا تخاصم الصغيرُ مع الكبير ، فالسجنُ للحقِّ وبئسَ

المصير !!..

إن المعاييرَ المقلوبةَ التي رأيتُها ، والأكاذيبَ التي سمعتُها ، والمظالمَ التي عايشتُها ، جعلتني أُؤْمنُ بمقولَة ، إن العالَمَ اليومَ يعيشُ في جاهلية أشدّ ضررًا من الجاهلية الأولى .. فالنظامُ القَبَليُّ قد تجسّمَ في النظامِ الدّولي ، وأصبحت الدولةُ القويّةُ تقهرُ غيرَها باسمِ حماية الحرّية .. ويُضْطَهَدُ أصحابُ الرأيِ والدِّينِ ، باسمِ حماية المواطنين .. ويُؤْتَمَنُ الخونةُ والعملاءُ ، ويُسْجَنُ المخلصون والشرفاءُ .. وإذا قيلَ رأيٌ للصالحِ العامِ ، أوّلوه وحوّلوه إلى اتّهامٍ .. وإذا شكوتَ إلى مسئول ، فلا سميعَ لما تقول .. ولك الجحيمُ أنت ومن تعول .. أما إذا كنتَ صاحبَ أموال ، فسوف تتغيّرُ لصالحك الأحوال ، وتصبحُ مُقَرّبًا لأشباهِ الرجال .. وسيسرعُ إليك المسئولُ ، ويستجيبُ لك قبل أن تقولَ .. ويتجمّعُ حولك المنافقون ، يمدحون ولك يهتفون ، وبعباراتِ الكذبِ يقولون .. بالروحِ والدّم نفديك يا فلانُ ، وعند الخطرِ يتحوّلون إلى فئرانٍ ، فلا بالروحِ يحمون ، ولا بالدّمِ يفتدون ، وتراهم للغنائمِ يجمعون ، وبالأموالِ يهربون ، وهم في الحقيقةِ لك يكرهون ، ولمالك أو سلطانك يحسدون .. وعندئذٍ يعرفُ أصحابُ الأموالِ أو المناصبِ أنهم واهمون !!..

لهذا رأيتُ أن أترجمَ في هذه الصرخاتِ بعضَ هذه الصورِ ، وما انتشر من ألوان الأذى والضّررِ .. لعلنا يومًا نُفيق ، ونعرفُ العدوَّ من الصّديق .. ونعيدُ الحقَّ إلى أصحابه ، ونمنحُ الْحُبَّ لأربابِه .. ونزرعُ الخيرَ في كلّ مكان ، لنعيشَ كما أراد اللهُ لبني الإنسان !!..

محمدابراهيم مصطفى

(أبو إسلام)

برافو برافو ياريّـــس !!..

برافو ياريّس مبارك !!.. فقد أثبتَّ أنَّ مصرَ هي دائمًا وأبدًا بلدُ المبادئ والأخلاقياتِ ، ومواقفِ الشهامةِ والرجولةِ والمروءةِ وقتَ الشدائدِ والملمّات !!

وأكبرُ دليلٍ على ذلك ، هذه المواقفُ المبدئيّةُ الحاسمةُ والواضحةُ من الأزمةِ الفلسطينيةِ الإسرائيليةِ الأخيرةِ ، قبيل اجتماعِ مؤتمرِ القمّةِ العربيةِ في بيروت ، عندما رفضتَ حضورَ المؤتمرِ وأبديتَ اعتراضَك الواضحَ واحتجاجَك على المواقفِ المشينةِ لشارون بالنسبةِ لسفرِ الرئيسِ عرفاتٍ لحضورِ مؤتمرِ القمةِ العربيِّ ، كما دلّلتَ على بُعْدِ نظرِك المعهودِ ، عندما نصحتَ الرئيسَ عرفاتَ بعدمِ السفرِ إلى بيروت ، حتى يُفوِّتَ على شارون انتهازَ الفرصةِ ، واحتمالَ ضربِ مقرِّه في رامَ الله ، وعدمِ السماحِ لعرفات بالعودة ، والحمدُ لله فقد نجحتْ نصيحتُك ، وحققتْ هدفَها مما أفقد شارونَ توازنَه العقليَّ ، فراح يضربُ هنا وهناك بلا عقلٍ ولا رويةٍ ، تمامًا كمن فقد عقلَه واتزانَه ، مما جعل بعضَ حكوماتِ العالمِ ومعظمَ الشعوبِ ، تعيدُ النظرَ في تقييمها للسياسةِ الإسرائيليةِ القائمةِ على العدوان ، ولقد كان موقفُك الحازمُ من رفضِ السفرِ إلى مؤتمرِ القمةِ سببًا في وضعِ الإدارةِ الأمريكيةِ في حرجٍ شديد ، وأظهرها في الصورةِ الحقيقيةِ التي تكشفُ ضعفَها أمام الضغطِ اليهوديِّ عليها ، مما أفقدها المصداقيةَ أمام العالمِ فيما تدّعيه عن الحريةِ والديمقراطيةِ وحقوقِ الإنسان ، وأصبحتْ أمام الجميعِ تكيلُ بمكيالين مختلفين ، بل بمكاييلَ متعدّدةٍ تُبْنَى على أساسِ مصالحها ، وانحيازها الكاملِ لصالحِ إسرائيلَ المعتدية ، ولقد بدأتْ فعلاً بعضُ الشعوبِ تُمارسُ الضغوطَ على حكوماتِها للتحرّرِ من التبعيّةِ العمياءِ لأمريكا ، وقد تجلّى ذلك بوضوحٍ في المظاهراتِ العديدةِ في أنحاءِ العالمِ ضدَّ الولاياتِ المتحدةِ وسياستِها المنحازةِ لإسرائيلَ ،

كما بدأت موجةٌ جديدةٌ للتعاطف مع الشعب الفلسطينيّ وقضيّته !! كما حدث لأوّل مرة تغييرٌ نسبيٌّ في موقف الولايات المتحدة في مجلس الأمن ، ولم تستخدمْ الفيتو التي اعتادت أن تستخدمَه لإفشال أيِّ قرارٍ بإدانة إسرائيلَ ، بل وقدّمت مشروعَ القرار الذي يطالبُ إسرائيلَ بالانسحاب الكاملِ من أراضي السلطة الفلسطينية ، وهذا في حدِّ ذاته يُعَدُّ ردَّ فعلٍ لجهود مصرَ وقيادة مصرَ !.. كما كان موقفُك الحازمُ بوقف جميع الاتصالات مع إسرائيلَ دافعًا لأن تُعيدَ الولاياتُ المتحدةُ الأمريكيةُ النظرَ في مواقفها الشاذة من القضية الفلسطينية ، ومطالبة إسرائيلَ بالانسحاب الفوريِّ من أراضي السلطة الفلسطينية .. وإن كنا نتمنّى قطعَ العلاقات مع إسرائيلَ وطردَ سفيرها من بلادنا ، وإلغاءَ معاهدة كامب ديفيد ، ولكننا نتركُ لكم اتّخاذَ القرارِ المناسبِ كما ترونَ ، فأنتم أدرى منا بالسياسة الخارجية وما تقتضيه المصلحةُ العليا لبلادنا !!..

كما نصفّق لك ياريّس ، لموقفك الرائع من عدم استقبالك لوزيرِ الخارجية الأمريكي " باول" تعبيرًا عن استيائك لموقف الولايات المتحدة الأمريكية المتحاز لإسرائيلَ .

إنّ هذه المواقفَ المبدئيّةَ الواضحةَ التي أبديتَها يا رئيسَ مصرَ ، كذّبَتْ تلك الشائعات المغرضةَ التي تنشرُها الأقلامُ المأجورةُ والدّعاياتُ المسمومةُ ، بأنّ مصرَ وقيادتَها تخضعُ للضغوطِ والتهديدات الأمريكية ، وأثبتَّ أنّ مصرَ هي صاحبةُ قرارِها ، ولا تخضعُ لأحدٍ ولا تحني هامتَها لأحد ، وأنّ قيادتَها تُحسُّ بنبضِ شعبِها وتُترجمُ مشاعرَه بكلّ شجاعةٍ وحكمةٍ ، في كلّ المواقفِ وفي اتّخاذِ القرارات !!..

وإزاء ذلك لا يسعُنا إلاّ أن نقولَ لك .. نحن معك بقلوبنا ، وأيدينا في يديك ، ونؤيدُ مواقفَك المشرّفةَ ، كما نقولُ لك : **برافو برافو يا ريِّس !!..**

شُكْرًا لشارون .. وشُكرًا لِبُوشْ !!..

أما شكري لشارون ، فلأنه أوضح بجلاء لكلّ المتخاذلين والمستسلمين ، والمتفاوضين والمتفائلين ، أنّ اليهودَ هم اليهودُ منذ أيامِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم ، وحتى اليومِ الذي مازلنا فيه نحلم !! ولقد ذكّرَنا بإجرامه ودمويّته وعدوانه ، بقول الله عزَّ وجلّ [لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا] " ٨٢المائدة "... فإذا كان ذلك هو قولُ الله سبحانه وتعالى [وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً] ؟؟ " ١٢٢النساء ".. وإذا استعرضنا تاريخَ اليهودِ منذ عهدِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم وحتى اليومِ ، فسوف نرى أنّ الغدرَ من طبعهم وأنه لا عهدَ ولا أمانَ لهم ، وإذا رجعنا بالذاكرةِ لوجدنا أنّ جميعَ قادتهم ابتداءً من بن جوريون وجولدا مائير ، وحتى شامير ونتن ياهو وباراك وشارون ومن سيأتي بعدهم ، كلُّهم أشرارٌ وسفّاحون ، وسياساتُهم الغدرُ والأكاذيبُ ، وإن اختلفوا في الأساليب !!..

أما شكري لبوش ، فلأنه كشف عن الوجه الحقيقيِّ القبيحِ للعبدِ الأمريكيِّ الجديد للسيِّد الإسرائيليِّ الجديد ، وبانحيازه الواضحِ والكاملِ لإسرائيلَ ، ووصفه شارون بأنه رجلُ سلامٍ ، فقدكشف للعالمِ كلّه أنّ الشعارات الأمريكيةَ البرّاقةَ عن الحرّية والديمقراطيةِ وحقوقِ الإنسان ، والتي خدعتْ بها العالمَ ، ما هي إلاّ سرابٌ ، فهي باسمِ البناءِ والتعمير ، تشنُّ حملاتِ الخرابِ والتدمير .. وباسمِ حقوقِ الإنسانِ ، تقتلُ وتُذلُّ بني الإنسان !!.. فبينما تنقلبُ الدنيا إذا قُتِلَ أو أُصيبَ كلبٌ في بلادها ، لا تشعرُ بالأسَى أو الألمِ إذا قتلوا ملايينَ الأطفالِ والنساءِ والشيوخِ في بلادِ غيرِها ، وهذه الازدواجيةُ في الأخلاقيات ليست من شيَمِ الإنسان !!.. فالأخلاقُ لا تتجزّأُ .. فحقوقُ الإنسانِ يجبُ أن تشملَ جميعَ بني الإنسانِ ، مهما اختلفتْ الجنسياتُ والألوانُ

والأديانُ .. والله تعالى يقولُ : [يَأَيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إنَّ اللهَ عليمٌ خَبيرٌ] " ١٣الحجرات " !!..

ولعلَّ العربَ والمسلمين الذين قَضَوْا عشرات السنينَ يتفاوضون ويُحادثون ، ولأعدائهم يُصافحون ويُصادقون ، وبالتطبيعِ مع العدوِّ ينادون ، وعند المصائبِ لا يتحرَّكون ، وببيانات الاستنكارِ والشَّجبِ يكتفون ، وللأموالِ يكترون ، وللأسلحة يشترون ويخزنون ، ولكنهم لهذه الأسلحةِ لا يستخدمون ، لعلَّهم من غفلتهم وتخاذلهم يُفيقون !!.. ولكرامتهم يثأرون ، ولصفوفهم وكلمتهم يُوحِّدون ولإخوانهم في الحقِّ يُساندون !!.. وإذا كانوا لهذه المبادئ لا يفهمون ، فأكرمُ لهم أنّهم للقيادةِ يتركون ، وعن شعوبهم وبغيرِ رجعةٍ يرحلون !!.. قبل أن تدورَ عليهم الدوائرُ ، وتتغيّرَ لهم المصائرُ !!

كم بُحَّتْ أصواتُنا !! وتعالتْ صيحاتُنا !! وتكرّرتْ نداءاتُنا للحكّامِ العربِ ، وهم لأصواتنا لا يسمعون ، ولصيحاتنا يتغافلون ، ولنداءاتنا لا يكترثون !!.. حتى أخرستهم أصواتُ الصواريخِ والمدافعِ .. وامتلأتْ العيونُ بالمدامعِ .. وصال وجال العدوُّ بالجرائمِ والشنائعِ !!.. وله الحقُّ ، فليس أمامه من متصدٍّ ولا رادعٍ !!..

كم حذّرناكم ياقادةَ العربِ ونبّهناكم وناشدناكم !!.. ولم تُصدِّقونا !! ولقد نجح شارون كما نجح بوش ، في أن يُقنعَكم بما فشلنا نحن فيه ، ولعلّهما أقنعاكم الآن !!.. ولهذا فإنني من كلِّ قلبي أقولُ :

شُكْرًا لشارون !! وشُكْرًا لبوش !!..

بكلّ الصِّدقِ والحبِّ ،

من مواطن ...إلى السيد رئيس الجمهورية !!..

السيد الرئيس محمد حسني مبارك .. رئيس الجمهورية ..

إنـــها كلمةُ حقٍ لابدَّ أن تُقالَ ، وسأقولُها ، وأُسلّمُ أمري إلى الله !!.. وكم أتمنى أن تصلَ إليك ، وأن تقرأها !!.. لأني أثقُ بلا حدودٍ في إخلاصِك ووطنيتِك وحبِّك لمصرَ وشعبِ مصرَ ..

وبدايةً أقولُ : إنني أُحبُّك ولا أخافُك .. وأحترمُك ولا أنافقُك .. وأُقدّرُك ولا أُجاملُك .. وأصْدُقُك القَوْلَ ولا أَكْذبُك ..وأُبيّنُ لك الحقَّ ولا أُزيّنُ أمامَك الباطلَ .. فهذه أمانةٌ يجبُ أن أُؤدّيَها .. وبصدقٍ لابدَّ أن أُبديَها ..

أما أنني لا أخافُك ، فلأنني أخافُ اللهَ وحدَه .. وأما أنني لا أُنافقُك ، فلأنني لا أُحبُّ أن أكونَ في الدّرْكِ الأسفلِ من النارِ ، وهو مَثْوَى المنافقين ..

(إنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا)
" ٤٥ النساء "

وأما أنني لا أجاملُك ، فلأنني لا أطمعُ في عطاءٍ لديك ، **فاللهُ عندَه أعظمُ العطاء**

وأما أنني أصْدُقُكَ ولا أَكْذبُكَ ، فلأنني أطمعُ أن أُكْتَبَ عند الله صدِّيقًا ولا أُكْتَبَ عندَه كَذَّابًا ..

وأما أنني أُحبُّكَ فلأنك بما قدّمتَه في حربِ أكتوبر المجيدة ، بتخطيطك وتوجيهك لنسورِ الجوِّ الأبطالِ ، وقضائك على أسطورة جيشِ العدوِّ الصهيونيِّ الذي لا يُقْهَرُ ، وتحطيمِ خطِ بارليف المنيعِ ، قد أعَدْتَ العزَّةَ والكرامةَ لمصرَ والمصريين ، وكذلك لجميعِ العربِ الذين كانوا قد فقدوا الأملَ في استعادةِ الأرضِ والعرْضِ ، والكرامةِ

والشرف .. وجعلتَ العالمَ يُعيدُ حساباته في تقديرِ الجيشِ المصريِّ وقدرته وفدائيته .. والذي وصَفَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم جنودَه بأنهم (خيرُ أجنادِ الأرضِ) ولو لم يكنْ لك من الإنجازاتِ إلاّ انتصارُ أكتوبر ، لكان ذلك كافيًا لأن تعتزَّ وتفخرَ به ، ويعتزَّ به المصريون والعربُ !!..

وأما أنني أحترمُكَ ، فلأنك بدأتَ رئاستَكَ لمصرَ بأعظمِ قرارٍ إنسانيٍّ ، دلَّ على ما بداخلك من حبٍ وتسامحٍ ، وإيمانٍ بالديمقراطية ، ذلك القرارِ بالإفراجِ عن جميعِ المعتقلين السياسيين ، الذين كان منهم الوطنيون المخلصون ، والشيوخُ والمُسنّون ، وكبارُ رجالِ الدِّينِ من المسلمين والمسيحيين ، وأتحْتَ لهم حريةَ التعبيرِ التي مازالوا يمارسونَها حتى اليوم !!..

وأما أنني أُقَدِّرُكَ ، فلأنك أَقَمْتَ في عهدك ما لا يستطيعُ أحدٌ أن يُنكرَه من إنجازاتٍ ومشروعاتٍ عملاقةٍ تخدمُ المجتمعَ المصريَّ ، ولأنك تمضي في طريقِ السلامِ بخُطىً ثابتةٍ وبمبادئَ واضحة ، وتنبذُ الحروبَ التي لا نجني من ورائها إلاّ الدّمارَ والخرابَ .. ولأنك تمارسُ السياسةَ الخارجيةَ بأسلوبٍ عقلانيٍّ وموضوعيٍّ هادئ ، لا بأسلوبِ العنجهيةِ والصّيحاتِ العنترية ، التي لم نَجْنِ منها إلاّ الهزيمةَ التي مازلنا نعاني منها حتى اليوم !!..

وللمواقفِ المبدئية الثابتة والمروءةِ المصرية التي تجلَّتْ في مواقفك الشُّجاعة والصادقة من الأزمةِ الفلسطينية الإسرائيلية الأخيرة ، ومناصرتك للشعبِ الفلسطينيِّ المناضلِ ، هذه المواقفُ التي أكَّدتْ أنَ مصرَ هي صاحبةُ قرارِها ، وأنّها لا تخضعُ لأحدٍ !!..

وأما أنني أَصْدُقُكَ ولا أَكْذِبُكَ ، فلأنني أُؤْمِنُ بأن الدّينَ النصيحةُ ، وهي واجبةٌ لله ورسوله ولأُولي الأمْرِ منّا ، وعلى كلِّ مصريٍّ مخلصٍ لوطنه أن يُقدِّمَ النصْحَ لِبَني وطنه ، مهما كانت مواقعُهم ، ومهما اختلفتْ مناصبُهم .

وأما أنني أُبيِّنُ لك الحقَّ ولا أُزَيِّنُ أمامَك الباطلَ ، فلأن الله تعالى يقولُ :
(قَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ . إنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً) .. ٨١ الإسراء .

وكلمةُ الحقِّ لا خيرَ فينا إذا لم نَقُلْهَا ، ولا خيرَ في الحاكمِ إذا لم يَقْبَلْهَا !!..

وأُذَكِّرُكَ بأميرِ المؤمنين "عمرَ بنِ الخطّاب" رضي اللهُ عنه ، حين خطبَ في الناسِ فقالَ :(إن أحسنتُ فأعينوني ، وإن أسأتُ فقوِّموني) فقام أحدُ المسلمين وقال : والله لو وجدنا فيك اعوجاجًا لَقَوَّمْنَاهُ بسيوفنا يا عُمَرُ !!.. فقال عمرُ :
(الحمدُ لله الذي أوجدَ في المسلمين مَنْ يُقوِّمُ اعوجاجَ عمرَ بالسيفِ) !!..

ونحمدُ اللهَ تعالى أننا رأينا فيك ما يُطمئننا على أن أمرَ وطننا في يدِ قيادةٍ وطنيةٍ وأمينةٍ !

ولكنَّ هذا لا يمنعُ من أن تكونَ هناك بعضُ السلبياتِ والتجاوزاتِ ، التي قد لا يجرؤُ أحدُ المستشارين أو المحيطين بكم ، أن يَطْلَعَكُمْ عليها لسببٍ ما ، أو ربما كان هناك مَنْ يتعمّدُ حَجْبَ " بعضِ " الحقيقة الْمُرّةِ عنكم ، وفي ذلك بلاءٌ كبيرٌ .. لأنه يُؤدّي إلى عدمِ إدراككم بدقةٍ لما يحدثُ من سلبياتٍ وتجاوزاتٍ ، مما يؤدّي إلى زعزعةِ ثقةِ المواطنين في صدقِ إخلاصِكم .

وأرجو يا سيادةَ الرئيسِ أن تلتمسوا ليَ الْعُذْرَ في هذه الجرأة ، والصراحةِ المطلقةِ ، وألاّ تؤاخذوني في إبدائها .. فالأمرُ لا يتعلّقُ بمصيرِ شخصٍ ، بقدرِ ما يتعلقُ بمصيرِ وطنٍ ، وثقةِ شعبٍ ، ومصداقيةِ رئيسٍ للدولةِ .

سيادةَ الرئيس .. أنا لا أنتسبُ إلى جماعة من الجماعات ، ولا أنتمي إلى حزْبٍ من الأحزاب ، وولائي أوّلاً وأخيرًا لله وحدَه ، ثم لوطني وأهلِ وطني .. وما يأمرُني به ربّي أمتثلُ له ، وما يقتضيه واجبي نحوَ وطني أعملُ به .. ووطنيتي هي لله عبادتي !!..

وقد رأيتُ من واجبي كمواطنٍ مصريّ يُحبُ وطنَه ، وكفدائي سابقٍ اشترك في مقاومة الاحتلال الإنجليزيِّ في منطقة القناة في عام ١٩٥١ وفي عام ١٩٥٣ وفي مقاومةِ العدوانِ الثلاثيِّ على مصرَ في عامِ ١٩٥٦ ، أن يكونَ لي رأيٌ فيما أراه يحدثُ من حولي ، وفيما أسمعُه مما يتردّدُ على ألسنة المواطنين في بلدي ، وما أقرأُ عنه في الصحف .. كما رأيتُ أن أُقدِّمَ النّصحَ الواجبَ ، والذي أمَرَنا به رسولُنا الكريمُ محمدٌ صلى اللهُ عليه وسلم ، لأولي الأمرِ منّا .

وكما ذَكَرْتُ من قَبْلُ ، فإنني أُحبُّكَ ولا أخافُكَ ، لأنني أخافُ اللهَ وحدَه ، فهو الذي خلقني وخلقَك ، وهو الذي حَمَّلَكَ أمانةَ حُكْمِ الشعب ، وحَمَّلَنا أمانةَ المبايعةِ والطّاعة والصّدق والنّصحِ لك ، وهو الذي سيحاسبُنا ويُحاسبُك ، ويومَ الحسابِ لن يشفعَ لنا أهلونا ولا أصدقاؤنا ، ولن يشفعَ لك وزراؤك ولا مستشاروك ، يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلاّ مَنْ أَتَى اللهَ بقلبٍ سليمٍ !!..

سيادةَ الرئيس .. ربما يحاولُ البعضُ تأويلَ حديثي إليك بأنه تطاولٌ ، أو أنه خروجٌ عن اللياقة والمألوف .. أمّا أنا فأراه أمْرًا بالمعروف .. فإذا نجحوا في تأويلهم ، فَيَاوَيْلَهُمْ ، وإن أخلصوا النقلَ والتعبيرَ ، فَطُوبَى لهم !!.. أمّا أنا ، العبدَ لله ، الفقيرَ إليه وليس لأحد سواهُ .. فسأتوكّلُ على الله ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ باللهِ ، وحسبيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ .. وسأذكرُ لك بعضَ ما يتردّدُ من التعليقات والأقاويلِ .

يتساءلُ المواطنون .. وأنا واحدٌ ممن يتساءلون ..

* لماذا نعيشُ كلَّ هذه السنوات الطويلة في عهدك تحتَ وطأة قانون الطوارئ ؟!..

* لماذا كانت تُزَوَّرُ انتخاباتُ مجلسَيْ الشعب والشورَي في كلّ دورة ، باستثناء الدورة الأخيرة ؟!..

* لماذا لا يلتزمُ مجلسُ الشعب بأحكامِ القضاء التي تقضي ببطلان عضوية الكثيرين من أعضائه ، بحجة أن المجلسَ (سيّدُ قراره) ؟!..

* لماذا يُعَيَّنُ أو يُرَشَّحُ بعضُ الوزراء في المجالسِ التشريعية ، وهم يمثلون السلطةَ التنفيذيةَ ؟!..

* لماذا يُلْحَقُ كلُّ وزيرٍ أو مسئولٍ كبيرٍ بعد إقالته ، بمجلسِ الشورَى ، ليتمتعَ بالحصانةِ فيسقط بذلك حقُ مَنْ ظلمَهم أثناءَ ولايته في مقاضاته ؟!..

* لماذا لم تُعَيِّنْ نائبًا لك منذ بدءِ رئاستك وحتى الآن ؟!!..

* لماذا لم تَتَخلَّ عن رئاسةِ الحزبِ الوطنيِّ ، الذي يستغلُّ أعضاؤه انتسابَهم إلى زعامتك لحزبهم ويسيئون السلوكَ والممارسات ، وأنت رئيسُ كلِّ المصريين ، ورئاستُك للحزبِ الحاكمِ لا تحققُ العدالةَ بين كلِّ الأحزاب .. وتأكّدْ يا سيادةَ الرئيس أنك لو أسستَ حزبًا جديدًا اليومَ ، فسيهرولُ إليه جميعُ أعضاءِ الحزب الوطنيِّ قبل أن يعرفوا شيئًا عن برنامجه !!..حتى لو سَمَّيْتَهُ (عفوًا سيادةَ الرئيس) حزبَ الأيتام .. تمامًا كما حدث أيامَ الرئيسِ السادات ، عندما ترك حزبَ مصرَ وأسَّسَ الحزبَ الوطنيَّ !!..

* لماذا تكونُ إعادةُ ترشيحك لولاية جديدة من مجلسِ الشعب المطعون في نزاهة انتخاباته ، ولا يكونُ انتخابُك من جميعِ أفرادِ الشعبِ ، الذي يُحبُّك ويُكِنُّ لك كلَّ تقديرٍ ؟!..

- لماذا لا يكونُ اختيارُ المحافظين ورؤساء المدن ورؤساء المجالسِ الشعبية والمحلية وعُمَد القري عن طريقِ الانتخاب الحرِّ من أفراد الشعبِ وليس بالتعيين ، حتى يكونَ ولاؤهم للشعبِ الذي اختارهم ، فيعملوا على رعايةِ مصالحِ المواطنين ،

كما نرى في الدول المتحضّرة ، ونحن أعرقُ منهم حضارةً وأقدمُ تاريخًا !!..

* لماذا لا نُقيلُ وزيرًا كَثُرَتْ حوله الأقاويلُ ، وأثبتَ الصحفيون والكُتّابُ تورّطه في الإضرار بمصالحِ الوطنِ والمواطنين ؟!.. أو على الأقلّ لماذا لا تُشكّلُ لجانًا لتقصّي الحقائقِ فيما يُنشَرُ حولَ هؤلاء الوزراء .. فإذا ثَبتَ تورّطُهُم أَقَلْتَهُم وقدّمْتَهم للمحاكمة ، وإذا ثبتتْ براءتُهم أعَدْتَ إليهم اعتبارَهم ؟!..

* لماذا بَقِيَ وزيرُ الزراعةِ في منصبه حتى اليوم ، وقد ثبتَ فشلُ سياسته الزراعية التي أضرّتْ بإنتاجِ القطنِ المصريِّ الذي كان يتربّعُ على عرشِ الأقطانِ العالميةِ ، وسبقه القطنُ الإسرائيليُّ ؟!..

* ولماذا بَقِيَ في منصبه حتى الآن وهو الذي لم يستطعْ أن يفيَ بوعده عندما تولّى أمرَ وزارةِ الزراعة وأعْلَنَ أن مصرَ سوف تكتفي ذاتيًا بإنتاجِ القمحِ بعد سبعِ سنواتٍ ، ورغم مرورِ ما زاد على عشرين عامًا ، فإن محصولَ القمحِ تدهورَ " كما قالت الصحفُ " وما زلنا نستوردُ القمحَ ، ولم يتحققْ الاكتفاءُ الذاتيُّ كما وَعَدَ ؟!..

* ولماذا بَقِيَ في منصبه حتى الآن إذا كان صحيحًا ما نَسبَه إليه الصحفيون والكتّابُ من تُهَمِ استيرادِ المبيداتِ المحرّمة دوليًا .. والتقاوي التي تضرُّ بالتربةِ المصريةِ من إسرائيلَ ؟!..

* ولماذا يُصرُّ هذا الوزيرُ ، على فتحِ أبوابِ التطبيعِ مع العدوِّ الصهيونيِّ على أوسعِ مدًى ، في الوقت الذي تستمرُ إسرائيلُ في اعتداءاتها على لبنانَ الشقيقِ ، وعلى الشعبِ الفلسطينيِّ ، ورغم أنك يا سيادةَ الرئيس رفضتَ أكثرَ من مرّةٍ زيارةَ إسرائيلَ قبل أن تُثْبتَ صدقَها في إحلالِ السلامِ ، ورغم أن الشعبَ المصريَّ بأكمله يرفضُ التطبيعَ مع هذا العدوِّ الغادرِ ؟!..

- كيف يبقى هذا الوزيرُ الذي يتحدّى مشاعرَ الشعب المصريِّ كلّه بتوسيع

دائرة التعامل مع العدو الصهيوني ، وإرسال شباب الزراعيين بزوجاتهم إلى إسرائيل ، وجلب الوفود الإسرائيلية المتتابعة ، التي تعبثُ بالأرض المصرية ، وتخرّبُ العقول المصرية ، وتتجسسُ على أسرار بلدنا ؟!..

* كيف يتّفقُ أن تكونَ مصرُنا الحبيبةُ مدينةً بالمليارات للدول الخارجية ، بينما يعيشُ على أرضها مئاتُ المليونيرات والمليارديرات ، الذين كوّنوا ثرواتهم من خيرات مصرَ ومن دماءِ وعَرَق المصريين ؟!.. ولو كان لدى هؤلاء الأثرياء ذرّةٌ من إحساسٍ أو ولاءٍ وطنيّ لبلدهم ، لتطوّعوا لتسديد جميع هذه الدّيون ، وفاءً لبلدهم الذي آواهم وربّاهم وعلّمهم وأعطاهم هذه الثروات !!

* لماذا لا يُطبَّقُ قانونُ (من أين لك هذا ؟) على الوزراء والمحافظين ، الذين يدخلون إلى المناصب كموظفين عاديين ، لا يملكون إلاّ مرتباتهم ، ثم يخرجون وقد تضاعفت ثرواتُهم ، ونجدُ معظمَهم بعد ذلك من أصحاب أكبر المصانع والشركات ، وكذلك أولادَهم ؟!..

* لماذا يبقى وزيرُ الثقافة في منصبه بعد فضيحة الكتاب الذي أصدرتْه وزارةُ الثقافة ، ذلك الكتاب القميء الذي يتطاولُ على القرآن الكريم وعلى الرسول الكريم ، وحتى على الذات الإلهية ، ثم لا يجدُ من يتحركُ من المسئولين إلاّ بعد اندلاع مظاهرات الاحتجاج من طلاب جامعة الأزهر ؟!..

وإننا نتساءلُ .. هل إذا جَرُؤَ أحدُ الكتّاب في أية دولة في العالم ، ومن بينها مصرُ ، وتطاولَ على التوراة أو الإنجيل ، أو على السيد المسيح عليه السلامُ .. هل كان يمكنُ للسلطات أن تسكتَ على هذا التطاول ؟!..

إننا نحن المسلمين لا نقبلُ مطلقًا أن يتطاولَ أحدٌ على أيِّ كتابٍ مقدّسٍ كالتوراةِ أو الإنجيلِ ، أو على النبيِّ موسى أو النبيِّ عيسى ، عليهما الصلاةُ والسلامُ !!..

* لماذا يُقَدَّمُ المدنيون للمحاكمةِ العسكريةِ ، والمحاكمُ المدنيةُ كفيلةٌ بذلك ؟!..

* لماذا يُحتَجَزُ المعتقلون لسنواتٍ طويلةٍ دون أن يُقَدَّمُوا للمحاكمةِ ، ولماذا لا يُفْرَجُ فورًا عن المعتقلين الذين تصدرُ أحكامُ القضاءِ بالإفراجِ عنهم ؟!..

* لماذا لم تُرَدَّ كلُّ أموالِ المودعين في شركاتِ توظيفِ الأموالِ حتى الآن ، حتى مرض منهم مَنْ مَرِضَ ، ومات منهم من مات ؟!..

سيادةَ الرئيسِ .. هذه تساؤلاتٌ تترددُ على ألسنةِ المواطنين ، كما تترددُ على لساني .. وهي تُعْتَبَرُ تذكيرًا ، فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ !!.. " ٥٥ الذاريات "

فلا بقاءَ للكراسيِّ ، ولا دوامَ للمناصبِ ، ولا خلودَ للأعمارِ .. ولقد كان حديثي لك كلمةَ صدقٍ وحقٍ ، لابد من النطقِ بها ، فالساكتُ عن الحقِ شيطانٌ أخرسٌ ، أمّا الْمُدافعُ عن الحقِ فهو أتقى وأخلصُ !!..

سيادةَ الرئيسِ .. إنَّ بداخلي هاتفًا يُلِحُّ عليّ كثيرًا ويقولُ لي : كُنْ شجاعًا وأخبر الرئيسَ ، وكُنْ صادقًا فيما ترويه عمّا يدورُ خلْفَ الكواليسِ ، وكُنْ مخلصًا في وصفِ الملاكِ وكَشْفِ إبليسَ !!..

لقد نازعتني نفسي .. هل أتكلمُ أم أَصْمُتُ ، هل أُجَاهِرُ بالحقِّ أم أُوثِرُ السلامةَ وأسكتُ ؟!.. وأخيرًا انتصرَ الهاتفُ ، وأفلحَ الضميرُ ، فتكلمتُ ، متوكّلاً على الله العليِّ القديرِ ، فالأمرُ له من قبلُ ومن بعدُ ، وإليه المصيرُ !!..

سيادةَ الرئيسِ .. إنّ أعظمَ ما أنصحُ به ، وأصدقَ ما أقولُ فيه .. ألاّ تُصَدِّق كلَّ ما يُقالُ لك من أحاديثَ ، وكلَّ ما يُقَدَّمُ إليك من تقاريرَ ، دون تَقَصٍّ واختبارٍ ، وتفكّرٍ واعتبارٍ .. فكم من تقاريرَ كاذبةٍ قُدِّمَتْ لعبدِ الناصرِ والساداتِ ، فأدّت إلى الهزيمةِ والاغتيالات !!..

لا تُؤاخذْني يا سيادةَ الرئيسِ .. إن قُلْتُ : لا تُصَدِّقْ مَنْ لك دائمًا يُصَفِّقُون ، وفي المناسباتِ لك يهتفون ، وبالكَذِبِ والبهتانِ يقولون : بالروحِ والدّمِ هم يفتدون ، واللهُ يعلمُ إنّهم لكاذبون !!..

لقد قالوا من قبلُ : بالروحِ والدمِ نفديك يا جمالُ .. وقالوا بعدها : بالروحِ والدَّمِ نفديك يا ساداتُ .. والآن يقولون : بالروحِ والدَّم نفديك يا مباركُ .. وما افتدوْا "جمال" ولا افتدوْا الساداتَ .. ولن يفتدوك يا سيادةَ الرئيسِ !!.. ولو أنّهم سَمعُوا صَوْتَ فرقعة " بُمْبَة " فجَّرَها طفْلٌ لَنَسَوْا في الحال هتافَهم الكاذبَ القبيحَ ، ولأطلقوا لسيقانِهم الرّيحَ ، لِيَفْلتُوا" بالروحِ والدَّمِ "وليَتْرُكُوكَ وحدَك للأخطارِ !!..

أنا واحدٌ من المواطنين لا أُصَفِّقُ لك دومًا .. ولا أؤيّدُك دومًا .. ولا أهتفُ أبدًا .. وماقُلْتُ في حياتي لأحد : بالروحِ والدَّمِ نفديك يا فلانُ !!.. ولكني أُؤيّدُك حينًا ، وأعترضُ حينًا آخَرَ .. وأُصَفِّقُ لك مرّةً ، وقد لا أصفّقُ مرّةً أخرى .. وأُعْجَبُ بعملٍ تقومُ به ، وقد لا أُعْجَبُ بعملٍ آخَرَ .. ويشدُّني إليك موقفٌ ، ويُبْعدُني عنك موقفٌ آخَرُ .. وهذه هي سِمَاتُ الصِّدقِ ياسيادةَ الرئيسِ .. أمّا التصفيقُ الدائمُ ، والتأييدُ الدءوبُ ، والهتافُ المستمرُ ، فهي سِمَاتُ النّفاقِ ، أعاذنا اللهُ من شرِّه ، وأبعدنا عن ضررِه وأثرِه !!..

لا أدري لماذا أشعرُ بأن لديّ إحساسًا يقولُ بأنك تُدْرِكُ هذا جيّدًا ، وأن شيئًا ما

بداخلك يقولُ كلما سَمِعْتَ تلك الهتافات : أيها المنافقون .. كفاكم نفاقًا ، فأنتم لا تفتدون ولا تؤيّدون ، ولكنكم تخافون وتكذبون وللباطلِ تُزيّنون ، وللحقِّ تُشوّهون ، وعلى مصالحكم الشخصية تحرصون ، وإنني لبريءٌ مما تفعلون !!..

سيادةَ الرئيس .. لولم أكن أحبُّك لما أخبرتُك .. ولو كنتُ أبغضُك لتجنّبْتُك .. فالرسولُ الكريمُ يقولُ : (إنْ أَحْبَبْتُمُوهُمْ فَأَخْبِرُوهُمْ ، وَإِنْ أَبْغَضْتُمُوهُمْ فَتجَنَّبُوهُمْ) ..صدق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

أسألُ الله تعالى ، أن يهديَ أحدَ معاونيك أو مستشاريك ، وأن يتقيَ اللهَ ويُقدِّمَ لك حديثي هذا لتقرأه بنفسك ، كما كُتِبَ ، وليس من خلال تقارير ، وأنا واثقٌ تمامًا أنه سيسعدُك أن تجدَ أحدَ مواطنيك يُخْلِصُ لك النصحَ ، ويصدقُ معك القوْلَ ، مباشرةً ودون وسيط .

سيادةَ الرئيس .. الأيامُ تمضي ، والزمانُ يسيرُ .. وغدًا سيكونُ إلى الله المصيرُ .. وإنَّ مسئوليةَ فردٍ مثلي أمامَ الله ، تتضاءلُ كثيرًا كثيرًا بالنسبة لمسئوليتك .. فأنا مسئولٌ عن نفسي وعن مَنْ أعولُ من زوجةٍ وأولادٍ .. وعن بعضِ المصالحِ المحدودةِ لبعضِ العباد .. أمّا أنت فمسئولٌ عن شعبٍ بأكمله ، بل لا أكونُ مبالغًا إن قلتُ إنك مسئولٌ عن أمّة بأكملها .. أمّة العرب ، وأمّة الإسلام ، فكلمةٌ تقولُها أو عملٌ تُؤدّيه ، قد يُؤثِّرُ إيجابًا أو سلبًا على شعبِ مصرَ وشعوبِ العربِ ، وشعوبِ المسلمين !

ولذلك فحسابي أمامَ الله إذا قورنَ بحسابك فهو يسيرٌ يسيرٌ .. ورغم ذلك فإنني أعتبرُ أن حسابيَ عسيرٌ عسيرٌ .. ولهذا فإنني أُشفقُ عليك ، وأُخْلصُ النصحَ إليك .. وأسألُ اللهَ لك وليَ النجاةَ .. ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله !..

وأختمُ حديثي بخيرِ ما يُبْدَأُ ويُخْتَمُ به الكلامُ ، وهو قولُ الله تعالى :

(فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)

"٤٤ غافر"

صدق الله العظيم

الفتنُ الطائفيةُ .. إلى متى ؟؟!!..

يا شعبَ مصرَ .. تعالوْا معي ، بدقة فكرٍ ، وعقولٍ تعي .. كم من القرون عاش الشعبُ المصريُّ يدًا واحدة ، وقلبًا واحدًا ؟؟!!.. إنني كواحد من المواطنين ، الذين تجاوزوا من العمر الستين ، لا أذكرُ أنني في شبابي سمعتُ يومًا تلك النعرةَ الكاذبةَ ، والصيحةَ الكئيبةَ المتعصِّبةَ ، والتي تقولُ ، هذا مسلمٌ وذلك مسيحيٌ .. بل كنا نقولُ : هذا مصريٌّ وذلك مصريٌّ .. وكثيرًا ما كنا نرفعُ أمام الإنجليزِ شعارَ (الهلال مع الصليب) وكان الشيوخُ والقساوسةُ يتماسكون بالأيدي في المظاهرات ، وأصواتُهم وعباراتُهم واحدةٌ في الهتافات ، وكان الشيوخُ يخطبون في الكنائسِ ، والقساوسةُ يخطبون في المساجد .. وبصرفِ النظرِ عن اختلافِ الديانات والعقائد .. ولم يكن بيننا اختلاف ، بل عشنا دائمًا في ائتلاف .. فماذا جرى يا مصريون ؟! ولماذا في وطنيتكم تُفْتَنُون ؟!.. هل أنتم عن مؤامراتِ أعدائكم غافلون ؟!.. ألا تعرفون ما يدبرونه لكم ياطيبون ؟!..

آن لكم أن تعرفوا أنكم جميعًا مستهدَفون ، وأن عدوَّكم اللدودَ ، يترقَّبُكم وقد اجتاز الحدودَ .. ودخل أراضيكم ، لينشرَ الفتنَ الطائفيةَ فيكم .. وبمكرِه ودهائه خدعَ الجميعَ ، وأقنع عملاءَه بضرورةِ التطبيعِ .. وبعد أن كنا نعتبرُه عدوًا لدودًا ، يعتبرُه المخدوعون والمتآمرون الآن صديقًا ودودًا !!..

هل عَميَتْ العيونُ فلم تعُدْ ترى ، وصُمَّتْ الآذانُ ، فلم تعدْ تسمعُ ، وخُدِّرَتْ العقولُ فلم تعدْ تفهمُ ؟!.. العدوُّ المشتركُ واللدودُ لكلِّ المصريين ولكلِ العربِ ، هم اليهودُ الصهاينةُ ، الذين لا يعرفون السلامَ ولا يؤمنون بالمهادنة .. لقد عرفوا أنكم

شعبٌ صبورٌ ، وعلى الوطنِ غيورٌ ، وعند الحرب أسدٌ جسورٌ .. فغيّروا أسلوبَهم ، وأجّلوا حروبَهم ، وتظاهروا بالرغبة في السلامِ ، والمحبة والوئام ، وهم في الحقيقة ذئابٌ لئامٌ .. وراحوا ينشرون الإشاعاتِ ، ويزرعون الخلافاتِ .. بين المصريين المسالمين ، من مسلمين ومسيحيين .. وللأسفِ ، وقع الكثيرون في الفخِ ، واختلف الأخُ مع الأخِ .. وساءت في الأفكارِ الظنونُ ، وهم للمؤامرة لا يفهمون .. وغيّرَ الأعداءُ حروبَهم إلى خططٍ بديلة ، وبأنفاسٍ طويلة .. فراحوا بالقنابلِ يفجّرون ، وفي التجمعاتِ البشرية ينسفونَ ، وبالمكالماتِ التليفونيةِ يعلنون ، أنّهم من جماعة الجهاد ، أو أيةِ منظمةٍ محظورةٍ في البلادِ ، ليلصقوا التهمَ بالمسلمين ، ويصفوهم بالإرهابيين ، ويزرعوا الشكَ والخوفَ بين المسيحيين ، وينشروا الفتنَ الطائفيةَ ، للقضاء على الوحدةِ الوطنية .. وللأسفِ فقد انطلت المؤامرةُ على بعضِ الجهلاءِ والمتعصبين ، سواءً من المسلمين أو المسيحيين .. فتضاعفَ غضبُهم ، وعَمِيَتْ قلوبُهم ، فراحوا بالجهلِ والتعصبِ ينشرون سمومَهم ، ويبعثون إلى الخارجِ بالحقدِ والكراهية أفكارَهم ، وهم لا يدرون أنّهم يحققون للأعداءِ أحلامَهم .. ومما يثيرُ الأسى والأحزانَ ، أن (بعضَ) المغتربين من الإخوانِ ، راحوا يردِّدون هذه السمومَ ، بين جميعِ الناس وعلى وجه العمومِ ، دون تأمّلٍ وتدبّرٍ ، وبلا عقلٍ يفكّر .. وتلقَّفَ الصهاينةُ الأشرارُ ، القصصَ الملفقةَ من شططِ الأفكارِ ، ليذيعوها في جميعِ نشراتِ الأخبارِ ، والفرصُ متاحةٌ أمامَهم ، ويملأون بالسمومِ إعلامَهم ، فهم يملكون جميعَ وسائلِ الإعلامِ ، وفيها يبثون أفكارَهم بالصورِ الكاذبةِ والملفقةِ وقبيحِ الكلامِ .. ويطالبون الكونجرسَ الأمريكيَّ بالتدخلِ ، فتجدُ البعضَ بالهذيانِ يتطفلُ .. وكأن مصرَ ولايةٌ من ولاياتهم ، تخضعُ لأفكارِهم وقراراتِهم .. وينسون أن مصرَ دولةٌ مستقلةٌ ، لا تكترثُ لفئةٍ ضالةٍ ومستغلة .. وبارك اللهُ في المغتربين المخلصين ، من المصريين الوطنيين ، الذين يتصدّونَ للمغرضين ، من الخونةِ والحاقدين ، ويبذلون أقصى الجهودِ ، لكشفِ مؤامراتِ العدوِ اللدودِ ،

ويعملون ليلَ نهار ، لتصحيحِ الأفكارِ ، والدفاعِ عن بلدِهم ، بارك الله في جهادِهم !

لن أقولَ يا مسلمون أو يا مسيحيون ، ولكن سأقولُ يا مصريون ، يا مخلصون .. ليتكم تستيقظون ، ولمؤامرات أعدائكم تُدركون ، وعلى وحدتكم الوطنيةِ تحافظون ، ومن التعصبِ الأعمى تتخلصون ، وبالمحبة والأخوّة في بلادِكم تعيشون .. فالدينُ للديّان أفلا تفهمون ؟!.. ولحكمة يعلمُها اللهُ ، تزوّج النبيّ محمدٌ بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، من ماريةَ القبطيةِ ، وأرشدنا إلى أن العقيدةَ اقتناعٌ وحرّية ، فلا تتعصبوا ، ولا لأتفه الأسبابِ تغضبوا ... واضربوا بحزمٍ كلَّ من بالإشاعاتِ الكاذبة يقولُ ، وأعملُوا فيما تسمعون العقولَ ، وثقوا في قيادتِكم ، واقتدوا برجالِ ديانتكم ، الذين بالهلالِ والصليبِ يتعانقون ، وعلى مائدة الطعامِ يجتمعون ، وفي أوقاتِ الشدائدِ يتحدون ، فاقتدوا في المواقفِ بهم ، واتركوا علاجَ الأمورِ لهم ، ولا تشغلوا المسئولين عن المهامِ الكبارِ ، بصغائرِ الأمورِ وتصرفاتِ الصغارِ ، الذين يلعبون بالنار .. وتصالحوا وتسامحوا ، وتعانقوا وتصافحوا ، وبذلك تُفقدُون عدوَّكم عقلَه ، وتبددون هدفَه وتخيّبون أملَه ..

وعاشت بكم مصرُ حرة ، وظلّت على الدوامِ أغلى درّة !!..

أَرْبَعَـــةٌ لاَ أَمَـــانَ لَهَـــا !!..

فليعلم القارئُ أن هذه القضيةَ أو العبارةَ التي اخترتُها عنوانًا لهذا الموضوع ، ليست من عندي ولا من أفكاري ، إنما هي جزءٌ من حديثٍ شريفٍ للرسولِ الكريمِ صلّى اللهُ عليه وسلم ، هذا الحديث الذي يقولُ فيه :

(أربعةٌ لا أَمَانَ لَهَا ، الدَّهْرُ وَلَوْ صَفَا ، والْمَالُ وَلَوْ كَثُرَ ، وَالْحَاكِمُ وَلَوْ قَرُبَ مِنْكَ ، وَالْمَرْأَةُ وَلَوْ طَالَتْ عِشْرَتُهَا) !!..

ولا يستطيعُ أحدٌ أن يُعمِّمَ حكمًا على جميعِ الناسِ على الإطلاق ، فالله يهدي بفضله من يشاءُ من عباده .. فقد نجدُ من الصالحين من لا يأمنون للدهرِ ، ولا يأملون في صفائه ، حتى إذا تقلَّبت الأيامُ وتغيّر الزمانُ ، لم يَضْعُفْ ما لديهم من إيمانٍ .. وبعضُ المؤمنين الذين يؤمنون بأن المالَ مالُ الله ، فيكسبونه من حلالٍ وينفقونه في الحلال ، فإن الله تعالى يباركُ لهم فيه ، وكلما أنفقوا منه في الخيراتِ ، زادهم اللهُ في الثرواتِ ، وكذلك الحكّامُ ، فمنهم الغافلون والظالمون ، ومنهم الذين من الله يخافون ، وبين الناسِ يعدلون ، ومن الله يُؤجرون ، وفي قوائمِ الصالحين يُكتبون ، وبجناتِ الخلد يفوزون .. وبين النساءِ قد نجدُ المؤمناتِ الصالحاتِ ، اللاتي يعرفن ما عليهن لأزواجهن وبيوتهن وأولادهن من واجباتٍ ، ويؤدّين ما عليهنّ لله من عباداتٍ ، فيُكْتَبُ لهن النعيمُ والجناتُ .. وإذا تأمّلنا الحياةَ التي نعيشُها ، والظروفَ التي تحيطُ بنا ، والتجاربَ التي تمرُّ بنا وبمن حولَنا ، والأحداثَ التي نشاهدُها ، والقصصَ التي نسمعُها ، والأخبارَ التي تتواترُ على أسماعنا بين الحينِ والآخرِ ، لتبيّنا أنّ ما جاء في هذا الحديث الشريف ، هو حقائقُ أثبتتْ صِدْقَهَا الأيامُ ، ولأدركنا أنّ فيها دروسًا وعبَرَ لكلِّ إنسانٍ له عقلٌ

يفكّرْ ويتدبّرْ، ولنتأمّلْ معًا هذه الأربعةَ واحدةً واحدةً على حدةٍ حتى نتعلم ونعتبر!!..

الدَّهْرُ وَلَوْ صَفَا :

والمقصودُ بالدّهرِ هو الزمانُ بما فيه من أيامٍ وشهورٍ وسنين ، منذُ الميلادِ وحتى يومِ المنون ، وكم من الناسِ ابتسم لهم الزمانُ وصفا لهم ، وعاشوا هانئين بصَفْوِهم ، وظنوا أنّ هذا الصفاءَ سيدومُ ، وأنّهم أبعدُ ما يكونون عن المآسي والهمومِ ، وإذا بالأيام يتغيّرُ لونُها ، ويتعكّرُ صفوُها، ويتحوّلُ السعداءُ إلى بؤساء ، والأغنياءُ إلى فقراء ، والسجّانون إلى سُجَنَاء ، والأصحّاءُ إلى مَنْ يتجرّعون مرارةَ الدّواء ، والأصدقاءُ إلى أعداء .. وسبحان من له الدّوامُ والبقاء !!..

وَالْمَالُ وَلَوْ كَثُرَ :

كم من تجّارٍ كبارٍ كسدتْ تجارتُهم ، وكم من أصحابِ الأموالِ بارتْ بضاعتُهم ، أو هبطت في البورصةِ أسهمُهم ، أو أُصيبوا بأمراضٍ أقعدتْهم ، أو أتتْ على أموالهم وأفلستهم ، أو تعرّضوا لكوارثَ ضيّعتْهم ، فما بَقِيَ معهم المالُ ، ولا دام لهم الحالُ ، وعرفوا أنّ دوامَ الحالِ من المحال !!..

وَالْحَاكِمُ وَلَوْ قَرُبَ مِنْكَ :

كم من قياداتٍ أو جماعات ، قامت بثوراتٍ أو انقلاباتٍ ، وحكمت الإمارات والجمهوريات ، وبعدَ أن استقرّ لهم الأمْرُ ، واطمأنوا إلى سلامةِ العمْرِ ، راحوا يخطّطون ، وعلى زملائهم يتآمرون ، ولقياداتهم يعزلون ، ولشركائهم في الكفاحِ يعتقلون ويقتلون ، حتى لو كانوا يومًا أصدقاءَهم ، أو حتى إخوانَهم أو آباءَهم ... فالسلطةُ بإغراءاتها تُعْمي ، وبالمبادئِ والوفاءِ تقذفُ وترمي ، ولننظرْ إلى بلادٍ مثل سوريا والعراق ، والدماءِ التي كانت فيها تُراق ، بين شركاءِ النضالِ والرفاق ،

وانقلاب يعقبُه انقلاب ، تُزْهَقُ فيه أرواحُ الشباب .. فإذا نجح الانقلابيون أصبحوا أبطالاً وشُرفاء ، وإذا فَشِلُوا صاروا خَوَنَةً وعُملاء .. وتتساقطُ الرقابُ والرءوسُ ، وتتغيّرُ الأفكارُ والنفوسُ .. ولنتأمّلْ وندقّق النّظَر ، فيما حدث في عُمَانَ وقَطَر ، ولنترحّمْ على الزّعيمِ الطيّبِ المهيب ، الرئيسِ الرّاحلِ محمد نجيب ، ولنتذكّرْ ما لاقاهُ من غدرٍ رهيب ، ممن كانوا يومًا تحتَ قيادته ، ومن كانوا يرفعون أيديَهم لتحيّته .. فاعتقلوه وأهانوه ، ومن رُتَبِه جرّدوه ، ومن صفحاتِ التاريخِ شطبوه ، ومن السّيْرِ في جنازةِ ابْنِه منعوه !!.. ولعلنا نذكرُ السودان ، وما حدث فيه بين الشركاءِ والإخوان ، والتضامنَ الذي أصبح في خبرِ كان !!..

هاهو الحكمُ والسلطان ، لا سلامَ فيه ولا أمان ، ومن كان مع الحاكمِ بالأمسِ يأتلفُ ، فلابدّ يومًا معه سيختلفُ ، ومن اعتبرَه الحاكمُ اليومَ رفيقًا ودودًا ، قد يراه غدًا عدوًّا لدودًا ، ومن كان لهم يومًا يُعانق ، قد يُعلّقهم بعد ذلك في المشانق .. فإن كنتَ صاحبَ فِطْنَة أوفَراسة ، فابتعدْ دومًا عن السياسة ، واجعلْ الحاكمَ بعيدًا عنك ، فلا أمانَ له مهما قَرُبَ منك !!..

وَالْمَرْأَةُ وَلَوْ طَالَتْ عشرَتُهَا :

التقيتُ برجلٍ منذ سنواتٍ بعيدة ، وتحدثنا في أمورٍ عديدة ، وتطرّقَ الحديثُ إلى طباعِ النساءِ ، والغدرِ والوفاءِ ، وكانَ الرجلُ متزوجًا منذ شهورٍ قليلة ، من فتاة ذكية وجميلةٍ .. وراح يتحدثُ عن زوجته بكلّ حماسٍ ، ويقولُ إنّها ليستْ ككلّ الناسِ .. ويصفُ إخلاصَها وعظيمَ حبّها ، والرّقّةَ التي تنسابُ من قلبها .. فلم أُرِدْ أن أَصْدِمَه ، ولا من أوهامِه أن أحْرِمَه .. وكلُ ما قلتُه له : أرجو أن يجمعَنا اللهُ في لقاءٍ آخرَ بعد

عَشْرِ سنوات ، لتُسْمِعني رأيك في السيدات ، بعد التجاربِ والخبرات !

وشاء اللهُ أن نلتقيَ بعد عددٍ من السنين ، فقال الرجلُ بصوتٍ متهدّجٍ وحزينٍ : لقد عرفتُ أخيرًا ما كنتَ ترمي إليه ، في الحديث الذي لم تُعَلّقْ حينئذٍ عليه ، وعرفتُ أن النساءَ أَخَوَاتُ الشياطين ، وأنّهنّ حقًّا ناقصاتُ عقلٍ ودينٍ !!..

فسألتُ الرجلَ وقلتُ : مَنْ أنتَ الآن ، وكيف بالمرأة بعد مُضيّ ذلك الزمان ؟!.. فقال : أنا **مَنْ ضَيَّعَ فِي الأَوْهَامِ عُمْرَه** !! أمّا المرأةُ فلم أَعُدْ أراها وردةً ولا زَهْرَة !!.. إنما هي حفرةٌ وشَرَك ، حيث يقعُ الإنسانُ فيه ويحترق ، ولا يتنفَّسُ فيه بل يختنق !!.. فابتسمتُ وهززتُ رأسي ، وقلتُ بيني وبين نفسي : أخيرًا أفاق هذا الإنسان ، ولكن بعد فواتِ الأوانِ .. فلم يَعُدْ هناك إخلاصٌ ولا حُبّ ، ولم تَعُدْ الرِّقّةُ تنسابُ من القلبِ ، وأصبحتْ الحياةُ بينهما كما بين القطّة والكلب !!..

وسألني الرجلُ : فيمَ تفكّرُ ؟ فقلتُ : إنني أتذكّرُ ، قولَ اللهِ العظيم ، في كتابه الكريم :(**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**) " ٦٧ النساء "ثم قوله : (**إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**) " ٢٨ يوسف " وقلتُ له : الآن فقط أستطيعُ أن أقول ، والحديثُ عنهنّ يطولُ ويطول .. كم من رجالٍ أحسنوا الظَّنَّ بالنساء ، فلم يجنوا من حُسْنِ ظنّهم إلاّ العناء والشقاء !!.. وكم من رجالٍ ائتَمَنُوا على الأسرارِ نساءَهم ، وعند الشقاق وجدوا على ألسنة الناسِ أسرارَهم ، فإذا استحالت العشْرَة ، وتمزّقَ شملُ الأسرة ، استخدمتْ المرأةُ أقذرَ أنواعِ السلاحِ ، دون مراعاةٍ للمباح وغيرِ المباح ، ولا ترعى اللهَ في عشْرَةٍ ولا تَهتدي ، ولا تعملُ حسابًا للغَد ، وتُصرُّ على عنادها ، ولو ضحَّتْ بأولادها !!..

وإذا أردتَ أن تزدادَ اقتناعًا بالمرأة وغدرها ، وكيدها ومكرها ، فانظرْ إلى أمريكا ومجتمعها ، حيث قضتْ المرأةُ على الأسرة واستقرارها ، لأن القانونَ في صفّها ، فأوْدَى بها إلى حتفها .. إذ اتخذتْ من القانون سلاحًا ، ملأتْ به الرجلَ جراحًا .. فهي تُلَوِّحُ بالقانون وتُهدِّدُ ، وعند الخلاف تُنْذرُ وتتوعّدُ .. ويرى الرجلُ امرأتَه قنبلةً موقوتة ، تنفجرُ في لحظة غدرٍ وتنتهي القصّةُ والحدّوتة .. وتُحوِّلُ المرأةُ حياةَ الرجلِ إلى عذاب ، وبعد طلاقها يجني الرجلُ الإفلاسَ والخراب ، وتصيرُ أحلامُه مجرَّدَ سَراب .. ولهذا يهربُ الرجالُ في أمريكا من الزواج ، الذي يُذلُّ الرجلَ ويُطْفئُ السِّراج .. فتفكّكتْ لذلك الأُسَرُ ، وانتشر الفسادُ واستفحل الضَّررُ .. وهوَتْ المرأةُ إلى القاع ، وينظرُ إليها الرجلُ كوسيلة فقط للاستمتاع ، مما أودَى بها إلى السقوط والضّياع ، فلا انضباطَ لفتاة أو لوَلَد ، ولا يُعْرَفُ لمولودٍ أبٌ أو مُستَنَد ، وسيكونُ ذلك من أسباب انهيار الأخلاق ودمارِ البلد !!..

واعلمْ أنك إذا أعطيتَ المرأةَ كلَّ شيء ، فقدتَ منها كلَّ شيء ، وبقدرِ ما تأخذُ منك ، تبعدُ بنفسِ القَدْرِ عنك !.. ويحضرني الآن خبرٌ قرأتُه في جريدة منذ أكثر من ثلاثين عامًا ، عن زوجة إنجليزيّة ، كانت تعيشُ بمطلق الحريّة ، ويُنفقُ عليها زوجُها بيدٍ سخيّة ، ولا يرفضُ لها مطلبًا ، ولا ينتقدُ لها مأْرَبًا ، فطَلَبَتْ الطلاقَ من زوجها ، وطلب منها القاضي سماعَ حُجَجِها ، فقالت إن زوجَها يستجيبُ لكلِ رغباتها ، ولا يحاسبُها عن سوء تصرفاتها ، فأحسَّتْ بالسآمة والْمَلَل ، وكَرِهَتْ العيشَ مع هذا الرجلِ ، ولهذا طلبتْ الانفصال ، لتبحثَ عن غيره من الرجال !!..

فلا تَكُنْ أمامَ المرأة كتابًا مفتوحًا ، حتى لا تَصيرَ حَمَلاً مجروحًا ، فالكتابُ الذي يُقْرَأُ لآخره ، لا ينظرُ قارئُهُ ثانيةً إلى منظرِه .. فقد عرف فيه كلَّ ما يُريد ، ولم يَعُدْ فيه ما

يُفيد ، إذنْ ، فلْيرْمه ولْيبْحَثْ عن كتاب جديد !!..

والمرأةُ تحاولُ دائمًا أن تسيطرَ على الرجل ، وفي نفسها لا تتمنى أن يتحققَ هذا الأمل ، فهي تريدُه قويًا أكثرَ مما تريدُه ثريًا ، وتريدُه رجلاً يُرْهَبُ ، ولا تريدُه جملاً يُرْكَبُ ، فإذا ضَعُفَ أمامَها وحَكَمَتْهُ ، كَرِهَتْه في النهاية ولَفَظَتْهُ ، وإذا أحسَّتْ بأنّها مُمَيَّزَةٌ في شيءٍ عليه ، تعالتْ وضَعُفَ مَيْلُهَا إليه !!.. وإذا أحبّت المرأةُ ولو للمرّة الثانية أو الثالثة ، ضَحَّتْ بكلِّ شيءٍ ، حتى بأهلها وبأولادها ، وإذا كَرِهَتْ باعتْ كلَّ شيءٍ ، ولم تَفِ بعهودِها ، وما أسرعَ أن يتحوّلَ قلبُها ، وأن يتبخّرَ في الهواءِ حبُّها ، وتدورُ بها عجلةُ الزمانِ ، وتندمُ على ما كان ، ولكنْ بعد فواتِ الأوانِ !!..

ولُغزٌ هي المرأة !!.. ولُغْزٌ هي حوّاء ، وليس لها من دواءٍ ولا شفاء ، وصدق رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلم إذ يقولُ : (**الْمَرْأَةُ كَالْغُصْنِ الأَعْوَجِ ، إن قَوَّمْتَهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ زَادَ اعْوِجَاجًا ، وَكَسْرُهَا طَلاَقُهَا**) !!.

وعن ابن عباسٍ أنّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : (**أُريتُ النَّارَ فإذا أكثرُ أهلها النساءُ يَكْفُرْنَ ، قيلَ : أيكفُرْنَ باللهِ ؟ قالَ : يكْفُرْنَ العشيرَ** " أي يُنكِرْن فضلَ الزوج وإحسانه " ، **لو أحسنتَ إلى إحداهنّ الدَّهرَ ، ثم رأتْ منك شيئًا قالت : ما رأيتُ منك خيرًا قطُّ**) !! " حديث ٢٨ البخاري "

وليس معنى هذا الكلام أن كلَّ النساءِ غادرات ، ولكن فيهنّ النادرات ، اللاّتي يَفِينَ بالوعود ، ويحفظنَ العهود ، ويكتمنَ الأسرارَ ، ويتحمّلنَ الأضرارَ ، ويستريحُ

إليهنَ الأزواج ، ولا يَرَوْن منهنَ أيَّ اعوجاج ، وهذا يرجعُ إلى إيمانهن ، وأصالة أُسَرِهنَّ ، وصلاح أمّهاتهنَ ، وحُسْنِ تربيتهن !

والبنتُ لأُمّها ، وتأخذُ من طباعها ، وستكونُ لابدّ يومًا على شاكلتها ، مهما أخفَتْ من سلوكها .. ومَنْ يُكابرُ ويُعاندُ ، ويُنكرُ ذلك ويُعارضُ ، فسوف يَلْقَى منهنّ الأمَرَّيــْنَ ، ولن يُميِّزَ بين الطريقين .. وستكثرُ في رأسه الهمومُ ، وفي بحارِ النّدم سوف يعومُ !!..

وقال عليه الصلاةُ والسلامُ : (تُنْكَحُ المرأةُ لأربعٍ : لجمالها ومالها وحسبها ودينها ، فعليك بذات الدينِ تَرِبَتْ يداك) .. وعن عبد الله بنِ عمرَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (لا تَزَوَّجوا النساءَ لحُسْنهنّ فعسى حسنُهنّ يُرْدِيهُنّ ، ولا تَزَوَّجوهنّ لأموالهنّ فعسى أموالُهنّ أن تُطغيَهُنّ ، ولكن تزوجوهنّ على الدّينِ ، ولأَمَةٌ خَرْمَاءُ (أي مقطوعة بعض الأنف ومثقوبة الأُذُن) سوداءُ ذاتُ دينٍ أفضلُ) !.. وعن عبد الله عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال للنساء : (تصدّقنَ فإنكنّ أكثرُ أهلِ النار ، فقالت امرأةٌ من علْيَة النساء : لِمَ أو بِمَ أو فيمَ ؟ قال : إنّكنّ تُكْثِرْنَ اللّعْنَ وتَكْفُرْنَ العشيرَ) وقال عبدُ الله : ما من ناقصي العقلِ والدينِ أغلبُ للرجالِ ذوي الأمرِ على أمرهم من النساء .. وقال رجلٌ لعبدِ الله : ما نقصانُ عقلها ؟ قال : جُعلَتْ شهادةُ امرأتين بشهادة رجلٍ .. وسُئلَ : ما نقصانُ دينها ؟ قال : تمكثُ كذا وكذا من يومٍ وليلةٍ لا تصلّي صلاةً ..

وقال حكيمٌ : (إذا أردتَ أن تتزوّجَ ، فابحثْ عن الفتاة ذاتِ الأمِّ الصّالحةِ ، ثم تزوّجْها ولو كان أبوها شيطانًا) !!..

وسأل حكيمٌ آخرُ بعضَ مُجالسيه فقال : **متى تُصبحُ المرأةُ أربعةَ شياطين ؟** فلمْ يُجبْ أحد ، فأجاب الحكيمُ بنفسهِ وقال : **عندما تَلِدُ ثلاثَ بناتٍ !!..**

وقد تعتقدُ بعضُ القارئات ، أنني أُناصبُ العداءَ للسيدات ، وأقولُ لهنّ لا.. فقد استوحَيْتُ ما أكتبُهُ من التجاربِ والخبراتِ ، من الأصدقاءِ والصديقاتِ ، ومن الأحاديث الشريفة والآيات البيّنات .

وأنا لا أدعو الرجالَ في هذا الحديث أن يقسوا عليهنّ ، بل أدعو إلى الرحمة والمودّة في التعاملِ معهنّ ، في حدود ما أمَرَ به اللهُ ورسولُه ، ولنا القدوةُ فيما كان يفعلُه ويقولُه ، فهنّ لنا أمّهاتٌ وأخَوَاتٌ وزوجاتٌ ، ولنا منهنّ الأولادُ والبناتُ ، وعلى الرّجالِ أن يستوصوا بِهنّ ، وفي نفسِ الوقت أن يحذروا مع الأيامِ .. **غَــدْرَهُــنَّ !!.**

إسرائيل .. حمامة السلام !!.. يا سلام !!..

ادّعى رؤساءُ الوزراءِ الإسرائيليون " نتن ياهو ، وإيهود باراك ، وإريل شارون " وكذلك مندوبوهم في كلّ المؤتمرات واللقاءات الدولية ، أن إسرائيلَ هي " حمامةُ السلامِ " في المنطقة !!.. ولا ندري أيَّ نوعٍ من الحمامِ هي !!..

أيّةُ حمامةِ سلامٍ تلك التي ارتكبت مذبحةَ " قانا " البشعةَ في الثامنِ عشر من أبريل عام ١٩٩٦ التي راح ضحيتَها أطفالٌ ونساءٌ وشيوخٌ من شعب لبنانَ المسالمِ ؟!.. إن هذه المذبحةَ من أكبرِ الدلائلِ والبراهينِ على أن إسرائيلَ تتجرّدُ من أيّ وصفٍ للإنسانية !!..

أيّةُ حمامةِ سلامٍ هذه التي أمرت الأسرى المصريين بأن يحفروا قبورَهم بأيديهم ، ثم يقتلونَهم في هذه الحُفَرِ ويردمون عليهم الترابَ وهم أحياءُ !!.. هل هناك بشاعةٌ أسوأُ من ذلك ؟!!.. أيّةُ حمامةِ سلامٍ هذه التي تقتلُ وتُدمِّرُ وتُخرِّبُ في فلسطينَ دون وازعٍ من ضميرٍ أو أخلاقٍ ، ودون اكتراثٍ لصيحات المجتمعِ الدّوليّ ؟!.. أيةُ حمامة سلامٍ تلك التي يقودُها سفّاحٌ مثل شارون الذي قاد المذابحَ والمجازرَ في جنين ورام الله ، وسائرِ المدنِ والقرى الفلسطينيةِ ، وحاصر كنيسةَ المهد ببيت لحم ، وضربَها بالقنابل؟!

إننا لم نسمعْ من قبلُ عن حمامةِ سلامٍ تعيشُ على امتصاص دماء الأبرياء العزّل من السلاحِ ، ثم تدّعي أنها حمامةُ سلامٍ !!.. ولا عجبَ !!.. فهذه هي حقيقةُ السلامِ المزعومِ الذي يعلنُه رؤساءُ الوزراءِ الإسرائيليون ، الذين يصوّرون أنفسَهم كأبطالِ من أبطال السلام !!..

والسلامُ الذي يعرفُه نتن ياهو أو باراكُ أو شارونُ أو غيرُه ، مهما اختلفوا في

السياسة والأساليب ، هو ذَبْحُ العربِ وإسالةُ دمائهم إلى آخرِ نقطةٍ ، وقتلُهم جميعا ، ليس من الفرات إلى النيلِ فحسب ، بل من الفراتِ إلى المحيطِ !!..

واعلموا يا عربُ .. أن اليهودَ لا عهدَ لهم ولا ميثاق .. وأحداثُ التاريخ تشهدُ بذلك ، أم أنكم لا تعرفون التاريخَ .. ويا ليتكم تتذكّرون التاريخَ وأحداثَه ، بدءًا من " دير ياسين " إلى " صبرا وشاتيلا " إلى " قانا " إلى مستوطنةِ " أبو غنيم " إلى مذابح جنين ورام الله !!..

متى أيها المسئولون العربُ ، نعرفُ أنه ليس بيننا وبين هؤلاء اليهودِ سلامٌ حقيقيٌّ ، بل سلامٌ قائمٌ على الخداعِ والمراوغةِ من جانبهم ؟!.. فلا عهدَ لهم ولا شرفَ !!.. وهل نسينا أنهم نقضوا عهدَهم مع رسولِنا الكريم محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وأثاروا الفتَنَ ضد المسلمين ، وحاولوا قتلَ الرسولِ الكريم ، بدسِّ السُّمِ له في الطعامِ ؟!.. إن كراهيتَهم لنبيِّ الإسلامِ وحقدَهم عليه وتآمرَهم ضده ليمتدُّ إلى أمّةِ الإسلامِ في كلِّ العصورِ .. ولعلنا نتذكّرُ اليومَ الذي أحرقوا فيه المسجدَ الأقصى في أغسطس عام ١٩٦٩ ، ووصل بهم الأمرُ إلى تصويرِ رسولِ الإسلامِ في صورةِ خنزيرٍ،كما صوّروا السيدةَ مريمَ العذراءَ في صورةٍ وجعلوا رأسَها رأسَ بقرةٍ !!.

إن الدليلَ على أنهم ذئابٌ وثعابينُ ووحوشٌ ضد جميعِ بني الإنسانِ من غيرِ اليهودِ ، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو غيرَ ذلك ، ما جاء على ألسنتهم ، وما كتبته أيديهم في "التلمود" الذي يصوِّر غيرَ اليهودِ بأنهم حيواناتٌ جعلهم الله في صورةِ الآدميين ليليقوا بخدمة الشعبِ اليهوديِّ ، ويطلقون عليهم لقبَ " الجويم " بمعنى الحيواناتِ ، ويعتبرون " الكلبَ " أفضلَ منهم ، ومن تعاليمِ " التلمودِ " لليهودِ أيضًا

أنه من المصرَّح لهم إطعامُ الكلاب في الأعياد ، وليس لهم أن يطعموا غير اليهود .. ومن تعاليم " التلمود " أيضًا : لا تَسْرِقْ يهوديًا ، ولا تقتلْ يهوديًا ، ولا تَزْنِ بيهودية ، وافعل ذلك بغير اليهود .. لا تساعدْ أحدَ " الجويم " على النجاة من الهلاك .. إذا وقع أحدُ " الجويم " في حفرةٍ فلا تخرجْه منها ، بل سُدَّ عليه بحجرٍ .. ومن ضمن تعاليم التلمود أيضًا ، أن يلوّثوا كلَّ طاهرٍ ، ويهدموا كلَّ قائمٍ ، ويحرقوا كلَّ أخضرٍ ، وأن يقتلوا جميعَ مَنْ في المدنِ التي يدخلونها ، من رجالٍ ونساءٍ وشيوخٍ وأطفالٍ ، وحتى حيواناتهم من الأبقارِ والأغنامِ والخيولِ والحميرِ !!..

هذه هي تعاليمُ "التلمود" التي يعيشُ اليهودُ على أملِ تحقيقها والتلذّذ بتنفيذها .. أي أن الهدفَ الأساسيَّ لليهودِ هو إبادةُ كلِّ المسلمين والمسيحيين ، وخاصةً العرب منهم ، حتى لا يبقى منهم أحدٌ ، وبذلك يتحققُ لهم حلمُهم بإقامةِ الدولةِ اليهوديةِ من النيلِ إلى الفراتِ .. ووسيلتُهم نشرُ الأفكارِ الهدّامة بين شبابِ العربِ ، وإشاعةُ الانحلالِ والفسادِ ، ليضيعَ الشبابُ ، وينسى حقوقَه المسلوبةَ ، وكرامتَه المجروحةَ ، وأرضَه المغتصَبةَ !!..

لقد جاء في جزءٍ من مقالٍ للأستاذ جمال بدوي ، في جريدةِ الوفدِ في الثاني والعشرين من أبريل عام ١٩٩٧ ما يلي :

لقد بثّت وكالةُ أنباءِ الشرقِ الأوسطِ المصريةُ في نبأ لها من أديس أبابا أن حكومةَ إثيوبيا أعلنت عن أوّلِ عمليةٍ كبرى لتحويلِ ٦٥ ألفًا و٧٥ كيلومترًا مربعًا (حوالي ١٥ مليون فدانٍ) من الريِّ بالأمطارِ إلى الريِّ الدائم ، وأنها بصددِ تطويرِ المواردِ المائية للأنهارِ الثلاثة التي تنبعُ من إثيوبيا وهي : النيلُ الأزرقُ والعطبرةُ وإروا ، تمهيدًا لإقامةِ مشروعاتٍ تنمويةٍ واقتصاديةٍ واجتماعيةٍ خلال الثلاثين سنةً القادمة ، وبتكلفة

ضخمة تمَّ تدبيرُها من مصادرِ تمويلٍ دولية ، لم يُكْشفْ النقابُ عنها !!.. ولسنا بحاجة إلى ذكاءٍ كبيرٍ لمعرفةِ هذه المصادرِ الدوليةِ .. فهي لن تكونَ بعيدةً عن البنكِ الدوليِّ الذي تسيطرُ عليه أمريكا وإسرائيلُ !!..

الأمرُ جدُ خطيرٌ .. ومن شأنه أن يصيبَنا بالفزعِ إذا عرفنا أن نَهرَ النيلِ يعتمدُ في ٨٥ في المائة من مصادرِه على الأنهارِ الثلاثة التي تنبعُ من جبالِ الحبشة ، أما ال ١٥ في المائة الباقيةُ فتأتي من منطقةِ البحيرات الاستوائية !!..

ونحن نعرفُ أن أصابعَ إسرائيلَ الخبيثةَ وراء كلِّ ذلك !!. والهدفُ طبعًا معروفٌ ، هو حرمانُ مصرَ مما تحتاجُه من مياه ، لتتحوّلَ أراضيها إلى صحارى ، وبذلك يتمُ تجويعُ الشعبِ المصريِّ ، وتدميُرُ اقتصاده ، فلا يقوى بعد ذلك على المقاومةِ ، أو التصدّي لإسرائيلَ !!..

ولكن ، هيهاتَ .. هيهاتَ أن تتحققَ لليهود أحلامُهم !!.. فمصرُ بقيادتها الواعيةِ ، والشعبُ المصريُّ بوطنيته الطاغية ، لن يُمَكّنَ عدوًّنا من تحقيقِ أوهامه ، بل سيعملُ بعونِ الله على تبديدِ أحلامه !!.

يا أتباعَ محمد بنِ عبدِ الله ، وعيسى بن مريمَ ، عليهما الصلاةُ والسلامُ ، أفيقوا واستعدّوا .. وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّةٍ ، حتى ولو كانت حجارةً .. لعل الله تعالى يجعلُها حجارةً من سجّيلٍ ، تنهشُ صدورَهم ، وتُدمي قلوبَهم ، وتشتتُ شملَهم ، كما فَعَلَتْ بأصحابِ الفيلِ !!.. وإن ربَّك لبالمرصاد !!..

جَـــاوَزَ الظَّـــالِمُـــونَ الْمَـــدَى !!..

كنتُ في زيارةٍ لأحدِ أبنائي ، المهندس حسام الدين ، الذي يعملُ مدرسًا للكمبيوتر ، في إحدى الكلياتِ الأمريكية .. وطلبتُ منه أن يجمعَ لي من على شبكة الإنترنت ، بعضَ أغانِي عبدِ الوهاب وأمِّ كلثوم وأسمهان .. فجمع لي عددًا كبيرًا منها وخاصةً الأغانِي القديمة التي تتضمّنُ المعانِيَ الساميةَ والألحانَ العذبةَ التي تَطربُ لها القلوبُ وترتاحُ لها الآذانُ .. وبينما كنتُ أستمعُ إلى بعضِها إذا بقصيدةٍ غنّاها الموسيقارُ الراحلُ محمد عبد الوهاب منذ ما يقربُ من خمسين عامًا ، وكانت في الخمسينياتِ من القرنِ العشرين تُلهبُ حماسنَا وتُحرّكُ النخوةَ في صدورِنا ، وتثيرُ فينا روحَ التضحيةِ والفداء ، وأحسستُ بذاكرتي تعودُ إلى تلك الفترةِ التي كان الشبابُ فيها يمتلئُ حماسًا ، وحبًا للجهادِ والفداءِ ، ووجدتُ دموعي تنهمرُ على وجنتيّ بغزارةٍ وبلا إرادةٍ ، ولم أستطعْ أن أُوقفَ تدفقَ هذه الدموعِ التي لم تتحمّلْها وجنتاي فألقتْ ببعضِها على صدري حيث بَكَى منها قميصي ، ورحتُ أعيشُ في ذكرياتِ تلك الحقبةِ التي كنا نعانِي فيها ذلَّ الاستعمارِ الإنجليزيِّ في منطقةِ القنالِ ، وكذلك مرارةَ هزيمةِ الجيوشِ العربيةِ في فلسطينَ ، وكنا نتجرّعُ آلامَ الإحساسِ بالظلمِ والانكسارِ ، ولكننا كنا في نفسِ الوقتِ ، نتوقُ للجهادِ وننتظرُ نداءَ الفداءِ ، لاستعادةِ الحقِّ المسلوبِ ، دون خوفٍ من القتالِ أو الحروبِ ، كما كنا نتدافعُ ونتزاحمُ أمامَ مكاتبِ التطوّعِ في صفوفٍ ، واضعين الأرواحَ على الكفوفِ .. هذه القصيدة التي يقولُ فيها عبدُ الوهاب :

أَخي جَاوَزَ الظَّالِمُونَ الْمَدَى   فَحَقَّ الْجِهَادُ وَحَقَّ الْفِدَا
أَنَتْرُكُهُمْ يَغْصِبُونَ الْعُرُوبَةَ   مَجْدَ الأُبُوَّةِ وَالسُّؤْدَدَا ؟!.

واشتدَت عيناي في طرد دموع الحزن والأسى .. لأن هذه القصيدة كانت دعوة للشعوب العربية وتنبيهًا لهم للاستعداد للجهاد لتحرير فلسطينَ ومحو عارِ الهزيمةِ .. وتزدادُ الدموعُ في تدفقها عندما أسمعُ عبدَ الوهاب وهو يقولُ :

فَجَرِّدْ حُسَامَكَ من غمْده فَلَيْسَ لَهُ بَعْــدُ أَنْ يُغـْـمَدَا

أَخي أَيُّهَا الْعَــرَبيُّ الأَبيُّ أرَى الْيَوْمَ مَوْعدَنَا لا الْغَدَا

وكأن الشاعرَ كان يطالبُ العربَ برفعِ السلاحِ وعدمِ تركه ، وأن ذالك اليومَ هو موعدُ الجهادِ وليس بعد ذلك .. وما زاد في تدفق الدموعِ من عينيَ أنني تذكرتُ ما نحن فيه اليومَ ، وبعد خمسين عامًا ، ما زالت فلسطينُ تدعو الشعوبَ العربيةَ لإنقاذها من المغتصبين والظالمين الذين اغتصبوا أرضَها ، وشرّدوا شعبَها ، ومازالوا يكسرون عظامَ شبابها ويهدمون بيوتَها ويقتلون أطفالَها ويستحيون نساءَها ، ويأسرون ويُذلُّون شبابَها ، ويُحاصرون رئيسَها ، ويعزلونه عن العالمِ ، ولا يستجيبون لنداءات الشعوبِ والمنظمات الدّولية ، ولا لقرارات مجلسِ الأمنِ ، وكأنّهم يقولون للعالمِ كلّه : موتوا بغيظكم !!.. ومعظمُ القادة العربِ اليومَ لهذه المآسي يسمعون ، وفي قنواتِ التليفزيون يشاهدون ، ولكنهم وياللخجلِ ، لا يتحركون !!..

وتنتابُني قشعريرةٌ ويرتعدُ بدني عندما أسمعُ عبدَ الوهاب وهو يقولُ :

أَخي إنْ جَرَى في ثَرَاهَا دَمي وَأَطْبَقْتُ فَوْقَ حَصَاهَا الْيَدَا

فَفَتِّشْ عَلَى مُهْجَــةِ حُــرَّةٍ أَبَتْ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهَا الْعِــدَا

رحمَك اللهُ يا عبدَ الوهاب !!.. فقد كنتَ حسنَ الظنِ بالعربِ ، ورحتَ تستخدمُ عصارةَ فنّك لتوقظَ الضمائرَ الميّتةَ وتقولُ :

فلسْطينُ يَفْدي حمَاكِ الشَّبَابُ فَجَلَّ الْفدَائيُّ والْمُفْتَدَى

واذرفي يا عينيّ الدموعَ .. فأين الشبابُ الذي سيحمي حمَا فلسطين اليومَ ، أو حتى يشعرُ بمأساتها أو يعرفُ شيئًا عن قضيتها ؟!.. هل هم الشبابُ الذين يتزاحمون في صالات الرقصِ والعربدة ؟!.. أم الذين يتدفقون في طوابير أمام السفارات الأجنبية وهم يحلمون بالهجرةِ من أوطانهم بحثًا عن الذاتِ وعن المستقبلِ الذي فقدوا فيه الأملَ في بلادهم ؟؟!!..

وتتضاعفُ الدموعُ في العيونِ عندما نسمعُ عبدَ الوهابِ وهو يقولُ :

فلسْطِينُ تَحْميك منَّا الصُّدُورُ فَإمَّا الْحَـــيَاةُ وَإمَّا الرَّدى

ولا أدري أين هذه الصدورُ التي ستحمي فلسطينَ !!.. هل هي الصدورُ التي تتعانقُ مع صدورِ الغاصبين ، والتي تنادي بالتطبيعِ مع اليهودِ المعتدين ؟!..

إن الصدورَ الوحيدةَ التي مازالت تتصدّى للعدوانِ في فلسطينَ هي صدورُ أبنائها من الأطفالِ والشبابِ ، شبابِ الانتفاضةِ الذين مازالوا يؤمنون بعدالةِ قضيتهم .. وكذلك صدورُ الفدائيين من منظمةِ (حماس) الذين ينفذون العملياتِ الانتحاريةَ ، مقدّمين أرواحَهم قربانًا لوطنهم !!..

أما الظالمون الذين تجاوزوا المدى ، فهم ليسوا فقط من أعدائنا ، ولكنهم أيضًا من إخوانِنا ، ومن حكّامنا ، الذين قتلوا بسلبياتهم الإحساسَ بالولاءِ والانتماءِ في صدورِ شبابنا .. حيث لم يعدْ يشغلُ بالَهم إلاّ هجرةُ الأوطانِ ، والبعدُ عن الظلمِ والحرمانِ .. أما الظالمون فلا يشغلُ بالَهم إلاّ الكراسيُّ والعروشُ ، وملءُ الخزائنِ والكروشِ !!..

اسكبي يا عينيَّ ما تشائين من الدموعِ ، فلم يعدْ للجهادِ سيوفٌ ولا دروعٌ ، ولم يبقَ للشعوبِ غيرُ خوفٍ وجوعٍ ، ولم نعدْ نرى أملاً في عودةٍ أو رجوعٍ !!..

وأخيرًا وجدتُ نفسي مع تدفقِ الدموعِ ، أغنّي وأقولُ :

أَخي ، جَاوَزَ الظّالِمُونَ الْمَدَى فَعَزَّ الْجِهَادُ وَعَزَّ الْفِدَا !!..

الناس اللي فوق .. والناس اللي تحت !!..

لو أن الناسَ جميعًا تذكّروا أنهم خُلقوا من أصلٍ واحد .. وأن هذا الأصلَ لم يكن إلاّ " التراب " ، وأن الله سبحانه وتعالى كانت له حكمةٌ في وحدة أصلِ الإنسان ، لكي لا يتعالى فردٌ على آخَرَ بأصله ، ولذلك لا يستطيعُ أيُّ إنسانٍ أن يتفاضلَ على غيره بتميّزه في الأصلِ أو في التكوينِ ، فالناسُ جميعًا متساوون في عددِ العيونِ والأيدي والأرجلِ والأصابعِ والأنف والآذان وفي جميعِ الأجهزة الداخلية في أجسادِ بني الإنسان .. وحتى إذا تميَّزَ فردٌ على آخَرَ بجمالٍ في الشكلِ أو الصوتِ ، فإن هذا التميّزَ لم يأتِ بجهد الإنسان ، وإنما هو هبةٌ من الله تعالى لمن يشاءُ من عباده .. وبالتالي لا يُعْتَبرُ هذا التميّزُ معيارًا للأفضلية بين الناسِ .

وتشاءُ حكمةُ الله تعالى أن يُولَدَ فردٌ في أسرةٍ ثرية ، ويعيشُ في أحضانِ الترفِ والرفاهية ، وفي فمه " كما يقولون " ملعقةٌ من ذهبٍ .. وإذا ما بلغ رُشْدَه ، وجدَ ثروةً هائلةً تنتظرُه ، ومركزًا قياديًا مرموقًا ، لم يكلفْه جهدًا أو مشقةً !!..

بينما تقتضي حكمةُ الله أيضًا أن يولدَ فردٌ آخرُ في أسرةٍ فقيرةٍ أو مُعْدِمَة تعيشُ على الكفاف ، ويعيشُ في أحضانِ الفقرِ والحاجة والمعاناة .. ويتجرّعُ كئوسَ البؤسِ والحرمان ، ويتعرّضُ للشقاء كما يتعرّضُ أحيانًا لغطرسة وكِبْرِ رؤسائه في العملِ ، أو اضطهادِ بعضِ أصحابِ السلطة أو المالِ .

وقد نجد بين " الناس اللي فوق " من الأثرياء مَنْ أكرمَهم اللهُ بالإحساسِ بسعادة العطاء ، فتراهم متواضعين في تعاملِهم مع " الناس اللي تحت " ، متعاطفينَ مع الشرفاء منهم .. فيصادقونهم ويعتزّون بهم ، وقد يؤازرونهم ويساعدونهم .. هؤلاء الأثرياءُ ،

أصحاب القلوب الرقيقة ، والضمائر الحيّة ، يعيشون بين الناس آمنين مطمئنين ، يستمتعون بسعادة العطاء ، ويزيدون في عطائهم .. فيبنون المدارسَ والمستشفيات المجانيةَ ، وكذلك المطاعمَ الخيريةَ .. وقد تجلّت هذه الصورُ الجميلةُ في كثيرٍ من أثرياء النصفِ الأوّلِ من القرنِ العشرين ، حيث مازالت بعضُ آثارِ كرمِهم واضحةً في بعضِ الأحياءِ الشعبيةِ القديمةِ ، حيث نرى آثارَ " السبيلِ" والمطاعمِ الخيريةِ .

ولم يكن عددُ أثرياءِ النصفِ الأولِ من القرنِ العشرين كبيرًا ... بل كان عددُ المليونيراتِ منهم يكادُ يُعَدُّ على أصابعِ اليدِ الواحدة ، من أمثالِ " طلعت حرب – عبّود – سيد ياسين – أبو رجيلة " ، ولكنهم جميعًا كانوا يستثمرون ثرواتهم وأموالَهم في بلدهم مصرَ ، لإنعاشِ الاقتصادِ المصريِّ ، بإنشاءِ البنوكِ والمصانعِ والشركات ، كبنكِ مصرَ ، الذي أسّسه " طلعت حرب" وشركاتِ البواخرِ التي أسّسها " عبّود " ، ومصانعِ الزجاجِ التي أنشأها "سيد ياسين " ، وشركةِ النقلِ العامِ التي أنشأها " أبو رجيلة " .

تلك النهضةُ الاقتصاديةُ التي قادها أولئك المصريون الأثرياءُ الشرفاءُ ، هي التي جعلت الجنيهَ المصريَّ يساوي ثلاثَ دولاراتٍ في ذلك الوقتِ ، وينافسُ الجنيهَ الاسترلينيَّ !!..

أما في النصفِ الثاني من نفسِ القرنِ ، فقد تغيّر الحالُ إلى أسوأ مما كان من قبلُ .. رغم أن عددَ المليونيراتِ في هذه الفترةِ قد تضاعف عشرات المرات ، وقد سمعنا أن في مصرَ أكثرَ من أربعمائة مليونير ، ومنهم عددٌ من المليارديرات .. وهؤلاء الأثرياءُ الجددُ الذين كوّنوا ثرواتهم من عرقِ ودماء الشعبِ المصريِّ ، ومن خيرِ وكرمِ الأرضِ المصريةِ والنيلِ المصريِّ ، هؤلاء الأثرياءُ بأموالِهم ، فقراءٌ في عطائهم ، وفي ولائهم

للوطن الذي أعطاهم ، والشعب الذي أثْروْا على حساب عرقه ودمه .. إنهم يدّخرون أموالَهم في بنوك الدول الأجنبية ، ليساهموا في انتعاش اقتصاد بلادها ، بينما يروْن اقتصادَ بلادهم يعاني الأزمات المتتالية ، مما يضطرُ الحكومات المصريةَ المتعاقبةَ للاستدانة من الدول الخارجية ، التي تمتلئُ بنوكُها بالأموال المصرية المُدَّخَرَة أو المُهَرَّبَة !!..

ولا أدري كيف يُحسُّ هؤلاء الناس !!.. هل نَسَوْا أن مصرَ هي التي ربّتهم وعلّمتهم ، وأنهم كوّنوا ثرواتهم من كنوز أرضها ، ومن عرقِ ودماءِ وتضحيات وصبرِ شعبها ؟؟!!..ألا يسمعون النداءاتِ المتكررةَ لتشجيع الاستثماراتِ الأجنبية ؟!.. ألا يَرَوْنَ أن بعضَ الأجانبِ شرعوا في إقامة مشروعات استثماريةٍ في مصرَ ؟؟!!..

هل الأوْلَى والأجدرُ بإنشاء هذه المشروعات ، الأموالُ الأجنبيةُ أم الأموالُ المصريةُ الراكدةُ في البنوك الأجنبية ؟!.. هل تسمعون وتنظرون .. أم أنكم صُمٌ عُمْيٌ لا تسمعون ولا تُبصرون ؟!..

وإذا تأملنا بعضَ الأثرياء الذين يستثمرون "بعضَ" أموالهم في مصرَ ، فإننا نراهم يستغلونها في استنزافِ المزيد من عرقٍ ودماءِ المواطنين ، بتلك المشروعاتِ التجارية والاستثمارية والاستغلالية ، تحت مسمّياتٍ شكليةِ المظهرِ ، وقاسيةِ المضمونِ ، مثل المستشفيات الاستثمارية الخاصة ، التي تُعتبَرُ معظمُها وسائلَ ابتزازٍ واحتيالٍ ، لزيادة الأثرياء ثراءً ، وزيادة الفقراء فقرًا .. وكذلك مشروعاتِ المدارسِ الخاصة للغات ، التي تُغْري أولياءَ الأمورِ في البدايةِ ، ثم " تخربُ " بيوتَهم في النهاية !!..

ومن بعضِ الذين أَثْرَوْا أخيرًا ، نجدُ فئةً كوّنت ثرواتها من التجارةِ الحرامِ ، حيث كانوا يستوردون الأغذيةَ الفاسدةَ ، أو التي انتهت مدّةُ صلاحيتِها ، أو المجرمين الذين قاموا باستيرادِ أغذيةِ الكلابِ والقططِ ، وغيّروا أسماءَها والملصقاتِ التي عليها ،

ليأكلَها المواطنون الكادحون .. وكم من الحملات التي شنتها أجهزةُ الرقابة ، وكم من أطنانِ الموادِّ الغذائية التي أعدمتها هذه الأجهزةُ .. ومع ذلك كانت تتكررُ مثلُ هذه الصفقاتِ المحرّمة دون وازعٍ من أخلاقٍ أو من ضميرٍ ، أو خوفٍ من الله !!..

فلا مستشفياتٍ مجّانيةً ، بل استغلاليةً .. ولا مطاعمَ خيريةً ، بل أغذيةً فاسدةً ومنتهيةَ الصلاحية .. ولا إنعاشَ للاقتصادِ المصريِّ ، بل تخريبَ وتدميرَ له .. ولا مشروعاتٍ عمرانيةً تحلُّ مشاكلَ الإسكانِ وتساهمُ في تخفيفِ الضغوطِ على المواطنين ، بل مشروعاتٍ سياحيةً ، واختطافَ أجملِ مواقعِ الأراضي لإقامة القرى السياحية التي يستعصي على المواطنين الكادحين دخولُها !!..

ونحن لا نعارضُ إقامةَ هذه المشروعاتِ السياحية ، وندركُ تمامًا مدى أهميتها للدخلِ القوميِّ ، ولكننا نقولُ : أين المواطنون من كلِّ هذه المشروعات ؟!.. وقد يقولُ قائلٌ : إن الدولةَ تبني للمواطنين المساكنَ الشعبيةَ والاقتصاديةَ ، ولكن إذا نظرنا إلى هذه المساكنِ ومواصفاتها ، فسندركُ أن المواطنين الكادحين أصبحوا من الدرجة الثالثةِ أو الرابعة ، إذا لم يكونوا من الدرجة العاشرة .. وإذا نظرنا إلى أسعارِ هذه المساكنِ وقيمةِ إيجاراتها ، لأدركنا أن الهدفَ من بنائها هو الربحُ ، وليس راحةَ المواطنين .. إذ كيف تستطيعُ أسرةٌ بسيطةٌ كانت تدفعُ إيجارًا قدرُه خمسُ جنيهاتٍ فقط أن تدفعَ إيجارًا قدرُه خمسون جنيهًا وأكثر ، في المساكنِ البديلة التي تبنيها الحكومةُ ؟! هذا فضلاً عن المواقعِ البعيدةِ للمساكنِ الجديدة عن أماكنِ عملِ المواطنين ، مما يؤدّي إلى استنزافِ دخولهم المحدودةِ في أجورِ المواصلات التي تتضاعفُ بين يومٍ وآخرَ !!..

أين ضمائرُ هؤلاء المليونيرات والمليارديرات ؟!.. هل أنْسَتْهم هذه الأموالُ " الناس اللي تحت " ولم يهمّهم إلاّجَذْبُ اهتمامات وإرضاءُ " الناس اللي فوق " ؟!..

لقد امتد النسيانُ أو التناسي إلى أصحاب المناصب الرفيعة من الوزراء والمحافظين ، ورؤساء المصالح والهيئات والإدارات والشركات الحكومية ، ولم يَعُدْ اهتمامُهم بالناس " اللي تحت " بقدر اهتمامهم بكسب ثقة الناس " اللي فوق "، وذلك للمحافظة على الكراسيِّ والمناصب الفانية !!.. وربما يكونون معذورين في ولائهم للناس " اللي فوق " الذين عيّنوهم .. ولو كان اختيارُ هذه القيادات عن طريق أفراد الشعب ، لكان ولاؤهم للشعب الذي اختارهم !!..

يالشقاء الناس " اللي تحت " .. ويا لظلم الناس " اللي فوق " !!..

طوبى للأثرياء الكرماء الذين عاشوا في النصف الأول من القرن العشرين ، وهنيئًا لهم عطاؤهم ، وهنيئًا لهم عند الله جزاؤُهم !!..

وويلٌ للأثرياء البخلاء الذين ظهروا في النصف الثاني من القرن العشرين ، وفي بداية الألفية الثالثة ، وويلٌ لهم لبخلهم ، وعدمِ ولائهم وانعدامِ وفائهم .. وويلٌ للذين لا يستجيبون لصرخات الناس " اللي تحت " من عقاب الْحَكَمِ الْعَدْلِ يومَ الحساب .. حين تُرْفَعُ إلى الله شكاياتُ الناس " اللي تحت " ، ولا تنفعُ حينئذٍ وساطاتُ ولا شفاعاتُ الناس " اللي فوق " !!..

آخر فكرة ..لــ مصطفى أمين !!..

كانت تعجبُني أفكارُ الكاتبِ الصحفيِّ الراحلِ " مصطفى أمين " في عموده الشهيرِ بعنوان " فكرة " في جريدةِ " أخبار اليوم " .. ولقد أعجبتني أكثر ، آخرُ فكرةٍ كتبها ، ونُشرَتْ يوم الأحدِ الثالث عشرَ من أبريل عام ١٩٩٧ .. فقد عبّر فيها عن أمرٍ كان يشغلُ بالَ الكثيرين ممن ضاعت حقوقُهم باسمِ القانونِ ، وممن تعرّضوا للظلم باسمِ العدالةِ ، وممن ماتوا ولم يحصلوا على أيِّ حقٍّ ، ولم يُحسّوا بأيِّ عدلٍ !!.. وقال مصطفى أمين في فكرته الأخيرةِ ما يلي :

(لماذا يجيءُ الظلمُ راكبًا فوقَ صاروخٍ ، ويجيءُ العدلُ راكبًا سلحفاةً ؟!.. وأيُّ عدالةٍ هذه التي تظلمُني في دقيقةٍ وتنصفُني في ألفِ سنة ؟!.. العدلُ البطيءُ هو ثلاثةُ أرباعِ ظلمٍ ، وليس أقسى على النفسِ من ساعةٍ واحدةٍ في جحيمِ الظلمِ والظالمين !!..

ولماذا لا نفكّرُ في المحاكمِ الليليةِ التي نراها في مدينة نيويورك مثلاً ، تُرتَكَبُ الجريمةُ في الصباحِ أو الظهرِ أو العصرِ ، ويُقَدَّمُ مرتكبُها في نفسِ الليلةِ إلى المحكمةِ ، ويقرّرُ القاضي أنه بريءٌ فيُطْلَقُ سراحُه ، أو يقرّرُ أنه مجرمٌ فيلقى عقابَه ؟!..

القضايا الصغيرةُ لا تمكثُ سنوات أمامَ المحاكمِ .. لا يُلْقَى الأبرياءُ في غياهبِ السجونِ شهورًا بعد شهورٍ إلى أن يُحْكَمَ ببراءتهم .. لا يبقى الحقُّ غائبًا تائهًا مؤجلاً من جلسةٍ إلى جلسةٍ حتى يموتَ الجاني والمجنيُّ عليه من طولِ الانتظارِ !!..

ولا يضيّعُ المتقاضون وقتَهم ومالَهم ، ويمضون عمرَهم على أبوابِ المحاكمِ ، بين

تأجيلٍ للاطّلاع ، وتأجيلٍ لاستدعاء الشهود ، وتأجيل لتقرير خبير ، وتأجيل لمرض المحامي ، وتأجيلٍ لبلوغِ القاضي سنَّ الستّين بعد أن يكون قد بدأ نظرَ القضيةِ وهو في سنِّ الثلاثين !!..

لماذا يبقى صاحبُ الحقِّ ضائعًا بين أروقة المحاكم ، ومكاتبِ المحامين إذا كان في استطاعة العدالة أن تَبُتَّ في القضية في نفسِ الليلة ؟!.. المحاكمُ في مصرَ تقفلُ أبوابَها في الساعة الثانية ظهرًا.. إننا لسنا في حاجة إلى بناء دورِ محاكمَ جديدةٍ للبتِّ في مئات الآلاف من القضايا المؤجّلة ، كلُّ ما نفعلُه هو أن نعيّنَ عددًا من القضاة الليليين والكتبة الليليين .

لا أعرفُ لماذا كلُّ شيءٍ في بلادنا يختصُّ بالعدالة بطيءٌ بطيءٌ بطيءٌ ، على الرغم من كلِّ ما نسمعُه عن الثورةِ الإدارية !!.. ولقد كان من الواجب أن تبدأَ الثورةُ الإداريةُ من القضاء ، وننشئَ القضاءَ الليليَّ ، فتستيقظَ القضايا النائمةُ ، ولا نسمعَ أن قضيةً مضى عليها أكثرُ من عشرين سنةً في المحكمة ، ولا نسمعَ عن متهمين يبقون في السجنِ أكثرَ من الوقتِ اللازمِ لاستعدادِ المحامي والقاضي لنظرِ القضيةِ ، ولا نقفَ عاجزين أمامَ القضايا المتراكمةِ والحقوقِ المهضومةِ !!..

نريدُ عدالةً سريعةً ، راكبةً على صاروخٍ ، لا تقولُ للمظلومِ : سيجيءُ لك العدلُ غدًا .. إن العدلَ في الغد معناه ٢٤ ساعةً من الظلمِ ابتداءً من اليومِ !!..)

ولقد صدقَ الكاتبُ الراحلُ مصطفى أمين ..

أيها المسئولون في مصرَ .. افتحوا الأبوابَ العديدةَ للعدالةِ السريعةِ .. اسمحوا

للجمعيات الأهلية والاتحادات والنقابات ، والمساجد والكنائس ، أن تشكّل مجالس " الحقّ العربيّ " التي تتكوّنُ من شخصيات قانونية ودينية واجتماعية ، لبحث بعض المنازعات التي تنشأُ بين الأفراد والأسر ، وحتى المصالح والشركات ، ليتمّ الفصلُ فيها بأسلوب " الحقّ العربيّ " الذي لا يحتاجُ إلى أكثرَ من جلسة أو جلستين ، ويتحققُ فيها ما تعجزُ المحاكمُ عن تحقيقه ، وهو اختصارُ الوقت وإزالةُ البغضاء ، واستعادةُ التفاهم والمحبة بين المتنازعين ، وتخفيفُ العبء عن المحاكم بتقليص الأعداد الرهيبة من القضايا المعروضة عليها ..

وبذلك نستطيعُ أن نقولَ للعدالة : انزلي من فوق السلحفاة ، واركبي شيئًا آخرَ ، ليس بالضرورة أن يكونَ صاروخًا ، بل يمكنُ أن يكونَ .. **حتى أرنبًا !!..**

لِـيـــهْ مِـــتْـــغَـــــرَّبْ ؟؟!!..

=======================

لَوْ صَحَفي منِّي يقرَّبْ *** يسْـأَلْني لِـيه مِـتْـغَـــرَّبْ
لَوْ يعْرَفْ رَاحْ يِسْتَغْرَبْ *** مِـنْ قُـولي ومَـعْـنَى كَلامِـي

أَنَا عُمْري مَا كُنْت أَفَكَّرْ *** أَفْـكَـاري يُـومْ تِتْـعَـكَّـرْ
والْمَلْح دَا يِصْـبَحْ سُكَّرْ *** أَوْ تِتْـغَـيَّـرْ أحْـلامِـي

أَنَا كُنْتَ اتْمَـنَّى لْبَلَدي *** أَخْـدِمْـهَا بعَـرَقِي وجَـهْـدي
دي وَصِيِّة ابُويَا وجِـدِّي *** واخْـوَالـي وكُلّ اعْـمَـامِـي

يَامَـا قَالُوا إِنّ بلادْنَـا *** مُحْـتَاجَـه لكُـلّ جِـهَادْنَـا
بإيدينَـا وإيـدْ أَوْلادْنَا *** يحْـمُوهَـا بـمَـبْدَأْ سَـامِي

أَنا فَاكِرْ ابُويَـا وعَـمِّي *** غَـرَسُـوا فْ وُجْدَاني ودَمِّي
لاجْلَ اجْعَلْ فِكْري وهَمِّي *** لِبْـلادي طُـولْ أَيَّـامِـي

أَنَا يَامَا سِهِرْتْ لَيَالِي *** والنّومْ نَادِرْ لَوْ جَالِي

وبْعَزْم حَدِيدْ ورِجَالِي *** علشان تحقيقْ أَحْلامِي

يَامَا جُعْتْ عَشَانَ اتْعَلِّمْ *** وَلا كُنْتَ اشْكِي واتْظَلِّمْ

وصِبْرْت وَانَا بَاتْأَلِّمْ *** وَانَا شَايِفْ نَاسْ قُدَّامِي

عَايْشَه فِي قُصُورْ مِرْتَاحَه *** فِي الْمَالِ الْعَامْ سَفَّاحَه

ضَمَايِرْهُمْ عَاوْزَه جِرَاحَه *** أَخْلاقْهُمْ نُوعْ إِجْرَامِي

واللِي بْيِشْقَى وبْيِتْعَبْ *** بِيْقَاسِي كْتِيرْ ولا يِكْسَبْ

غِيرِ اللِّي يْنَامْ أَوْ يِلْعَبْ *** وكْتِيرْ عَامْلِينْ لُه مُحَامِي

قَضِّيتْ سَنَوَاتْ فِي عَذَابِي *** بِينْ عَقْلِي يَانَاسْ وكْتَابِي

ولَقِيتْنِي فْ عِزِّ شَبَابِي *** مِشْ لاقِي غِيرْ أَوْهَامِي

لا آمَالْ فِي مُسْتَقْبَلْنَا *** ولا خَطْوَه تْغَيَّرْ حَالْنَا

مِ اللِّي بْيُخْطُرْ عَلَى بَالْنَا *** ولا شِيءْ وَاضِحْ لِي أَمَامِي

مشْ لاقي حَـتَّى وظيفَــه *** ولا أكْـله وْهـدْمه نْظـيفَــه

ولا يُمْكنْ شُـغْلَه شَـرِيفه *** تِنْـفَـعْ أَمـْني وسَـلامـي

وانْ جيتْ في مَرَّه اتْكَلِّمْ *** واسْـأَلْ أنـا ليـه باتْعَـلِّمْ

وازَّايْ نرْضَـى ونْسَـلِّمْ *** أرْزَاقْـنا لأَيِّ حَـرامـي

يقُولُولي اسْكُتْ يَا أَخـينَا *** ولا تفْـتَحْ عـينَكْ فـينَـا

والأَحْـسَـنْ ليكْ هَوِّينَـا *** وبَلاشْ خَـيَالاتْ أَفْلامـي

واللّي بـيْـنـافِقْ فيهَـا *** واللّي بينْهَـبْ أَرَاضـيهَا

أَهُو دَه اللّي بْيِنْفَـعْ ليـهَا *** ولا يِنْفَـعْ فيهَا عـصَامي

لَوْ يومْ فَكَّـرْتَ اتْجَـوِّزْ *** مَا قْدَرْشَ اسْـكُنْ ولا اجَهِّزْ

وأعـيشْ حَـيْرَانْ ومْبَوِّزْ *** ويْمُـوتْ حُـبِّي وغـرَامي

بَصِّـيتْ لبـْلادْ وبْعـيدَه *** وشُـعُوبْهَا عَـايْشَـه سَعيدَه

حُـرَّه فْ أَفْكَارْ وعَـقيدَه *** عَلَى طُولْ ورَبَطْت حـزَامي

سـبْتِ الأوْطَانْ متْحَسَّـرْ *** بعْـد الأَمَلِ اللّي اتْكَـسَّـرْ
رُحْـت الْغُـرْبـه ومتْأثّرْ *** عَلَشَـانْ ده مَا كَانْش مَرَامـي

لَمَّـا أثْـبْـتّ جَدَارَه *** مَا لا قِـيتْـش نَاسْ غَـدَّارَه
ولا قُلْت فْ يُومْ يَا خسَارَه *** ورَصِـيدي دَايْـمًا نَـامـي

وحْـيَاتَكْ بَقَـى بالذِّمَّـه *** مِنْ بَعْـد مَا قُـلْت الْـكـلْمَـه
مِشْ بَرْضُه فِهِمْت الْحِكْمَه *** مِـنْ قَـولي ومَـعْـنَى كَلامي؟؟!!

======

****

======

لسانُك مفتاحُ الهلاكِ أو النجاةِ !!..

اللسانُ ، ذلك العضوُ الصغيرُ الذي يسكنُ في فمِ الإنسانِ ، يمكنُ أن يكونَ سببًا في هلاكِ صاحبه ، كما يمكنُ أن يكونَ سببَ النجاة أيضًا ، في الدنيا والآخرة .. ويقولُ الْمَثلُ العامِّيُ : (لِسَانَكْ حِصَانَكْ ، إنْ صُنْتُه صَانَكْ ، وانْ هنْتُه هَانَكْ) !!..

وكثيرًا ما يتكلمُ الإنسانُ فيسبِّبُ من المشاكلِ ما يجعلُه يندمُ على كلامه ، ولذلك قال الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم : (مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليَقُلْ خيرًا أو ليَصْمُتْ) .. ويمكنُ لكلمةٍ تخرجُ من اللسانِ أن تسبِّبَ الكراهيةَ والبغضاءَ بين الأصدقاءِ ، وتوغرَ الصدورَ ، بل يمكنُ أن تُوقعَ بين الأُسَرِ ، فتخلقَ العداوةَ بينها ، بل إنّ بعضَ الحروبِ التي استمرتْ لسنواتٍ طويلةٍ كانت بسببِ كلماتِ صلفٍ وغرورٍ ، صدرتْ من ألسنةِ بعضِ الحكّامِ ، أوبسببِ وشايةٍ كاذبةٍ أطلقَها لسانُ أحدِ الحاقدين .

ويقولُ الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم : (لا يُبلِّغْني أحدٌ عن أصحابي شيئًا ، فإني أُحبُّ أن أخرجَ إليهم وأنا سليمُ الصدرِ) .. وحذّرَنا الرسولُ الكريمُ أيضًا من أن اللسانَ يؤدِّي إلى هلاكِ صاحبه ، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ : (هلاكُ المرْءِ بين فكّيْه) ، كما قالَ لمن يريدُ السلامةَ في الحياة الدنيا والآخرة : (أَمْسكْ عليك لسانَك ، ولْيَسَعْكَ بيتُك ، ولْتَبْكِ على خطيئتك) !!..

والصمتُ يكونُ أحيانًا أفضلَ من الكلامِ ، إذ لا يترتبُ على الصمت شرٌّ .. وقال حكيمٌ : " إذا كان الكلامُ من فضة ، فإن السكوتَ من ذهب " .. وقديمًا قالَ الزعيمُ الهنديُّ " غاندي " : " كثيرًا ما تكلمتُ فندمتُ ، أما عن سكوتي فلم أندمْ قطُّ " !! ولو رجعَ كلٌّ منا بذاكرته إلى الوراءِ ، إلى أسبابِ القطيعة أو سوءِ الفهمِ الذي حدثَ بينه وبين أحدِ أصدقائه أو أقربائه ، لوجدَ أنّ السببَ هو ما نطقَ به اللسانُ !!..

ولو عرفنا وتذكّرْنا دائمًا أن هناك رقيبًا عتيدًا يُسَجِّلُ علينا ما تلفظُه ألسنتُنا ، لما أطلقْنا العنانَ لهذه الألسنة ، ولفكّرْنا ألفَ مرّةٍ قبل أن يُخْرِجَ اللسانُ الكلماتِ !!..

ولْنقرأْ معًا القصةَ القصيرةَ التاليةَ ، لعلها تكونُ لنا عبرةً وعظةً في هذا المقامِ !!

حَكَى عبدُ الله بنُ المباركِ رحمَه اللهُ قالَ : خرجتُ حاجًّا إلى بيتِ الله الحرامِ ولزيارة نبيِّه عليه الصلاةُ والسلامُ .. فبينما أنا في الطريقِ إذ أنا بسوادٍ أمامي ، فتميّزتُه ، فإذا هي عجوزٌ عليها ثوبٌ من صوفٍ وخمارٌ من صوفٍ أيضًا ، وقد دارَ بين عبدِ الله بن المباركِ والعجوزِ هذا الحوارُ :

قال : السلامُ عليك ورحمةُ الله وبركاتُه .
فقالت : (سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيم) .
فقال : رحمَكِ اللهُ ، ما تصنعين في هذا المكان ؟!..
قالت : (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلا هَادِيَ لَهُ) .

فعرفَ عبدُ الله بنُ المباركِ أنها ضلّت الطريقَ .. فقالَ لها :

أنت ضالّة عن الطريق .. فأين تريدين ؟

قالت :(سُبْحَانَ الذي أَسْرَى بِعَبْدِه لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصى) .

فقال : تريدين بيتَ المقدس ؟.. ولكن .. كَمْ عليكِ في هذا المكان ؟

فقالت : (ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) .

قال : ما أرى معك طعامًا تأكلين !!

فقالت : (هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِين) .

قال : فبأيِّ شيءٍ تتوضئين ؟

قالت : (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا) .

فقال : إن معيَ طعامًا ، فهل لك أن تأكلي ؟

قالت : (ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) .

فقال : لقد أُبيحَ لنا الإفطارُ في السفر .

قالت : (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون) .

قال : لمَ لا تكلمينَني مثلَ ما أُكلِّمُك ؟!..

قالت : (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) .

قال : فمن أيِّ الناس أنت ؟

قالت : (وَلاتَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) .

قال : لقد أخطأتُ في ذلك ، فاجعليني في حلٍّ .

قالت : (لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ) .

قال : فهل لك أن أحملَك على ناقتي فتُدركي القافلةَ ؟

قالت : (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ) .

وأناخ عبدُ الله الناقةَ للعجوز لتركب ، فقالتْ :
(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) .

وغضَّ عبدُ الله بنُ المبارك بصرَه .. ولما أرادت العجوزُ أن تركبَ ، نفرَتْ الناقةُ فمزّقتْ ثيابَها فقالتْ :
(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) .
فقالَ عبدُ الله : اصبري يا أختاه .
فقالت عندما ركبتْ : (سُبْحَانَ الذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) .

وأخذَ عبدُ الله بزمامِ الناقة ، وجعلَ يُسْرِعُ في مَشْيِه ، ويصيحُ بالغناء ، فقالتْ العجوزُ : (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) .

فجعلَ عبدُ الله يمشي رويدًا رويدًا ، ويترنّمُ بالشِّعرِ ..
فقالتْ العجوزُ : (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) .

فسكتَ عبدُ الله قليلاً ثم قالَ لها : لقد أُوتيتِ خيرًا كثيرًا .
فقالتْ : (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُو الأَلْبَابِ) .
فقال عبدُ الله : أودُّ أن أسألَك .. هل لكِ زوجٌ ؟
فقالتْ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) .

وسكتَ عبدُ الله فلم يكلّمْها حتى أدركَ القافلةَ ، فسألَها : مَنْ لكِ في القافلة ؟
قالتْ : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) .

قال : وما شأنهم " أي وظيفتهم " في الحجّ ؟
قالتْ : (وعلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) .

وبدأ يسيرُ نحوَ العمارات ، ثم قالَ لها : أبناؤك أولاءِ الرَّكْب ، فمن لك في هذه القباب والعمارات ؟
فقالتْ : (وَاتَّخَذَ اللهُ ابرَاهِيمَ خَلِيلاً) .. (وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) .. (يَا يَحْيى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) .

ونادَى عبدُ الله على أبنائها ، ابراهيمَ وموسى ويحيى ، فوجدَهم شبابًا على أجملِ صورة .. ولما استقرَّ بهم الجلوسُ ، قالتْ لهم أمُّهم :
(فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ) .
ومضَى أحدُهم فاشترى طعامًا ، وقدّموه بين يَدَيْ عبد الله ، ولكنه رفضَ أن يأكلَ حتى يخبرَه الأبناءُ بأمْرِ أمِّهم .. فقالوا له : هذه أمُّنا ، لم تتكلمْ منذ أربعين سنةً إلاّ بالقرآن مخافةَ أن تزلَّ فيسخطَ عليها الرحمنُ بعدما عَلمَتْ أن كلَّ كلمةٍ تنطقُ بها تُسَجَّلُ عليها ، فأبَتْ أن يُسَجَّلَ في كتابها إلاّ القرآنُ . فقال عبدُ الرحمن : (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) !!..

ولعل لنا في هذه القصة العبرةَ والعظةَ حتى نصونَ ألسنتنا ، فلا ننطقُ إلاّ بخيرٍ ، عسى اللهُ أن يغفرَ لنا ، وأن يعصمَنا من الزَّلَلِ ، وأن يكتبَ لنا النجاةَ في الدنيا والآخرةِ !!..

صَاحِبْ مَبْدَأ !!..

ميـــن يقـــدرْ بَسّ يقوللّي *** على وَصْــفــه تريَّحْ بالي
وانا أمشـــي عليهــا تمللّي *** يمكـــن يتغـــيّـــرْ حـــالي

باقبض م الجنيهات ١٠٠ *** لا ٢٠٠ ولا ٣٠٠
مش كافية تجيب طعميّة *** ولا حتى لبّ تسالي

احترت لمين بسّ اشكي *** م اللّي بيحصل أو أحكي
وانا طول الأيام بابكي *** من كُـــتْرِ اللّي بيجـــرالي

وكتـــير ناس بيطالبوني *** بحـــقوقهم ويعـــايرونـــي
على فقري وكُتْر ديوني *** إكمنّ فلوســـي حلالـــي

لو كنت بامدّ ف إيـــدي *** أو اقول للكلب يا سيدي
كان يبقى اليوم يوم عيدي *** والكل يقول تعـــالي لـــي

إكمنّي باخاف من ربّي *** ولســـاني صورة لقلبـــي

ماعرفش أداري واخبّي *** ع الحــق باقول طوّالــي

أتاريهم في الأيــام دي *** ما يحبّوش الأصــناف دي

والناس اللّي من عهدي *** من عــهد قديم أو بالــي

ما بقاش للمبدأ قــيمة *** ولا فــي أفلام السّــيما

بيقولوا دي موضة قديمة *** واللّي بيعشــقها خيالــي

وقالولي انت يافــندينــا *** ما تفوق واصْحَى يا أخــينا

لو تســمح بقى هوّينــا *** يا تخــلّيك راجــل آلــي

لا بيســمع ولا يتكلّم *** وان شــاف ظلم ما يتظلّم

ولا يفــرح ولا يتــألّم *** وكفــاية إســمه رجالــي

إســمعها منّا نصــيحة *** لو حتى شــفت فضــيحة

أو فاحت منها الرّيــحة *** لو ناصــح قول وانا مالــي

حاتعــيش رايق متهنّــي *** وف طول لياليــك بتغنّــي

وعشــان تقدر تفهمنــي *** مهمــا حَصَــلْ لا تبالــي

مش قادر اصدّق وِدْني *** النـــاس عـــاوزة تعوّدنـــي
ع الباطل وتعاهدنـــي *** علشان الجيب ماهو خالـــي

هوّ الإنسان بفلوسُه ؟! *** علشـــان الناس ماتبوسُـــه
ويا إمّا الدنيا تدوسُـــه *** لو كان المـــبدأ غـــالـــي ؟!

لو إن بكايـــا ونوحـــي *** وآلامي جـــوّه جروحـــي
أو حتى يا ناس لو روحي *** حاتروح قُـــدّام عُـــزّالـــي

دا المـــبدأ هوّ حياتـــي *** واللّي مْصَبَّرْنـــي يوماتـــي
ع الظلم وكل آهاتـــي *** أو حـــتى الموت لو جالـــي

لو لقمة بملح ناكلها *** واللحمة مش حـــانطولـــها
مبادئنـــا ما نبدّلهـــا *** لو جُـــعْـــنَا أنا وعيالـــي !!..

===========

===========

الدعوةُ الإسلاميةُ وتحدياتُ اليومِ !!..

تواجهُ الدعوةُ الإسلاميةُ هذه الأيامَ عدّةَ تحدّياتٍ خطيرة ، لم تواجه الأمةُ الإسلاميةُ مثلَها منذ ظهورِ الإسلامِ وحتى اليوم ! هذه التحدّياتُ هي التي تعوقُ القدرةَ على ممارسة الدعوة الإسلامية الصحيحة ، والتي تحققُ الهدفَ منها ، وهو إظهارُ الجوهرِ الحقيقيِّ لمبادئ الإسلامِ التي تدعو إلى عبادة الله وحدَه والإيمان به وبكتبه وملائكته ورسله وباليوم الآخرِ ، كما تدعو إلى نشرِ الحقِّ والعدلِ والمساواة والسلامِ بين جميع بني الإنسان ، على اختلاف عقائدهم ودياناتهم وجنسياتهم وألوانهم ولغاتهم ، باعتبارِ أن الناسَ جميعًا هم عبادُ الله ، وأن الدّينَ هو صلةُ العبد بربِّه .. وأن الدعوةَ الصحيحة للإسلام تكونُ بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما أمرَ اللهُ تعالى في قوله :[ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ]" ١٢٥ النحل " وأن الدعوةَ تكونُ مبنيةً على التوعية والإقناعِ ، وليس على الإكراه ، كما بيّن اللهُ تعالى بصورةٍ بيّنة وحاسمة لا تقبلُ الجدالَ في قوله تعالى : [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ] " ٢٥٦ البقرة " . وإذا أردنا أن نمارسَ الدعوةَ الإسلاميةَ بأسلوبٍ سليمٍ يحققُ أهدافَها ، فعلى أبناء الأمة الإسلامية على اختلاف مواقعهم ووظائفهم أن يُدركوا حقيقةَ التحدّيات التي تواجهُ مسيرةَ الدعوةِ الإسلامية هذه الأيام ، وتتضحُ هذه التحدّياتُ في النقاط الآتية :

١- انتشارُ الفسادِ في معظمِ المجتمعات الإسلامية وبعدُها عن تعاليمِ الإسلامِ ، وعدمُ تطبيقِ الشريعةِ الإسلاميةِ .

٢- وقوعُ عدد كبيرٍ من شباب المسلمينَ في براثنِ الفساد وانسلاخُهم من قيم الإسلام ومُثُله العليا ، والانخراطُ في تيارات المدنية الزائفة والدعاوى المغرضة التي تدعو إلى التحلّلِ من قيود الأديان ، بحجة الدفاع عن الحرّية الشخصية للإنسان .

٣-السلبيّةُ الزائدةُ وقصورُ الأداء لدى معظمِ علماء المسلمينَ إزاءَ الدعوات المعادية للإسلامِ ، والتي اتّسعتْ دائرتُها في هذا العصرِ حتى شملتْ معظمَ أنحاء العالمِ ، والتحوّلُ الخطيرُ في مهامِ معظمِ هؤلاء العلماء ، من العملِ الخالصِ لله تعالى ، إلى العملِ لإرضاء الحكّامِ والإفتاء بما يوافقُ أهواءَ السلاطين ، مما نفّرَ عددًا كبيرًا من عامّة المسلمين من علمائهم وصَرَفهُم عن الاستماعِ إلى أحاديثهم أو الاقتناعِ بفتاواهم .

٤-ظهورُ الفرَقِ والجماعاتِ الإسلامية المختلفة نتيجةً لضعف تأثيرِ القيادات الدينية المعاصرة ، وتفشّي هذه الخلافات وتزايد حدّتها حتى وصلتْ إلى حدِّ تكفيرِ بعضها بعضًا ، وتبادل الاتهامات ، وراحت كلُّ فِرْقَة تعتقدُ أنها هي وحدَها التي على صوابٍ وأن غيرَها من الفرَقِ على ضلالٍ . ونَسيَتْ هذه الفرَقُ المختلفةُ أن الرسولَ صلى اللهُ عليه وسلم أمَرَنا بعدمِ الاختلافِ في قوله الشريف عن عبد الله : (لا تختلفوا فإنَّ مَنْ قَبْلَكُم اختلَفوا فهلكوا) .

٥-تطرّفُ بعضِ هذه الجماعات تطرّفًا لا يُقرُّه الإسلامُ ولا يُنادي به ، حتى وصلَ الأمرُ ببعضِ هذه الجماعاتِ إلى ممارسة العنف ضد مجتمعاتهم وضدَّ الأبرياء من مواطنيهم وممارسة العنف ضد حكومات بلادهم مما أدّى بهذه الحكومات إلى مقاومة العنفِ بأعنف منه ، مما زاد حدّةَ التوتّر بين هذه الجماعات وبين نُظُم الحكمِ المختلفة .

٦- هروبُ عددٍ كبيرٍ من عناصرِ هذه الفرَقِ المتطرّفة إلى دولٍ أخرى ، وممارسةُ نشاطهم بوسائلَ متطرّفة لفتتْ أنظارَ العالمِ إلى خطورتهم ، وقد يكونُ من بين هؤلاء المتطرّفين من يُخلصُ في جهاده في سبيلِ الله دفاعًا عن الإسلامِ ، وهو معذورٌ ، لافتقاده

القدوة الواعيةَ المسئولةَ من علماء المسلمين ، وكبْت القيادات الحاكمة لأصواتهم وعدمِ الاستماع إليهم ومحاورتهم ، وعدمِ إتاحة الفرصِ لهم للتعبيرِ عن آرائهم ، وهذه من أكبرِ أخطاءِ الحكوماتِ التي لا تحترمُ الرأيَ والرأيَ الآخرَ .

٧- خلوُّ المناهجِ التعليمية في عددٍ كبيرٍ من الدولِ الإسلامية من التعاليمِ الإسلاميةِ الصحيحة ومن السِّيَرِ العطرةِ والقدواتِ الطيبة من السلفِ الصالحِ الذين أناروا البشريةَ بنورِ الهداية المحمدية وبالسلوكيات الطيبة والأخلاقيات الحميدة .

٨- تحوّلُ بعضِ البلادِ الإسلامية من النظامِ الإسلاميِّ إلى النظامِ العلمانيِّ الذي يفصلُ بين الدينِ والحكمِ ، والذي يُحجِّمُ دَوْرَ الدّينِ ويُحدُّ من دَوْرِ النشاطِ الدّينيِّ في بلادهم مما يزيدُ من الكبتِ وتفريخِ المتطرّفين .

٩- ظهورُ العداء السافرِ والخطيرِ للإسلامِ والمسلمينَ لَدَى غيرِ المسلمينَ من جميعِ المِلَلِ الأخرى ، والتي أظهرتْ عداءَها بوضوحٍ لم يظهرْ له مثيلٌ من قبلُ ، لاطمئنانهم وإدراكهم لضعفِ المسلمينَ وتخاذلهم وتفرّقهم وتناحرهم وتصارعهم على الحكمِ ، ولو كان على حسابِ وحدتهم وتآلفهم ، وانعدامِ الثقة بين الحكّامِ والمحكومين ، كلُّ هذا مما شجّع أعداءَ الإسلامِ على التضامنِ فيما بينهم والتخلّي عن الخلافِ والعداء المعروفِ بينهم ، وتوحيدِ جهودهم لتحقيقِ هدفٍ واحدٍ مشتركٍ هو ضربُ الإسلامِ وكسرُ شوكة المسلمين ، وراحوا يتهمونَهم بممارسةِ الإرهابِ ، ويُحرّضون المجتمعَ الدّوليَّ ضدَّ المسلمين ، وتحالفَ الموتورون والحاقدون من الشرقِ والغربِ وأعدّوا قوّتَهم وسخّروا إمكانياتهم العسكريةَ والتكنولوجيةَ لضربِ التكتلاتِ الإسلامية وتهديد المجتمعات الإسلامية الضعيفة ، وضربوا وهاجموا بكلِّ أنواعِ الأسلحة حتى المحرّمة دوليًا ، فخرّبوا المدنَ وهدموا البيوتَ ودمّروا المنشآت المدنيةَ وقتلوا المدنيين الأبرياءَ من النساءِ والأطفالِ والشيوخِ ، في حروبٍ شرسةٍ وغيرِ متكافئةٍ ، بحجّة

القضاء على الإرهاب . وللأسف الشديد فإن الطاقات المتاحة اليوم مشتتةٌ ، والصحوة الإسلاميةَ الحاليةَ مؤسساتُها ضعيفةٌ ، وقدراتُها مشتتةٌ ، والفرَقُ المختلفةُ غيرُ قادرة على استيعاب خلافاتها وتغيير الواقع ، فهل يمكنُ لنا بهذا الواقع أن نغيّرَ من أمرنا الحالي إلى ما نتطلعُ إليه من تحقيق الدعوة الإسلامية الصحيحة ؟!..

(إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم) "١١الرعد"

وعلى الأمة الإسلامية بأفرادها وعلمائها وفرَقها وفصائلها ، أن تعيدَ حساباتها ، وأن توحِّدَ شملَها ، وأن تجتمعَ على هدفٍ واحدٍ وأن تتفقَ في الأساليب ولا تختلفَ ، وأن تتخلّى عن التعصّبات والقَبَليّات والمجادلات العقيمة ، وأن يكونوا جميعًا على قلب رجلٍ واحدٍ ، فتشتدُ شوكتُهم وتتوحّدُ كلمتُهم ، وتتضاعفُ قدرتُهم ، فيعملُ الأعداءُ لهم ألفَ حساب !

ولابد أن يكونَ ظننُا بالله حسنًا وبلا حدود ، وأن نثقَ في نصرِ الله القريب ، فيكونَ اللهُ عند ظننّا به ، ونصرُ الله ليس بعزيزٍ على المؤمنين ، وقدرةُ الله تعالى مطلقةٌ ومشيئتُه نافذةٌ ، فهو سبحانه القائلُ : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. وَمَا أَمْرُنَا إِلاّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) "٤٩-٥٠ القمر" وقال تعالى : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون) "٨٣ يس" وقال عليه الصلاةُ والسلامُ : (ليبلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بَلَغَ الليلُ والنهارُ ولا يتركُ اللهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلاّ أدخلَه اللهُ هذا الدينَ بعزِ عزيزٍ أو بذُلِ ذليلٍ ، عزًا يُعزُّ اللهُ به الإسلامَ وذُلاً يُذلُّ به الكُفْرَ) .. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ : (إن اللهَ يبعثُ لهذه الأمة على رأسِ كلِ مائة سنةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لها دينَها) . كما قال صلى اللهُ عليه وسلم : (بشِّرْ هذه

الأُمَّةَ بالسناءِ والنصرِ والتمكينِ ، فَمَنْ عَمِلَ منهم عَمَل الآخرةِ للدنيا لم يكنْ له في الآخرةِ نصيبٌ) .

ونسألُه تعالى أن يجعلَنا من عبادِه الذين يَرْضَى عنهم ويُدخلُهم في رحمتِه ويكتبْ لهم النصرَ المبينَ .

الشفاءُ من السِّحْرِ

كثيرٌ من الناسِ يعتقدون في السحرِ ، ويلجأون إليه لتحقيقِ ما يتمنون .. والسحرُ موجودٌ ولا يستطيعُ أحدٌ أن ينكرَه ، وهو مذكورٌ في آياتٍ كثيرةٍ في القرآنِ الكريمِ ، كما ذُكِرَ أيضًا في التوراةِ والإنجيلِ . ولكن بعضَ الناسِ ممن لا ضميرَ لهم ، استغلوا سذاجةَ البعضِ من المتضررين ، وراحوا يخدعونهم ويدّعون أنهم يستخدمون السحرَ لإزالةِ الضررِ عن المضرورين ، وتحقيقِ السعادةِ للراغبين ، وما هم في الحقيقةِ إلاّ دجّالون ، و على السُذّجِ ينصبون ويحتالون .

ولكن هذا لا يمنعُ من وجودِ بعضِ الذين يمارسون السحرَ ويجيدونه ، ومنهم من يستخدمونه في الخيرِ ، ومنهم من يستخدمونه في الشرِّ .. والسحرُ حقيقةٌ واقعةٌ ، ومنه ما يكونُ بخفةِ اليدِ كالشعْوَذةِ ، ومنه ما يكونُ كلامًا يُحْفَظُ ورُقًى ، من أسماءِ اللهِ الحسْنَى ، وقد يكونُ من عهودِ الشياطينِ ، ويكونُ أدويةً وأبخرةً وغيرَ ذلك .

ويقولُ اللهُ تعالى : (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ، وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ، وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ ، وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (١٠٣ – البقرة) .

وقال تعالى في قصة سَحَرَة فرعونَ : (وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) ، وعن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : سَحَرَ رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم يهوديٌّ من يهودِ بني زُرَيْقٍ يُقالُ له لَبيدُ بن الأعْصَم" الحديث" وفيه : أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قال لَمّا حُلَّ السّحرُ: (إن اللهَ شفاني) والشفاءُ إنما يكونُ برفعِ العلّةِ وزوالِ المرضِ ، وهذا يدلُّ على أنّ السحرَ حقيقةٌ ، وهو مقطوعٌ به بإخبارِ الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه ، وعن ابنِ عباسٍ قال : عُلّمَ السّحرُ في قريةٍ من قرى مصرَ يُقالُ لها (الفَرَمَا) ، فمن كذّبَ به فهو كافرٌ ، مُكَذّبٌ للهِ ورسوله ، مُنْكرٌ لما عُلمَ مشاهدةً وعياناً . (من مختار تفسير القرطبي ص ٧٤)

هل يجوزُ أن يُسْأَلَ السّاحرُ حلَّ السّحرِ عن المسحورِ ؟

وقد أجازه سعيدُ بنُ الْمُسَيَّبِ على ما ذكَرَه البخاريُّ ، وإليه مالَ الْمُزَنيُّ ، وقال الشعبيُّ : (لا بأسَ بالنُّشْرَةِ) ، والنُّشرةُ هي ضَرْبٌ من الرُّقْيَةِ والعلاجِ ، يُعالَجُ به من كان يُظَنُّ أن به مسًّا من الجنّ ، لأنه يُنْشَرُ بها عنه ما خامرَه من الدّاءِ ، أي يُكْشَفُ ويُزالُ .

وقال ابنُ بطّالٍ في علاجِ السّحرِ : أن يأخذَ سبعَ ورقاتٍ من سدْرٍ أخضرٍ فيدقَّه بين حجرين ثم يضربَه بالماء ، ويقرأ عليه آيةَ الكرسيِّ ، ثم يحسو منه ثلاثَ حسواتٍ ويغتسلَ به ، فإنه يُذْهِبُ عنه كلَّ ما به ، إن شاء اللهُ تعالى ، وهو جيّدٌ للرّجلِ إذا حُبسَ عن أهله .

والسّحرُ من استخراجِ الشياطينِ ، للَطَافَةِ جوهرِهم ، ودقّةِ أفهامِهم ، وأكثرُ ما يتعاطاه من الإنسِ النساءُ ، وخاصّةً في حالِ طَمْثِهنَّ .. ولا يُنْكَرُ أن السّحرَ له تأثيرٌ في القلوبِ ، بالحبِّ والبُغْضِ وبإلقاءِ الشرورِ حتى يُفَرِّقَ الساحرُ بين المرءِ وزوجِه ، ويحولَ

بين المرء وقلبه ، وذلك بإدخال الآلام وعظيم الأسقام ، وكلُّ ذلك مُدرَكٌ بالمشاهدة ، وإنكارُه معاندةٌ .

ولشفاء المسحور :

تُقرَأُ عليه سورةُ الفاتحة ثم آيةُ الكرسيِّ ، ثم آياتُ السّحر في سُور (الأعراف — يونس — طه) ، وسُوَر (الكافرون — الإخلاص — الفلق — الناس) ثم يُقرَأُ بعضُ الدّعاء .. وسأذكرُ لك أيها القارئُ كلَ ما يُقالُ بالتفصيل في شفاء المسحور ، فيما يلي من السطور :

بسم الله الرحمن الرحيم . الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمين ، الرَّحْمَن الرَّحيم ، مَالك يَوْم الدِّين ، إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ ، اهْدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ ، صراطَ الَّذينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهمْ ، غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهمْ ، وَلاَ الضَّالّينَ . آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم .

اللّهُ لا إلَهَ إلاّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سنَةٌ ولاَ نَوْمٌ ، لهُ مَا في السَّمَاوَات وَمَا في الأرْض ، مَنْ ذَا الّذي يَشْفَعُ عنْدَهُ إلاّ بإذْنه ، يَعْلَمُ مَا بيْنَ أيْديهمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحيطُونَ بشَيْء منْ علْمه إلاّ بمَا شَاءَ ، وَسعَ كُرْسيُّهُ السَّمَاوَات وَالأرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَليُّ الْعَظيمُ .(٢٥٥ البقرة)

أعُوذُ بالله منَ الشَّيطَان الرَّجيم . بسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم .

وقَالَ مُوسَى يَا فرْعَوْنُ إنّي رَسُولٌ مّنْ رَبِّ الْعَالَمينَ . حَقيقٌ عَليَّ أنْ لاَ أقُولَ عَلَى الله إلاّ الْحَقَّ قَدْ جئْتُكُمْ ببَيّنَة منْ رَبّكُمْ فَأَرْسلْ مَعيَ بَني إسْرائيلَ . قَالَ إنْ كُنْتَ جئْتَ بآيَة

فأت بها إنْ كُنْت منَ الصّادقين . فألْقى عَصاهُ فإذا هيَ ثُعْبانٌ مُبينٌ . ونزع يدهُ فإذا هي بيْضاءُ للنَّاظرين . قالَ الْملأُ منْ قَوْم فرْعَوْن إنَّ هَذا لساحرٌ عليمٌ . يُريدُ أنْ يُخرجكُمْ منْ أرْضكُمْ فمَاذا تأْمُرُونَ . قالُوا أرْجهْ وأخاهُ وأرْسلْ في الْمدائن حاشرين . يأْتُوكَ بكُلّ ساحرٍ عَليم . وجَاءَ السَّحَرَةُ فرْعونَ قَالُوا إنَّ لَنا لأَجْرًا إنْ كُنَّا نحْنُ الْغَالبين قَال نَعَمْ وإنَّكُمْ لَمنَ الْمُقرَّبينَ . قَالُوا يا مُوسى إمَّا أنْ تُلْقيَ وإمَّا أنْ نَكُون نحْنُ الْمُلْقين قَالَ أَلْقُوا فلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْـيُنَ النَّاس واسْتَرْهَبُوهُمْ وجَاءُوا بسحْرٍ عَظيم . وأَوْحَيْنا إلى مُوسَى أنْ ألْق عَصَاكَ فإذَا هيَ تَلْقفُ مَا يأْفكُونَ . فوقع الْحقُّ وبَطل ما كَانُوا يعْمَلُونَ . فغُلبُوا هُنالكَ وانْقَلَبُوا صَاغرينَ . وأُلْقيَ السَّحَرةُ ساجدين . قالُوا آمنّا برَبِّ الْعالَمين . ربِّ مُوسَى وَهارُونَ . (١٠٤ - ١٢٣ الأعراف)

أَعُوذُ باللهِ منَ الشَّيْطَان الرَّجيم . بسْمِ الله الرَّحْمَن الرّحيم .

فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحقُّ منْ عنْدنا قالُوا إنَّ هَذا لَسحْرٌ مُبينٌ . قال مُوسى أتقُولُون للْحَقِّ لمَّا جَاءكُمْ أَسحْرٌ هذا ولاَ يُفْلحُ السَّاحرُونَ . قالُوا أجئْتنا لتلْفتَنا عمَّا وَجدْنا عليْه آباءنا وتَكُون لكُما الْكبْرياءُ في الأرْض ومَا نَحْنُ لكُمَا بمُؤْمنين . وَقالَ فرْعونُ ائْتُوني بكُلّ سَاحرٍ عَليم . فلَمَّا جَاءَ السَّحرَةُ قالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا ما أنْتُمْ مُلْقُون . فلمَّا أَلْقَوْا قال مُوسى ما جئْتُمْ به السّحْرُ إنَّ اللهَ سيُبْطلُهُ إنَّ اللهَ لا يُصْلحُ عمل الْمُفْسدين . ويُحقُّ اللهُ الْحَقَّ بكَلماته ولَوْ كَرهَ الْمُجْرمُون . (٧٦ - ٨٢ يونس) .

أَعُوذُ باللهِ منَ الشَّيطَان الرَّجيم . بسْم الله الرَّحمَن الرَّحيم .

قالَ أجئْتنا لتُخْرجَنَا منْ أَرْضنَا بسحْركَ يَا مُوسى ، فلنَأْتيَنَّكَ بسحْرٍ مثْله فاجْعَلْ بيْننا وبيْنكَ موْعدًا لاَ نُخْلفُهُ نَحْنُ ولاَ أَنْتَ مَكانًا سُوًى ، قال موْعدُكُمْ يوْمُ الزّينة وأنْ

يُحشرَ النّاسُ ضُحًى، فتولّى فِرْعَوْنُ فجمع كيْدهُ ثُمّ أتى ، قال لهُمْ مُوسى ويْلكُمْ لا

تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فيُسْحتكُمْ بعذاب وقدْ خابَ منِ افْترى ، فتنازَعُوا أمْرَهُمْ بيْنهُمْ وأسَرُّوا النَّجْوى ، قالُوا إنْ هَذَان لساحران يُريدَان أنْ يُخْرجَاكُمْ منْ أرْضكُمْ بسحْرهما ويَذْهبا بطَريقَتكُمُ الْمُثْلى . فَأَجْمعُوا كيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صفًا وَقدْ أفْلَحَ الْيوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى. قالُوا يامُوسَى إمّا أنْ تُلْقيَ وَإمَّا أنْ نَكُون أوّلَ منْ ألْقَى. قَالَ بَلْ ألْقُوا فإذَا حبَالُهُمْ وعصيُّهُمْ يُخيَّل إليه منْ سحْرهمْ أنّها تَسْعَى . فَأَوْجَسَ في نَفْسه خيفَةً مُوسَى . قُلْنَا لاَ تَخفْ إنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى . وَألْقِ مَا في يَمينكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إنَّمَا صَنعُوا كَيْدُ سَاحرٍ وَلاَ يُفْلحُ السَّاحرُ حَيْثُ أتَى . فَأُلْقيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءامَنَّا برَبِّ هَارُون وَمُوسَى . " ٥٧ – ٧٠ – طه " .

بسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم .
قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافرُونَ . لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . ولاَ أَنْتُمْ عَابدُونَ مَا أعبُدُ . وَلاَ أَنَا عَابدٌ مَا عَبَدْتُمْ . وَلاَ أَنْتُمْ عَابدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دينُكُم وَليَ دين .

بسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم .
قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يلدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَم يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ .
(ثلاث مرّات) .

بسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم .
قُلْ أَعُوذُ برَبِّ الْفَلَق . منْ شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمنْ شَرِّ غَاسقٍ إذَا وَقَبَ . وَمنْ شَرِّ النَّفَّاثات في الْعُقَد . وَمنْ شَرِّ حَاسدٍ إذَا حَسَدَ . (ثلاث مرّات) .

بسْم الله الرّحْمن الرّحيم .
قُلْ أعُوذُ بربّ النّاسِ . مَلِك النّاس . إله النّاس . منْ شرّ الْوسْواس الْخنّاس . الّذي يُوسْوسُ في صُدُورِ النّاسِ . منَ الْجنّة والنّاسِ . (ثلاث مرّات)

ثم يُذكرُ الدّعاءُ الآتي :

اللهمّ ربّ النّاسِ أذْهبْ الْبأْسَ ، واشْفِ أنتَ الشّافي لا شفاءَ إلاّ شفاؤك ، شفاءً لا يُغادرُ سقمًا . (ثلاث مرّات) .

بسْمِ الله أرْقيك ، من كلّ شيءٍ يُؤذيك ، ومن شرّ كلّ نفسٍ أو عينِ حاسدٍ الله يشفيك بسم الله أرْقيك . (ثلاث مرّات) .

أعُوذُ بكلمَاتِ الله التّامّاتِ منْ شرِّ مَا خَلَقَ . (ثلاث مرّات) .

بسْمِ الله الّذي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمه شَيْءٌ في الأَرْضِ وَلاَ في السّمَاءِ وَهُوَ السّميعُ الْعَليمُ . (ثلاث مرّات) .

وصلّى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم .

وبإذنِ الله يزولُ الدّاءُ ويتمُّ الشفاءُ ، إنه سميعٌ قريبُ الدّعاءِ !

قَدْ تَرَى الْخَيْرَ فِي بَاطِنِ الشَّرِّ !!..

كثيرٌ من الناس يتشاءمون إذا تعرّضوا لبعض المواقف التي يفقدون فيها شيئًا ، أو إذا فاتَهم موعدُ قطارٍ أو طائرةٍ أو أوتوبيس ، أو إذا تعطّلتْ بهم السيّارةُ في الطريقِ ، أو إذا غَدَرَتْ بهم الزوجاتُ ، أو إذا فقدوا أحدَ الأولاد أو البنات ، أو إذا استأصلوا عضوًا من أجسادهم في إحدى الجراحات .. أو إذا تخلّى عنهم الحظُ ، ولم تتحققْ لهم الآمالُ التي كانوا بها يحلمون ، ويَظَلُّ هؤلاء المتشائمون يتأففون ويندبونَ حظَّهُم التّعِسَ ، وينفخون ويتبرّمون ، وتضيقُ صدورُهم ويحزنون ، وللظروفِ يلعنون !!..

وأقولُ لهؤلاءِ المتشائمين : دَعُوا هذا التشاؤمَ وتفاءلوا ، وغيِّرُوا نظرتَكم للأمورِ ، وحوِّلوا الحزنَ إلى سرورٍ ، فإنّ الله تعالى أعلمُ حيثُ يضعُ رسالتَه ، وهو الرءوفُ بعباده ، وتذكّروا قولَه تعالى : (وعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُم ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) !!.. " ٢١٦ البقرة "

وتعالَوْا معي نتأمّلُ بعضَ الأحداثِ التي تعرّضَ لها بعضُ المتشائمين ، وما وجدوا فيها من خيرٍ ، وعرفوا أن الخيرَ قد يكمنُ في باطنِ الشّرِ وهم لا يعلمون !!..

كان أحدُ المهندسين الشبّان قد تعرّفَ على أحد المقاولين الكبارِ الذي اتفقَ معه على اللقاءِ في منزله بمصرَ الجديدة ، ليسندَ إليه تنفيذَ مشروعٍ كبيرٍ يُعْتَبَرُ من الأحلامِ ، ولم يَنَمْ المهندسُ الشّابُ ليلتَه ، بل راح يحلمُ بما سيحققُه من ذلك المشروعِ ، وفي يومِ الموعدِ المتفقِ عليه للّقاءِ ارتدى المهندسُ أحسنَ ما لديه من الملابسِ ، واستقلَّ سيارتَه

متوجهًا إلى منزل المقاول الكبير في مصرَ الجديدة .. ولكن سيارتَه تعطلتْ في الطريق ، وحاول أن يُصْلِحَ العُطْلَ ولكن دون جدوى ، وفكَّرَ أن يتركَ السيارة رغم أن مكانَها لم يكُنْ مسموحًا وقوفُ السيارات فيه ، وأشار إلى عدد من التاكسيات ، التي لم تتوقَّفْ .. وطال به الوقتُ ، واتصلَ بالميكانيكيِّ الذي يتعاملُ معه ، فجاءه مسرعًا وظلَّ يفحصُ السيارةَ بدقة ، وهو يتعجَّبُ لأنه بخبرته في هذا العملِ لا يرى سببًا معروفًا لتعطُّلِ السيارة ، وكان المهندسُ يضربُ كفًّا بكف ، ويلعنُ الظروفَ والحظ السيِّئَ الذي عطَّله ، ويتصلُ من تليفونه (اللاسلكيِّ) بالمقاولِ ليشرحَ له ما عطَّله فلا يجدُ من يردُّ عليه ، وفجأةً تدورُ السيارةُ ويختفي العطلُ ، ويُدْهَشُ المهندسُ وكذلك الميكانيكيُّ الذي لم يعرفْ سببًا لتعطُّلِ السيارة ، فيقولُ مندهشًا : لاحولَ ولا قوّةَ إلاَّ بالله ، لله في ذلك حكَمٌ .. وينظرُ المهندسُ في ساعته فيجدُ أنه تأخَّر كثيرًا عن موعد لقاء المقاول ، ويتصلُ به مرةً أخرى ليعتذرَ وأيضًا لا يجدُ من يردُّ .. ويعودُ إلى بيته مستاءً مما حدثَ ، ويشاهدُ التليفزيونَ ليقضيَ على إحساسه بالضيق ، وإذا به يسمعُ في نشرة الأخبارِ عن انهيارِ عمارة في مصرَ الجديدة على من فيها ، وقد تبيَّن له أنَّها نفسُ العمارة التي يسكنُها المقاولُ الذي كان على موعد معه ، وعرفَ في الحال أن الله تعالى أراد أن يُنقذَه من الموت تحتَ أنقاض تلك العمارة ، فعطَّلَ سيارتَه ، وأخَّرَه عن موعد سقوط العمارة ، وإذا بالمهندسِ ينهضُ واقفًا ، ويقولُ : اللهم لك الحمدُ والشكرُ ، لقد جعلتَ الخيرَ لي في تعطُّلِ سيارتي والتأخّرِ عن موعدي ، لتنقذَني من الهلاك ، وصدقتَ يا ربّي إذ تقولُ :

(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُم) !!

وأذكرُ أنني كنتُ في زيارةٍ لابنِ أخي الذي يقيمُ في نيوجيرسي بأمريكا ، في أواخرِ

عام ١٩٩٨ ، وجاءت من أكوادور صديقةٌ لزوجة ابن أخي لتبيت معها ليلةً ، ثم تسافرَ في الصباح المبكّر بالطائرة إلى سويسرا حيث ينتظرُها زوجُها ، وفي الصباح أخذتْها زوجةُ ابنِ أخي بسيارتها إلى مطارِ نيويورك ، ولكنّ الطائرةَ كانت قد أقلعتْ قبل وصولهما ، فعادتا إلى البيت، وكانت الضيفةُ في غاية الاستياء والضيق لعدم اللحاق بتلك الطائرة .. وفي نفسِ الليلة فوجئنا بالتليفزيون الأمريكي يُعلنُ عن سقوط تلك الطائرة ، في المحيط الأطلنطي ، وبحذاء الشاطئ الأمريكي ، ذلك الحادثُ المروّعُ الذي عرفه العالَمُ وجَزِعَ له ، ولم ينجُ منه أحدٌ .. وما أن سَمِعَتْ ضيفتُنا بهذا الخبر حتى شَهِقَتْ ووضعت يديْها على وجهها ، وراحت تبكي في هستيرية، وتحمدُ ربَّها ، فقد كان تأخرُها عن موعد الطائرة سببًا في نجاتها .. وقلنا لها حينئذ : هذا درسٌ للناس لكي لا يتشاءموا إذا ما جَرَتْ الأمورُ على غير هواهم !!..

كما أذكرُ أنني كنتُ يومًا على موعد لاجتماعٍ هام ، ولم تَكُنْ السيارةُ معي ، وكان معي زميلٌ ، ولم نستطعْ إيقافَ تاكسي ، وفي ميدانِ لبنانَ رأينا الأوتوبيسَ يتحرّكُ ، فأسرعنا لنركبَه ولكنني لم أستطعْ اللحاقَ به ، أما زميلي فكان أسرعَ مني ولحقَ الأوتوبيسَ ، واضطررتُ أن أنتظرَ حتى جاء أوتوبيسٌ آخرُ وركبتُه ، وفي الطريق رأيتُ الأوتوبيسَ السابقَ الذي لحقَه زميلي ، متعطلاً أمامَ مستشفى العجوزة ، وقد وقفَ جميعُ ركابه على الرصيف ينتظرون الفرجَ ، ورأيتُ زميلي بينهم وقد وضعَ على رأسه جريدةً ليحميَها من الشمس ، ولحقتُ الاجتماعَ بينما وصلَ زميلي بعد انتهاء الاجتماع !!..

ولقد قرأتُ في كتابٍ رائعٍ للدكتور مصطفى محمود قصّةً طريفةً عن رجلٍ كان في طريقِه من الإسكندرية إلى مرسى مطروحٍ ، وفي الطريقِ انقلبتْ سيارتُه ، وأخذتْه

سيارةُ الإسعاف . وفي المستشفى رأى الأطباءُ أن إحدى كليتيْ الرجل كانت قد أُصيبتْ بنزيف حاد ، وكان لابدّ من استئصالها فاستأصلوها .. وبعد أن أفاق الرجلُ جاءه الطبيبُ الذي أجرى له العمليةَ الجراحيةَ ، وقال له وهو يهزّ رأسَه مبتسمًا : إنّ الله يُحبُّك يا رجلُ ، فقد ابتلاك بحادث انقلاب السيارة ، وإصابة إحدى كليتيْك بنزيف حاد اضْطُررْنا بسببه أن نستأصلَ هذه الكُلْيَةَ ، وبتحليلها اكتشفنا أن بها مبادئ سرطانٍ ، وكأنّ الله سبحانه وتعالى أراد لك الخيرَ بهذا الحادث حتى يُنقذَك من هذا المرضِ الخطيرِ، فقال الرجلُ:الحمدُ لله الذي لا يُحْمَدُ على مكروهٍ سواه !!..

والأمثلةُ على ذلك كثيرةٌ ، ولابد أنك أيها القارئُ قد تعرّضتَ أو شاهدتَ بعضَ هذه الأحداث التي يلطفُ اللهُ فيها بعباده ، ويكتبُ لهم الخيرَ في باطنِ الشَرِ وهم لا يعلمون .. وتذكّرْ دائمًا أن اللهَ مع الصّابرين الرّاضين .. وتذكّرْ أيضًا أن الله إذا أحبَّ عبدَه ابتلاه ، وقد يبتليه ببعضِ ما يُؤلمُه أو يُضايقُه ليختبره ، أو ليعاقبَه في الدنيا لآثامٍ أوقعه الشيطانُ فيها ، أو لذنوب سار يومًا فيها ، ليطهّرَه من الآثام والذنوب ، حتى يلقاه خاليًا من العيوب ، وتكونَ آخرتُه أفضلَ من دنياه ، وينعمَ بما أعدّه له اللهُ !..

وهكذا أيها القارئُ العزيزُ ، فإن الإنسانَ لا يعرفُ ما تُخفيه له الأقدارُ ، وقد يكونُ الخيرُ في باطنِ الشَرِ ونحن لا نعلمُ حكمةَ الله فيما نتعرّضُ له من أحداث ، ولهذا لابدّ أن نرضى بقضاء الله وقَدَره ، وألاّ نتشاءمَ عندَ حدوث ما نَكْرَه ، فقد يكونُ الخيرُ فيه كامنًا .. والتشاؤمُ لن يمنعَ قَدَرَ الله من أن يكونَ .. وصدقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذ يقولُ : (**مَنْ تَطَيَّرَ** - أي تشاءم - **فَلْيَقُلْ ، اللهُمَّ لاَ يَأْتي بالْحَسَنَات إلاّ أَنْتَ ، وَلاَ يُذْهبُ السَّيِّئَات إلاّ أَنْتَ**) !!..

الاستشارةُ .. والاستخارةُ !!..

كثيرٌ من الناسِ يتسرّعون ، ولقراراتِهم يتّخذون ، ولا يستشيرون أحدًا ولا يستخيرون .. ولا للنصائحِ يسمعون .. وبعواطفِهم يندفعون .. ولا يبحثون ولا يُدققون .. وتكونُ النتيجةُ أنّهم في الشقاءِ يقعون ، وعلى مصيرِهم يندمون !!..

ومما يثيرُ الغرابةَ أنك إذا نصحتَهم بغيرِ ما في رءوسِهم ، اعتقدوا أنك لا تفهمُهم ، وأنك لا تُقدّرُ ظروفَهم ، وأنك لا تعيشُ أفكارَهم ، وظنوا أن هناك فجوةً كبيرةً في الفكرِ بينك وبينهم .. ويرَوْنَ أنّهم وحدَهم الذين يفهمون ، ولتصرفاتِهم يُدركون .. حتى لو كانوا في مستنقعٍ يسبحون ، أو في محيطٍ خطيرٍ يغرقون !!.. ويفعلون كما تفعلُ الفراشاتُ التي تندفعُ اندفاعًا بلا وعيٍ نحو الأضواءِ المبهرةِ ، فإذا بها بحرارةِ الأضواءِ تختنقُ ، وبكثافةِ النيرانِ تحترقُ !!..

وننظرُ إليهم ، ونشفقُ عليهم .. وندعو اللهَ لهم ، أن يترفقَ بهم .. ونقولُ : اللهم اهْدِهِمْ فإنّهم لا يعلمون ، ولا يُدركون خطورةَ ما يفعلون !!..

فهذا يُحبُّ ، وبحبيبِه مفتون ، ويعتقدُ أن الحياةَ بدونه لن تكون ، وعن عيوبِ محبوبِه يُغلقُ العيونَ ، ويُحْكِمُ الجفونَ .. وإذا قُدِّمَتْ النصيحةُ إليه ، يسُدُّ أمامها أُذُنَيْه .. فهو لا يريدُ أن يسمعَ ، ولا برأيٍ آخرَ يقنعَ !!.. وصدقَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إذ يقولُ : (**الْحُبُّ يُعْمِي وَيُصِمُّ**) !!..

وإذا تعقدتْ في النهاية الأمورُ ، وامتلأتْ بالأحزان الصدورُ .. جاءوا بقلوب جريحة ، يبكون ويطلبون النصيحة .. وماذا نقولُ بعد أن قلنا ، وماذا نفعلُ بعد أن نصحْنا ؟!.. ليس لدينا لهم إلاّ الرّثاء ، ولا نملكُ لهم إلاّ الدّعاء !!.. إنّهم لم يستشيروا ولم يستخيروا .. ولقد تنكّروا لخبراتنا ، وتجاهلوا صيحاتنا ، ولم يكترثوا لكلماتنا !!..

وقديمًا قال حكيمٌ : **ملعونٌ مَنْ تزوّجَ قبلَنا ولم يُخبرْنا ، ومجنونٌ مَنْ تزوّجَ بعدَنا ولم يستشرْنا !!**

فيا أيها الناسُ ويا أيها الشبابُ ، استشيروا مَنْ تأنسون لهم ، ومَنْ تثقون بهم ، واستفيدوا من خبرات كباركم ، ومَنْ جرّبوا قبلكم ، ولا تركبوا رءوسكم ، واستخيروا ربَّكم ، لينيرَ طريقَكم ، فلا خابَ من استشار ، ولا حُرِمَ الهدايةَ من استخار .

ولقد صدقَ القائلُ :

شاورْ صديقك في الخَفيِّ الْمُشْكِلِ ... واقْبلْ نصيحة ناصحٍ مُتفضِّلِ
فَاللهُ قَدْ أوْصَى بذَاكَ نبيَّهُ ... في قَوْله (شَاورْهُمْ) و (توَكَّلِ)

وقال عليه الصلاةُ والسلامُ : (**ما نَدِمَ مَن استشارَ ولا خابَ مَن استخارَ**) . وروى سهلُ بنُ سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**ما شَقِيَ عَبْدٌ بمشورةٍ وما سَعِد باستغناء رَأْيٍ**) . وقال بعضهم : **شاورْ مَنْ جرَّبَ الأمورَ ، فإنّه يُعطيك من رأيه ما وقعَ عليه غاليًا وأنت تأخذه مجّانًا !**

وقال حكيمٌ : منْ استشار في أمره ملَك ، ومن استبدَّ برأيه هلك !

وإليكم أُهْدي فيما يلي .. (صلاةَ الاستخارة) !!..

قال بعضُ العلماء : لا ينبغي لأحد أن يُقْدِمَ على أمرٍ من أمور الدنيا حتى يسأل الله الْخيرَةَ في ذلك ، بأن يُصلّيَ ركعتين " صلاةَ الاستخارة " ، يقرأُ في الركعة الأولى بعد الفاتحة :

(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ، وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ، وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) .. ثم يقرأُ في الركعة الثانية (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) .

ثم يدعو بعد السلامِ بالدعاء الذي ذكره البخاريُّ في صحيحه عن جابرِ بن عبد الله قال : كان النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلم يُعلّمُنا الاستخارةَ في الأمورِ كلها ، كما يُعلّمُنا السّورةَ من القرآن ويقولُ :

(إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ غَيْرَ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ لْيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ .. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي – أو قال في عاجل أمري وآجله – فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ .. اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي – أو قال في عاجل أمري وآجله – فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ

حيثُ كان ، ثُمَّ رضِّني به) ، قال : ثم يُسمّي حاجته .

وروتْ عائشةُ عن أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهما أن النبيَّ صلّى اللهُ عليه وسلّم كان إذا أراد أمرًا قال : (اللّهُمَّ خِرْ لي واخْتَرْ لي) .. وروى أنسْ أن النبيَّ صلّى اللهُ عليه وسلّم قال :

(يَا أنسُ ، إذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَاسْتَخِرْ رَبَّكَ فِيه سَبْعَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ انْظُرْ إِلَى مَا يَسْبِقُ قَلْبُكَ فَإِنَّ الْخَيْرَ فيه) .

وينبغي للمستخير أن يُفرِّغَ قلبَه من جميع الخواطر حتى لا يكونَ مائلاً إلى أمرٍ من الأمورِ ، فعند ذلك ما يسبقُ إليه قلبُه يعملُ عليه ، فإنّ الخيرَ فيه إن شاء اللهُ .. وإن عزمَ على سفرٍ ، فيتوخَّى بسفره يومَ الخميسِ أو يومَ الاثنين ، اقتداءً برسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم .

الإرادةُ ... والتدخينُ !!..

الإنسانُ إرادةٌ .. وكما يقولُ الفيلسوفُ الألمانيُّ " شوبنهادر " :
(إن الإرادةَ تتحررُ وتتحققُ بالاستغناء عن كلِّ ما يأسرُها .. كيف تضمحلُ وتنسحقُ إرادةُ الإنسان أمامَ سيجارةٍ ؟!!..) .

ورغم كلّ المعلومات المخيفة التي تطلعُ علينا بها كلُّ الهيئات الطبية من حينٍ لآخر ، وكلّ المصائب التي تصيبُ الإنسانَ نتيجةً لهذه السيجارة القاتلة ، فمازال المدخنون بالملايين .. ونظرًا لخطورة هذه الآفة ، فقد قامت الولاياتُ المتحدةُ الأمريكيةُ بحظر بيع السجائر لأقلّ من ١٨ سنة . وقررت منعَ التدخين في جميع الأماكنِ المغلقة .. ونحن نعرفُ التأثيرَ الضّار للتدخينِ على القلب والرئتين ، ولكنّ البحث الوافي للدكتور محمد عبد المنعم عبد العال ، أستاذ ورئيس قسم الأمراض الجلدية والتناسلية بطبّ الأزهر ، يكشفُ عن أخطارٍ ومضارٍّ أخرى للتدخين ، منها التأثيرُ السلبُّي للنيكوتين على التئام الجروح ، فهو يؤدّي إلى تأخير هذا الالتئامِ نتيجةَ انقباضِ الأوعية الدموية مما يؤدّي إلى انخفاض كمية الأوكسجينِ في الأنسجة .. لذلك ينصحُ بالامتناع عن التدخين لمدّة شهرٍ قبل وبعد العمليات الجراحية .

وحوّاءُ بالذات يجبُ أن تتجنبَ التدخينَ تمامًا لأنه يزيدُ كميةَ التجاعيد في الوجه ويعجّلُ بها ، وتأثيرُه أقوى من تأثيرِ الشمسِ في إحداث هذه التجاعيد .

كما يساعدُ التدخينُ على الإصابة بمرضِ الصدفيةِ (٦٠٪ من مرضى الصدفية

مدخنون) كما وجد أنّ نشاط مرض السرطان الجلديّ وسرعة انتشاره مرتبطٌ بالتدخين ، وذلك لأن التدخين يثبّطُ جهاز المناعة ، ووجد أيضًا أنّ الأشخاص الذين لا يدخنون ولا يشربون الخمر لا يصابون بسرطان الفم .. كما اكتشف التأثير السلبي للتدخين على التناسل ، فالحيوانات المنويةُ عند المدخنين تقلُّ من ٢٢% إلى ٥٧% عنها في غير المدخنين ، كما أن التدخينَ يكونُ مصاحبًا لعدد من الأشكال المعيبة لهذه الحيوانات .

وبعد هذه المعلومات الطبية من المتخصصين ، أريدُ أن أناقش جموع المدخنين مناقشة موضوعيةً ومنطقيةً ، يتحكّمُ فيها العقلُ والمنطقُ ، ولا يتحكّمُ فيها الاستسلامُ والعبوديةُ للعادة التي تشلُّ إرادةَ الإنسان عندما تتحكّمُ فيه . فهل يوافقُ المدخنون على أن نخوضَ معًا هذه المناقشة بتبصر وهدوء ؟؟..

ولْنسأل أنفسنا .. ما هي العمليةُ الميكانيكيةُ لعادة التدخين ؟؟.. وكيف تتمُّ بدايةً ونهايةً ، وماذا يعودُ على الإنسان منها ؟؟.. ولْنبدأْ بالعملية الميكانيكية لعادة التدخين .. فهي تبدأُ بإشعال الكبريت حيث تنتشرُ رائحةُ مادّة الكبريت النّفاذةُ إلى أنوف المدخنين والجالسين لهم ، وكذلك رائحةُ الغاز إذا استُخدمتْ الولاّعاتُ .. ثم يبدأُ المدخنُ بإشعال السيجارة حيث يحرقُ الجزءَ الأولَ منها .. ثم يمتصُّ المدخنُ العادمَ الناتجَ عن احتراق الدخان وورق السيجارة .. وأين يذهبُ هذا العادمُ ؟؟!!.. إلى القصبة الهوائية حيث تعلُقُ نسبةٌ من مادة النيكوتين على جدار هذه القصبة ، ثم يستمرُّ ذلك العادمُ في طريقه إلى الرئتين حيث يتغلغلُ مع هواء التنفس إلى الحويصلات الهوائية التي من المفترض أن نملأها بهواء الشهيق (النقيِّ) .. ثم يبدأُ المدخنُ عملية إخراج ذلك العادم مع هواء الزفير ، والمفترضُ فيه أن يأخذ معه غازَ ثاني أكسيد الكربون

ويطردَه إلى الخارجِ ، حمايةً للجهازِ التنفسيِّ من ضررِه السامِّ والقاتلِ .. وفي هذه العمليةِ ، أي عمليةِ الزفيرِ يتبقّى جزءٌ آخَرُ من كميةِ النيكوتينِ يترسّبُ في أنحاءِ الرئتين والحويصلاتِ الهوائيةِ مكوّنًا طبقةً لزجةً بنّيةَ اللونِ ، تتحوّلُ مع استمرارِ عمليةِ التدخينِ إلى اللونِ الأسودِ ، ويزدادُ سُمْكُ هذه الطبقة ، ليس يومًا بعد يومٍ ، ولكن سيجارةً بعد سيجارةٍ ، بل نَفَسًا بعد نَفَسٍ .. حتى يأتيَ وقتٌ لا يجدُ هواءُ الشهيقِ الاتساعَ المناسبَ ليملأَ الحويصلاتِ الهوائيةَ بالهواءِ النقيِّ بالقدْرِ المناسبِ .. وهذا ما ينتجُ عنه مع تقدّمِ الأيامِ ما يُطلقُ عليه (قِصَرُ النَّفَسِ) أو (ضيقُ التنفسِ) أو (ضيقُ الصدرِ) الذي يتجلّى في تضاعفِ عددِ حركاتِ الشهيقِ والزفيرِ، وقِصَرِ مدّتِها الزمنيةِ.. وأحيانًا ما يسمعُ المدخنُ صوتَ (حشرجة) في عمليةِ التنفسِ ، كما يمكنُ أن تؤدّيَ المضاعفاتُ إلى الإصابةِ بمرضِ الرّبوِ ، الذي لا يمكنُ الشفاءُ منه بسهولةٍ .

ولكي يقتنعَ المدخنُ بما قلناه ، فليأتِ أحدُ المدخنين بقطعةٍ صغيرةٍ من القطنِ الطبِّي الأبيضِ ، ولينفثْ فيها دخانَ السيجارةِ الخارجَ مع هواءِ الزفيرِ ، ولْينظرْ بعد ذلك إلى قطعةِ القطنِ وكيف أصبحَ لونُها .. مع ملاحظةِ أنّ معظمَ كميةِ النيكوتينِ قد ترسّبتْ على جدارِ القصبةِ الهوائيةِ والرئتين ، وأن الذي ترسّبَ على قطعةِ القطنِ ما هو إلاّ جزءٌ يسيرٌ من الكميةِ التي تحتويها السيجارةُ .. ولْنسألْ أنفسَنا بعد ذلك .. إذا كان ذلك الناتجُ على قطعةِ القطنِ هو من تدخينِ سيجارةٍ واحدةٍ ، فماذا يكونُ الناتجُ من تدخينِ علبةِ سجائرَ كاملةٍ ؟!.. وماذا يكونُ الناتجُ من تدخينِ مدّةِ شهرٍ أو سنةٍ أو سنواتٍ .. ولْنتخيّلْ بعقلانيةٍ ما يصيُر إليه شكلُ وحالُ الرئتين والقصبةِ الهوائيةِ .. ولْنَقُلْ : ماذا فعلْنا بأنفسنا ؟!.. ولماذا ؟!..

إن من لديه جهازُ تليفزيون أو مسجّلٌ أو مروحةٌ أو بوتاجازٌ أو أيُّ جهازٍ كهربانيٌ أو اليكترونيٌ ، يحرصُ دائمًا على تنظيفه من الغبار والأتربة حتى لا يصاب الجهازُ بالتلف .. وبعضُ الأجهزة نحرصُ بين الحين والآخر على تشحيمها وتزييتها حتى نحميها من الصدأ ، فإذا كنا نحرصُ على هذه الأجهزة التي نستطيعُ أن نعوّضها وأن نستبدلَها إذا ما تعرّضتْ للتلف ، فكيف بالله عليكم لا نحرصُ على أجهزة أجسادنا التي منحها الله سبحانه لنا ، والتي لا نستطيعُ أن نعوّضها أو نستبدلَها ، والتي تعملُ بلا توقف بأمر الله ، منذ الميلاد وحتى نهاية العمر ؟!.. ومن نعم الله تعالى علينا أن جعلَ هذه الأجهزة لا تحتاجُ إلى تشحيم أو تزييت ، ولكن أمرَنا فقط بالمحافظة عليها وألاّ نُهلكَها ، في قوله تعالى : [وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَهْلُكَةِ] " ١٩٥ البقرة ".. ومع ذلك فنحن لا نقدّرُ هذه النعمةَ التي أنعمَ اللهُ تعالى بها علينا ، والمتمثلة في الجهاز التنفسيِّ ، فنلقي إليه بالسموم ، ونقذفُ فيه بعوادمِ التدخين المختلفة حتى نتلفَه ، ثم نضطرُ بعد ذلك إلى اللجوء إلى الأطباء والاستغاثة بهم ليصفوا لنا الدواءَ ... **ياللغـــباء !!..**

يَا نِقَابَةَ الْمُعَلِّمينَ ... هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟؟!!!...

لم أَعْجَبْ ولم أستغربْ عندما سَمِعْتُ من يقولُ : إنّ نقابةَ المعلمين هي نقابةٌ " مُسْتَأْنَسَة " ، ولم أستطعْ أن أعترضَ على قوله ، رغم أنني من أعضائها المُخَضْرَمين ، والمعارضين ، وكما أطلقوا عليّ (من المشاغبين) إذ كنتُ عضوًا في مجلس نقابة المعلمين بالمنصورة في أواسط الستينيات ، ثم عضوًا في مجلس نقابة " دكرنس " في أواخرِ الستينيات ، ثم عضوًا في نقابة " غرب القاهرة " في بداية السبعينيات ، ثم أمينًا لنقابة " عابدين " في أوائل الثمانينيات ، ثم نقيبًا لنقابة " عابدين " منذ أوائل التسعينيات وحتى كتابة هذه الكلمات .

وعاصرتُ في هذه السنوات الكثيرَ من القيادات ، وشاهدتُ الكثيرَ من الإيجابيات والسلبيات .. وقدّمتُ الكثيرَ من الاقتراحات .. وأذكرُ أنني عرضتُ على الأستاذ عبد العزيز السيد ، الذي كان وقتها وكيلاً للوزارة في محافظة الدقهلية ، في عام ١٩٦٤ ، وكنّا في مؤتمرٍ للمعلمين بمدينة "دكرنس" فكْرَةَ تكريم " المعلّم المثاليّ " ، فاستجابَ للفكرة فورًا ، ووعدَ بتنفيذها في محافظة الدقهلية ابتداءً من العام التالي ، وقد وَفَى بوعده ، وكان ليَ الشرفُ أن أكونَ أوّلَ من نالَ هذا اللقبَ في المحافظة في عام ١٩٦٥ ، كما وَعَدَ الأستاذ عبد العزيز السيد بأن يعملَ على تنفيذ الفكرة على مستوى الجمهورية ، وقد نجحتْ مساعيه في تطبيق هذه الفكرة على مستوى الجمهورية منذ عام ١٩٧٢ ، وكان ليَ الشرفُ أيضًا أن أنالَ هذا التكريمَ في عام ١٩٧٤ على مستوى الجمهورية .

وفي أواخرِ الستينيات قدّمتُ مذكّرةً واقترحتُ في اجتماعٍ لنقابة المنصورة

على الأستاذ علي نشأت ، وكيلِ الوزارةِ بالدقهلية حينئذ ، أن تُلْغى صيغةُ الخطاب الذي كان يُرْسلُ إلى الذين سيُحالون إلى المعاشِ ، والذي كان يتضمّنُ عبارةَ (تقرَّر فصْلُكُم) ، وطالبتُ بأن تُستبدلَ الصيغةُ بعباراتِ الشكرِ والتقديرِ .. واستجابَ فعْلاً الأستاذ على نشأت للاقتراحِ ، ونفّذهُ خلالَ أسبوعٍ من تقديمِه .

وفي مذكّرةٍ قدّمتُها للنقابة العامّة في السنوات الأخيرة ، اقترحتُ عدّةَ اقتراحات .. وبروحِ الرغبةِ القويةِ للتطويرِ ، تلقّاها السيدُ الأستاذُ الدكتور محمد كمال سليمان الأمينُ العامُ بكلّ تقديرٍ ، وعملَ على تنفيذِ معظمها .. وكان من بينها :

- إلغاءُ التعاقد مع المتعهّد الذي كان يستغلُ النادي بالقاهرةِ بصورةٍ مُجْحِفةٍ ولأكثر من ثلاثين سنةً .
- تطويرُ حدائقِ نادي المعلمين بالقاهرةِ ، وتحسينُ وتجميلُ صالاتِ الأفراحِ ، لتليقَ بمكانة المعلمين .
- بناءُ فندقٍ في المكانِ المهجورِ بالنادي ، والذي كان يومًا حديقةً للأطفالِ ، ويقعُ على ناصيةِ فندقِ البرجِ والبابِ الخلفي للنادي .
- هدمُ مساكنِ مصيفِ المعلمين بمدينة رأسِ البرِّ وبناءُ بلوكاتٍ بنظامِ الفيلاتِ ذاتِ الطوابقِ الثلاثِ ، وبتصميمٍ حديثٍ ولائقٍ .

وقد استجابَ السيدُ الأمينُ العامُ ، ونفّذَ بعضَها فورًا وبعضُها يجري العملُ في تطبيقها ، وهذه الروحُ الطيبةُ في تقبّلِ الآراءِ والمقترحاتِ ، وتنفيذِ الصّالحِ منها ، يُؤكّدُ لنا أن القياداتِ النقابيةَ الحاليةَ ، على مستوىً رفيعٍ من المسئوليةِ ويُطمئننا إلى أنّ نقابتَنا في أيْدٍ أمينةٍ ، ونثقُ في إخلاصِها .

ولا شك أنَ للنقابة الكثير من المحاسن والاجتهادات ، التي حسّنتْ بعض أحوالِ المعلّمين والمعلّمات ، وبصفة خاصّة في الفترة التي تولّى قيادة العمل النقابيّ فيها الأستاذُ الدكتور مصطفى كمال حلمي ، الذي لم يدّخرْ وُسْعًا في الحصولِ على أكبرِ قدْرٍ من المكاسب لأبنائه المعلمين .. كما لا يستطيعُ أحدٌ أن يُنكرَ حُبّه وإخلاصَه لقضايا المعلمين .. وأعترفُ بأننا مدينون لهذا الرجلِ بالكثير ، فقد علّمَنَا بحُسْنِ خُلُقه وتواضعه الكبير ، كيف نتعاملُ مع الكبيرِ والصغير ، وكيف نعالجُ العيوبَ ، ونتربّعُ بالحبِّ في سُوَيْداء القلوب !!..

كما نعترفُ بأن مَنْ يتولّى مسئوليةَ الأمانة العامّة ، منذ عام ١٩٩٣ وحتى الآن ، الأستاذ الدكتور محمد كمال سليمان ، هو رائدُ الحركةِ التطويرية التي تشهدُها النقابةُ في السنواتِ الأخيرة بلا جدالٍ .. فهو يوسّعُ صدرَه للمناقشة مع الأعضاء ، ويحترمُ ما يُقدّمونه من الآراء ، ويعملُ على تنفيذِ المناسب منها .. وقد كانت بيني وبينه لقاءاتٌ ولقاءاتٌ ، تركَتْ في نفسي أطيبَ الانطباعات ، فهو يستمعُ لمُحَدِّثه بأُذُن مُصْغية وقلبٍ مفتوحٍ ، ويُعالجُ التجاوزات ويُداوي الجروحَ .. ومما عرفتُه عنه وأعجبني فيه ، أنه لا يتخلّى عن رجاله ، ولو ضحّى ببعضِ ماله ، ويُدافعُ عنهم ، ولكنْ على حسابِ الحق لا يُجاملُهم ، وهذه هي سماتُ الشرفاء ، في الزملاء الأوفياء !!..

السيدُ النقيبُ الحبيبُ ، والعملاقُ المهيبُ ، الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمي ، والسيدُ الأمينُ الرّزينُ ، والصديقُ المتينُ ، الأستاذ الدكتور محمد كمال سليمان ..

لقد تحققَ في عهدكما الكثيرُ من الإنجازات ، وارتفعتْ قيمةُ المعاشات .. ولكنْ أرجو أن يتّسعَ صَدْرَاكُمَا لبعضِ الملاحظات .

يقولون إنّ للنقد وجهيْن ، لما تسمعُه الأُذنُ وما تراه العيْن ، وجهًا للإيجابيات والآخر للسلبيات .. ومنْ يتحدّثُ عن الإيجابيات دائمًا دون السلبيات ، فهو من المنافقين ، ومنْ يتناولُ السلبيات فقط ، فهو من الحاقدين والهدّامين .. ولا خيرَ في هذا ولا ذاك ، فهو إبليسٌ في رداء الملاك .. أمّا الذي يتناولُ الوجهيْن ، بإحساس القلب وصدق العينيْن ، فهو إنسانٌ شريفٌ ونزيهٌ ، يقطرُ الحقُّ من لسانه وفيه .. يطمئنُ المستمعُ إليه ، ويعتمدُ الشرفاءُ عليه .

وبعد أن تحدثنا عن الإيجابيات ، فهيّا بنا نذكرُ "برفق" بعضَ السلبيات ، بصدق الرؤية وسلامة النيّات .. وأسألُ الله التوفيق ، وألاّ يغضبَ زميلٌ أو صديق !!..

ونبدأُ بالمستشفى في الجزيرة ، الذي يستنزفُ الأموالَ الكثيرةَ .. وكم طالبنا بإعادة النظر فيه ومراجعة استهتار أطبائه وسلبية موظفيه ، ورغمَ إنشائه منذ سنوات بعيدة ، فما زال يبتزُّ من النقابة الملايينَ العديدةَ .. كالجائع الشَرِه النَّهِم ، أو كالطفل الذي لا يريدُ أن ينفطمَ ، رغم الفواتير القاسية التي تُحرّرُ والتي تحتاجُ إلى مُترجمٍ لكي تُفسَّر .. فكلماتُها طلاسمُ لا تفهمُها العقولُ الذكيةُ ، وكأنها كُتبَتْ بالهيروغليفية .. والابتزازُ واضحٌ من الممرّضات والأطباء ، يعرفُه تمامًا المرضَى والأصحّاء .. ولم يعُدْ هذا المستشفى للمُعلمين فأغلقوه ، أو لأيّة شركة يمكنُكم أن تُؤجّروه أو تبيعوه ، أو لهيئة التأمين سلّموه ، ليُعالَجَ فيه المعلمون على نفقة التأمين ، الذي يغتصبُ هو الآخرُ اشتراكاتنا منذ سنين ، وكلما شكوْنا وجدنا آذانًا من طين ، وأُخْرَى من عجين .. ارحمونا ومنه خلّصونا ، أو صحِّحوا مسيرته وأريحونا !!..

أمّا عن الرعاية الصحيّة ، فهي للحق أخطرُ قضيّة ، وكم طالت فيها المناقشاتُ ، وقُدّمتْ فيها الأفكارُ والاقتراحاتُ ، ومازلنا ندورُ حولها كما يدورُ الثعلبُ حول نفسه

" السَّبعْ لفّاتْ " !!.. فلا تغيير ملائمًا ولا إصلاحات .

المعلمون كلّ يوم يتساقطون ، وبالأمراض الفتّاكة يُصابون ، وبعد العطاء والتضحية يُهْمَلُون ، وفي أيِّ دين هذا أو عُرْف أو أيِّ قانون ؟!.. المطربون والممثلون ومَنْ بالكرة يلعبون ، ولإصابة الحنجرة أو القدم للخارج يُسافرون ، وعلى نفقة الدولة يُعالَجون !!. ألا يُحيِّرُ هذا الظلمُ العقولَ ويُديرُ الرءوسَ ، ويُوغرُ الصدورَ ويُعَقِّدُ النفوسَ ؟!.. وبعد ذلك تطالبون بمحاربة الدروس ، بعد أن انْهارت الثقةُ ونَخَرَ في العظامِ السُّوس !!.. إذا لم يشعرْ المعلمُ بالطمأنينة ، فلا تنتظروا أن يكونَ التعليمُ في أيْد أمينة .. وستكثرُ الدموعُ في العيونِ الحزينة !!..

أمّا قيمةُ المعاشات ، التي تعتبرونها من أكبرِ الإنجازات ، فهي في نظرنا مُجرَّدُ فتات ، إذا ما قورنتْ بما يُصْرَفُ لغيرنا من جميعِ الفئات ، ومنهم مَنْ علّمناهم ، وللمجتمعِ خرّجناهم ، فإذا بهم علينا يتفوّقون ، وبالدخول العالية ينعمون ، وبالرعاية الصحية يتمتعون .. أمّا المعلمون ، الذين عاشوا عُمْرَهُم يُعطون ، فهم لكلمات التقدير الجوفاء دائمًا يسمعون ، وعند الشدائد لا يُنقَذُون .. ونسمعُ أن المعلّمَ هو حجرُ الزّاويَة ، بينما جيوبُهُ خاويَة ، ويصعدُ بالخطوةِ السريعة إلى الهاوية !!.. وليتكَ يا مسكينُ ما كُنْتَ في الفصلِ مُعَلّمًا ، بل ليتَكَ كُنْتَ في السّوق " مَعَلّمًا " !!

ورَحِمَ اللهُ الشاعرَ " حافظ ابراهيم " الذي قالَ على لسان المعلم :

يقولُ شَوْقي وَمَا دَرَى بمُصيبَتي * قُمْ للْمُعَلِّم وَفِّه التَّبْجــيلاَ
لَوْ عَملَ شَوْقي بالتَّعْليم سَـــاعَةً * لَقَضَى الْحَيَاةَ تَأَفُّفًا وَعَويلاَ
لاَ تعْجَبُوا أنْ صحْتُ يَوْمًا صَيْحَةً * وَوَقَعْتُ مَا بَيْنَ الْبُنُوك قَتيلا

أيّها القادةُ والمسئولون ، كم من الأمورِ ناقشناها ، وكم من الاقتراحاتِ

عرضناها ، لزيادة قيمة المعاشات ، والإعانات المرضيّة والمساعدات .. وكنتم تقولون بقلّة الموارد ، وهذا احتمالٌ وارد .. فطالبنا بمضاعفة الاشتراكات ، حتى لو وصلتْ إلى خمس جنيهات ، ولن يعترضَ الزملاءُ مادامت ستُضاعَفُ المعاشاتُ ، وإعاناتُ المرض والوفَيات .. ولقد اقترحتُ أكثرَ من مرّة ، العملَ على استصدارِ طابعٍ للتمغات قيمتُه جنيهٌ ، يوضَعُ على جميعِ الطلبات ، التي تُقَدَّمُ في المدارسِ والدواوين ، سواءً من الطلاب أو العاملين ، باسمِ (الوفاءُ للمعلّم) ، والجنيهُ لا يُضْلعُ ولا يُؤْلمُ ، وتُخصَصْ الحصيلةُ لتعزيز بند المعاشات ، والإعانات المرضيّة والمساعدات .. ولْنتعلَمْ مما تفعلُهُ الشركاتُ والوزاراتُ ، ولْننظرْ إلى وزارةِ الداخلية وما تفرضُهُ على المواطنين من مضاعفة التمغات ، لصالحِ رجالها من الجنود والضباط ، مما يُضاعفُ لهم المكافآت ، ويرفعُ قيمةَ الحوافزِ والمعاشات .

كم صَرَخْنا من الإسرافِ والبذخِ في الرحلات والحفلات والمؤتمرات ، التي تُنفقون فيها وتُغْدقُون ، بينما مع المرضَى تُقتّرون وتُقصّرون .. إنّ معظمَ المشتركين في رحلات العُمْرَة مُحترفون ، وفي كلِّ عامٍ يُسافرون ، وبآلاف الجنيهات يُدْعمُون .. ولابد من إعادة النظرِ في هذا الأمرِ ، وألاّ يُدْعَمَ المُعْتمرُ إلاّ مرّةً واحدةً في العُمْرِ .. فإذا اشترك ثانيةً فعليه المصاريف ، ولْيدفعْ جميعَ التكاليف .. وليس من العدل أن يدفع المعلّمُ في العام ما يقرُبُ من العشرين " فقط " من الجنيهات ، بينما تدعمُه النقابةُ في العمرة بمئات الجنيهات !!.. والراقدون في المستشفيات أحقُّ وأولَى بهذه النفقات !!..

وهذه ملاحظةُ أُخرى وهامّة ، على انتخاباتِ مجلسِ النقابة العامّة ، التي تتمُّ بالقوائمِ والتكتلات ، ويُحابَى فيها بعضُ الشخصيات ، على حسابِ أصحابِ الخبرةِ والكفاءات .. وتُسفرُ النتيجةُ عن تشكيلِ مجلسٍ ضعيف ، مُعظمُهُ لا يسمعُ ولا يرى

ولا يُخيف .. تراهم مؤيدين ومصفقين ، حتى ولو كانوا نائمين .. وتختفي الكفاءاتْ في الشقوق ، وتضيعُ أثناء ذلك الحقوقُ .(وأنا لا أقصدُ المجلسَ الحالي ، مع تقديري واحترامي ، ولكني أتحدثُ بصفة عامّة ، في انتخابات النقابة العامّة) !!..

نريدُها نقابةً قويّة ، تتكلمُ بشجاعة وحريّة .. تُدافعُ عن المعلمين والمعلمات ، الذين تنهالُ عليهم العقوباتُ والجزاءاتُ ، وبدون العدل في التحقيقات ، والذين يُبْعَدُون عن مهنتهم ويُنْفَوْنَ إلى المحافظات النائيات ، دون أن تتحرّكَ النقابةُ لإنقاذ المظلومين ، من زملائنا المعلمين .. أتمَنّى أن تقفَ النقابةُ ولو مرةً واحدةً لتدافعَ عن معلّم ظلمه الوزيرُ ، بقراراته التعسّفية ، والذي تصفونه دائمًا بأنه محامي المعلّمين ، بينما لا ترحمُ قراراتُه و(كرابيجُه) رءوسَ المعلّمين !!..وإذا لم تُدافعِ النقابةُ عن أعضائها ، فلا خيرَ فيها ، ولا رغبةَ لنا في بقائها !!..

اتّقوا اللهَ في قضايا المعلمين ، وتذكّروا أنكم في القيادة لستم دائمين ، واذكروا مَنْ كانوا قبلكم على الأمورِ مسيطرين ، واعلموا أننا لسنا في الحياة خالدين ، فالبقاءُ والخلودُ لله ربِّ العالمين !!.. وما هي إلاّ سنواتٌ ، تنطوي بعدها الصفحاتُ ، حيث نجترُّ الذكريات ، ونندمُ على ما فاتَ من السلبيات ، ونسعدُ بما وفقنا اللهُ إليه من الصالحات ، وسيُقالُ عنّا كما يُقالُ عن غيرنا ، وتنشغلُ الألسنةُ بأعمالنا وسيَرِنَا ، وربَما يدعو أحدٌ علينا أو يدعو لنا .. ونسألُ الله النجاةَ والسلامةَ ، وأن يُجَنِّبَنَا الأسَى والنّدامةَ ، وألاّ يُخَيِّبَ لنا أمَلاً ، واللهُ لا يُضيعُ أجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عمَلاً !!..

وهناك حكمةٌ لا أعلمُ إن كانت قولاً مأثورًا ، أو حديثًا شريفًا ، تُوصي بالمعلمين وتقولُ : (خَيْرُ الناسِ ، وَخَيْرُ مَنْ يَمْشي عَلَى وَجْه الأَرْضِ ، الْمُعَلِّمُونَ ، أَعْطُوهُمْ ، وَلاَ تَستَأْجِرُوهُمْ فَتُحْرِجُوهُمْ ، فَإِنَّ الْمُعَلِّمَ إِذَا قَالَ للصَّبِيِّ : قُلْ

بسْم الله الرّحْمن الرّحيم ، فقال الصّبيُّ بسْمِ الله الرّحْمَن الرّحيم ، كتب الله براءةً للصّبيّ وبَرَاءَةً للْمُعَلّم ، وَبراءَةً لأَبَوَيْه من النّار) .

وأرجو ألاّ يغضبَ من ملاحظاتي أحد ، فقد شكرْنا كلَّ مَنْ عَملَ واجتهد .. وكلُّنا في الميدان زملاءٌ ، أحبابٌ وأصدقاءٌ .. وسواءَ السّلفُ أو الخَلفُ ، فنحن مُتَحدُون في الهدف .

وأرجو أن تغفروا لي إن كنتُ قد أسأتُ التعبيرَ، فما أردتُ إلاّ التنبيهَ والتذكيرَ ، وما قصدْتُ إلاّ بالصادقين المخلصين من أمثالكم أن أقتدي ، راجيًا أن تُدركوا صدْقَ مَقْصدي .. ومن كلّ قلبي أسألُ الله لكم النجاحَ والتوفيقَ ، أمنيةً من زميلٍ عجوزٍ .. وصديق !!..

إنَّ الإنْسَــانَ لَفِي خُسْــرٍ !!..

صدقَ اللهُ العظيمُ .. [إنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ] !..

عجبًا لهذا الإنسان ، الذي حملَ الأمانةَ ولم يصنْها .. وصدقَ اللهُ تعالى إذ يقولُ : [إنَّ الإنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ] " ٦ الذاريات " ومعنى (كنود) أي جحودٌ وكفورٌ بالنعمِ ، يذكرُ المصائبَ وينسى النعمَ ، وقال الشاعرُ :

يأيُّهـــا الظالــــمُ في فعله　　والظلــــمُ مردودٌ على من ظَلَمْ

إلى متى أنت وحتى متى　　تشكو المصيبات وتنسى النِّعَمْ ?!..

وقال النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم :(الكنودُ هو الذي يأكلُ وحدَه ، ويمنع رِفْدَه ، ويضربُ عبدَه) وقال أيضًا : (ألا أُنبئُكم بشرارِكم ؟ قالوا بلى يا رسولَ الله قالَ : من نزلَ وحدَه ، ومنعَ رفدَه ، وجلدَ عبدَه) .

وقال أبو بكر الواسطي : الكنودُ هو الذي ينفقُ نعمَ الله في معاصي الله ، وقال الترمذيُّ : الكنودُ هو الذي يرى النعمةَ ولا يرى المنعمَ ، وقيل : الكنودُ هو الحقودُ الحسودُ ، وقيل: هو الجهولُ لقدرِه ، وجاء في الحكمة : من جَهِلَ قَدْرَهُ ، هَتَكَ سِتْرَهُ . إن الدنيا بما فيها من فانٍ وزائلٍ ، أنْسَتْ الإنسانَ قدرَه فهتَك سترَه .. وإذا أراد الإنسانُ أن يعرفَ قدرَه ، فليتأمّلْ قولَ الله تعالى : [فَلْيَنْظُرْ الإنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ] " ٥ الطارق " وقوله تعالى : [فَلْيَنْظُرْ الإنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ] " ٢٤ عبس " أي فلينظرْ

كيف خلق الله طعامه ، وهذا النظرُ نظرُ القلب بالفكر ، أي ليتدبر كيف خلق الله طعامه الذي هو قوامُ حياته ، وكيف هيّأ له أسباب المعاش ليستعد بها للمعاد .. وقيل فلينظر الإنسانُ إلى مدخلِ طعامه وإلى مخرجه .. وروي ابن أبي خيثمة عن الضحَاك بن سفيان الكلابي قال : قال لي النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : (ياضحاكُ ، ماطعامُك ؟) قلتُ : يا رسولَ الله ، اللحمُ واللبنُ ، قال : (ثم يصيرُ إلى ماذا ؟) قلتُ : إلى ما قد علمْته ، قال : (فإنّ اللهَ ضربَ ما يخرجُ من ابنِ آدمَ مثلاً للدنيا) . وقال أبو الوليد : سألتُ بنَ عمرَ عن الرجلِ يدخلُ إلى الخلاء فينظرُ إلى ما يخرجُ منه ، فقال : يأتيه المَلَكُ فيقولُ : أنظرْ إلى ما بَخلْتَ به إلى ماذا صارَ ؟! ..

وينسى الإنسانُ أن الله تعالى خلقَه في بطنِ أمِّه لا يدركُ شيئا ولا يملكُ لنفسه نفعًا ولا ضرًا ، وأن الله تعالى تكفّلَ بإطعامه وحمايته حتى يخرجَ من بطنِ أمِّه ، فيكلّفَها الله بإطعامه والسهرِ على رعايته ، ويزرعَ الحنان في قلبها ، ويُدرَّ اللبنَ له في صدرِها .. وصدقَ الله إذ يقولُ : [وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ منْ بُطُونِ أُمَّهَاتكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا] " ٧٨ النحل " .. ومن فضلِ الله على الإنسان أنه خلقه فأحسنَ خلْقَهُ وميّزَه على سائر المخلوقات ، وجعلَه في أحسنِ تقويم .. وقالَ تعالى :

[لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيم] " ٤ التين " أي في اعتداله واستواء شبابه ، وهو أحسنُ ما يكونُ ، لأن الله خلقَ كلَّ شيءٍ منكبًّا على وجهه ، وخلقَ الإنسان مستويًا ، وله لسانٌ ذلقٌ ، ويدٌ وأصابعُ يقبضُ بها ، مزيّنًا بالعقلِ مؤدّيًا للأمرِ مهديًّا بالتمييز ، مديدَ القامة ، يتناولُ مأكولَه بيده ، وليس لله تعالى خَلْقٌ أحسنُ من الإنسان ، فقد خلقَه حيًّا عالمًا قادرا مُريدًا متكلمًا سميعًا بصيرًا ، مدبّرًا حكيمًا ، وهذه من صفات الله سبحانه .

ويُحْكَى أن عيسى بن موسى الهاشميَ كان يحبُّ زوجته حبا شديدا ، فقال لها يوما : أنتِ طالقٌ ثلاثًا إن لم تكوني أحسنَ من القمر ، فنهضتْ واحتجبتْ عنه ، وقالتْ : طلقتَني .. وباتَ بليلةٍ عظيمةٍ ، فلما أصبحَ غدا إلى دار المنصور ، فأخبرَه الخبر ، وأظهرَ المنصورُ جزعًا عظيمًا ، فاستحضر الفقهاءَ واستفتاهم ، فقال جميعُ من حضر : (قدطُلِّقَتْ) إلاّ رجلاً واحدًا من أصحاب أبي حنيفةَ ، فإنه كان ساكتًا ، فقالَ له المنصورُ : مالَك لا تتكلمُ ؟ فقالَ له الرجلُ : [بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ، لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ] " ١-٤ التين " ثم قال الرجلُ : يا أميرَ المؤمنين ، فالإنسانُ أحسنُ الأشياء ، ولا شيءَ أحسنُ منه ، فقال المنصورُ لعيسى بن موسى : الأمرُ كما قال الرجلُ ، فأقْبِلْ على زوجتك ، وأرسَلَ أبو جعفر المنصورُ إلى زوجة الرجل : أن أطيعي زوجَك ولا تعصيه ، فما طلّقك .. وهذا يدلُ على أن الإنسانَ أحسنُ خَلْقِ الله ، باطنًا وظاهرًا ، جمالَ هيئةٍ وبديعَ تركيبٍ ، الرأسُ بما فيه ، والصدرُ بما جمعه ، والبطنُ بما حواه ، والفرجُ وما طواه ، واليدان وما بطشتاه ، والرجلان وما احتملتاه .. ولذلك قال الفلاسفةُ : إنه العالَمُ الأصغرُ ، إذ كلُّ ما في المخلوقات جُمعَ فيه .. ويقولُ اللهُ تعالى : [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً] " ٧٠ الإسراء " ..

أبعد كلِّ هذا التكريم والإحسانِ من الله للإنسان يكفرُ بنعمِ اللهِ عليه [قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ] " ١٧ عبس " .. ماذا أكفرَه بالله ونعمه مع معرفته بكثرة إحسانه إليه ؟!..

[يأيُّها الإنسانُ ما غرَّكَ بربِّك الْكَريم الّذي خلقك] "٦ الانفطار" .. غرّه جهلُه ونسيانُه لنعم الله عليه [إنَّهُ كانَ ظَلُومًا جَهُولاً] "٧٢ الأحزاب" . ويقولُ بنُ مسعود : ما منكم من أحد إلاّ وسيخلو اللهُ به يومَ القيامة فيقولُ له : (يابنَ آدم ، ماذا غرَّكَ بي ؟.. يابنَ آدمَ ، ماذا عملْت فيما عَلمْتَ ؟.. يابنَ آدمَ ، ماذا أجبتَ المرسلين ؟!..)

ويقولُ الشاعرُ :

يا كاتمَ الذنب أما تستحي	واللهُ في الخلوة ثانيكَا
غــرّكَ من ربِّك إمْهَــالُهُ	وَسَتْرُهُ طُولَ مَسَاوِيكَا

[إنّ الإنْسانَ خُلقَ هَلُوعًا . إذَا مَسَّهُ الشّرُّ جَزُوعًا . وَإذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا] "١٩-٢١ المعارج" أي لا يصبرُ على خير ولا شرّ حتى يفعلَ فيهما مالا يُبْتغى . والهلوعُ هو الذي إذا مسّه الخيرُ لم يشكرْ ، وإذا مسّه الشرُّ لم يصبرْ .. ويقولُ تعالى : [وَإنَّا إذَا أَذَقْنَا الإنْسَانَ منَّا رَحْمَةً فَرحَ بهَا . وَإنْ تُصبْهُمْ سَيِّئَةٌ بمَا قَدَّمَتْ أَيْديهمْ فَإنَّ الإنْسَانَ كَفُورُ] "٤٨ الشورى"
[لاَ يَسْئَمُ الإنْسَانُ منْ دُعَاء الْخَيْر وَإنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ] "٤٩ فصلت" ودعاءُ الخير بالمال والصحة والسلطان والعزّ ، فإذا أصابه الشرُّ أي الفقرُ أو المرضُ ، فإنه يئوسٌ من إجابة الدعاء ، وقنوطٌ بسوء ظنّه بربِّه [فَإذَا مَسَّ الإنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إذَا خَوَّلْنَاهُ نعْمَةً منَّا قَالَ إنَّمَا أُوتيتُهُ عَلَى علْمٍ بَلْ هيَ فتْنَةٌ وَلَكنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ] " ٤٩ الزمر " ..

[وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا . إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ] " ٣٤ ابراهيم "

وينسى الإنسانُ أن كلَّ ما أُوتيه من علْمٍ أو مالٍ إنما من فضلِ الله ، فإذا به لا يبتغي بعلمه إلاّ عَرَضًا من الدنيا [عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ] " ٥ العلق " .. وعن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : (مَنْ تَعَلَّمَ علْمًا مما يُبْتَغَى به وجهُ الله عزَّ وجلَّ لا يتعلمُه إلاّ ليُصيبَ به عَرَضًا من الدنيا لم يجدْ عُرْفَ الجنة يومَ القيامة) يعني ريحها .. ويتفاخرُ الإنسانُ بما لديه من مالٍ ، فيطغى ويتكبرُ [كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى] " ٦-٧ العلق " .. و"كلاّ " هنا بمعنى حقًا .. فإن من الناسِ من إذا أعطاهم اللهُ وفرةً في المال ، لم ينفقوه فيما أمرَ اللهُ به من الخيرِ ، بل أنفقوه في المعاصي واللهوِ والفساد [الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] " ٢٧ البقرة " .. ويضربُ اللهُ لنا الأمثالَ ، ويذكرُ الآيات البينات التي ترشدُنا وتحذرُنا وتنبهُنا وتذكرُنا بيومِ الحساب .. [يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا سَعَى] " ٣٥ النازعات " أي ما عملَ من خيرٍ أو شرٍّ . .[يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ] " ١٣ القيامة " ، أي بما قدّمَ من المعصية وأخّرَ من الطاعة .. فطوبى لمن وفقَه اللهُ فقدّمَ من الحسناتِ ما ينفعُه يومَ القيامة .. وعن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : (إنّ مما يلحقُ المؤمنَ من عمله وحسناته بعد موته ، علْمًا علَّمَه ونشرَه ، وولدًا صالحًا تركَه ، أو مصحفًا ورَّثَه ، أو مسجدًا بناه ، أو بيتًا

لابنِ السبيلِ بناه ، أو نهرًا أجراه ، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته ، تلحقُه بعد موته) .. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ : (من سنَّ في الإسلامِ سنّةً حسنةً كان له أجرُها وأجرُ من عملَ بها من بعده ، من غيرِ أن ينقصَ من أجورِهم شيء ، ومن سنَّ في الإسلامِ سنّةً سيئةً فعليه وزرُها ووزرُ من عملَ بها بعدَه ، من غيرِ أن ينقصَ من أوزارِهم شيء) .. ولو استعمل الإنسانُ عقلَه وعرفَ أن الدنيا بما فيها وما عليها فانيةٌ زائلةٌ ، وأننا جميعًا إلى ربّنا راجعون ، في يومٍ لا ملجأ لنا من الله إلاّ إليه ، يومَ لا يجدُ الإنسانُ مفرًا من الحساب .. [يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ] - ١٠ القيامة - بمعنى أين المفرُّ من الله استحياءً منه ، أو أين المفرُّ من نارِ جهنمَ حذرًا منها !!..

وعلى الإنسانِ أن يعيدَ حساباته ، وأن يُصلحَ ما بينه وبين الله ، حتى يُصلحَ اللهُ ما بينه وبين الناسِ ، وألاّ يطيعَ نفسَه الآمرةَ بالسوءِ ، بل يطيع نفسَه اللوامةَ ، وليتذكّرْ دائمًا قولَ الله عزَّ وجلَّ : [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ . وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ] - ١٦ ق - ..

اللهم باركْ لنا في أعمارِنا ، بزيادةِ الخيرِ فيها ، لا بزيادةِ لياليها .. ووفقنا إلى الإحسانِ في أعمالنا ، حتى نكونَ في الجنةِ من مستحقيها .. ولا تجعلْنا من الذين في خُسْرٍ ، بل اجعلْنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ ، وتواصوْا بالحقِ وتواصوْا بالصبرِ !

يا رجالَ المرور .. ارحموا الجمهور !!..

يا وزارةَ الداخلية ، ويا رجالَ المرور .. هذه صرخةٌ مكتومةٌ تئن بها صدورُ المواطنين مما يرَوْنَهُ من رجال المرور في بلدنا مصر .. فالمعاملةُ مع الجمهور من أسوأ المعاملات ، ولقد ضاقتْ صدورُ المواطنين بما تحملُه من صرخات مكتومة بسبب ما يلقَوْنَهُ من مضايقات واستفزازات رجال المرور ، وكأن هناك عداءً شديدًا بين رجال المرور والمواطنين .. ولقد آن الأوانُ لهذه الصدور أن تطردَ هذه الصرخات ، وأن تُطلقَها لعلّ أحدًا يسمعُها أو يستجيبُ لها .. وإذا لم يسمعْها أو يستجبْ لها أحدٌ ، فلتتبددْ هذه الصرخاتُ في الهواء ، إذ المهمُ أن تخرجَ من الصدور التي لم تعدْ لها قدرةٌ على حملِها من شدة ثقلِها !!..

يا من لهم بعضُ الضمائر التي تؤنِّبُ ، ويا من منحَهم اللهُ نعمةَ النفس اللوامة .. استمعوا لهذه الصرخات لعلها تجدُ لديكم آذانًا تسمعُ وعقولاً تقنعُ وقلوبًا تخشعُ !!.. ولعلّكم تُعيدون الحسابات وتراجعون الملفات ، وتصححون اللوائحَ والتعليمات ، التي خلقتْ الكراهيةَ والبغضاءَ والنفورَ ، بين الشرطة والجمهور بصفة عامة ، وبين المواطنين ورجال المرور بصفة خاصة ، حتى لم يعدْ المواطنون يتعاونون مع رجال الشرطة بأيِّ شكلٍ من الأشكال ، بل وليس لدى أيِّ مواطنٍ مجردُ الرغبة في التعامل مع أيِّ رجلِ شرطة ، لأنه يشعرُ بأن رجالَ الشرطة ليسوا في خدمة الشعب كما كانوا يدّعون في شعاراتهم الجوفاء التي لم يكن لها أيُّ مضمونٍ ولا تطبيق .. حتى أصبحَ معظمُ المواطنين يتجنبون المواجهةَ مع أيِّ رجلِ شرطة مهما كانت رتبتُه ، حتى ولو كان مجردَ جنديٍّ عاديٍّ لا يحملُ على ذراعه حتى شريطًا واحدًا ..

إن نظامَ سحب رُخَصِ السيارات لأتفه الأسباب ، وما يترتبُ على ذلك من معاناة أصحابها ، ملأ صدورَ الناسِ بالضيقِ والاكتئاب .. ولقد سمعتُ قصصًا كثيرةً من بعضِ المواطنين عن تجاوزاتِ رجالِ المرورِ واستفزازاتهم للمواطنين في تحريرِ المخالفاتِ ، وسحبِ رخصِ السياراتِ ، وعن سخافةِ الإجراءاتِ ، في وحداتِ المرور ، مما يضيِّقُ الصدورَ ، ويزيدُ النفورَ !!..

فأيةُ (خبطة) في جسمِ السيارةِ " الصاجِ " تُعتبرُ مخالفةً ، بحجة الأمنِ والمتانة .. ولا أدري ما العلاقةُ بين هذه (الخبطةِ) والأمنِ والمتانة !! .. خاصةً إذا كانت هذه (الخبطةُ) لا تؤثرُ بأيِّ شكلٍ من الأشكالِ على سيرِ السيارةِ .. وإذا كانت هناك عمليةُ (سمكرة) بسيطةٌ في جزءٍ من جسمِ السيارةِ ولم يُطْلَ بعد (بالدوكو) تُعْتَبَرُ مخالفةً .. وإذا سألتَ عن السببِ ، يقولون : إن هذا الجزءَ يشوّهُ منظرَ السيارةِ !!. يا سلام !!.. ألِى هذا الحدِّ تهتمون بجمالِ السياراتِ ؟!.. إذن ما أبشعَ منظرِ سياراتِ الشرطةِ التي تجوبُ الشوارعَ وهي مليئةٌ (بالخبطاتِ) والأجزاءِ التي تحتاجُ إلى (دهاناتٍ) ، وما أكثرَ الفوانيسِ المكسورةِ ، التي تشوّهُ الصورةَ ، ومع ذلك مسموحٌ لها بالتبخترِ في الشوارعِ ، دون أن يتصدّى لها رادعٌ ولا مراجعٌ .. أما سياراتُ المواطنين ، فإنهم يصطادونها في كلِّ كمينٍ ، ليحرروا المخالفاتِ ، ويوقّعوا الجزاءاتِ .

ولن أرويَ القصصَ التي سمعتُها من بعضِ أصدقائي عن تجاوزاتِ رجالِ المرورِ ، ربما كان فيها شيءٌ من المبالغة ، وحتى لا أردِّدَ قصصًا لم أشاهدْها بنفسي .. وسأكتفي بالحديثِ عن واقعتين حدثتا معي أنا شخصيًا مع رجالِ المرورِ ، مما جعلني أفكِّرُ أكثرَ من مرةٍ في التخلصِ من سيارتي ، رغم شدةِ حاجتي لها ، لكي أريحَ نفسي ولا يضيقَ صدري من تزمّتِ رجالِ المرورِ :

الواقعةُ الأولى :

كنت أقودُ سيارتي في شارعِ مجلسِ الشعبِ ، فاستوقفني ضابطُ مرورٍ برتبة عقيد ، وطلبَ مني رخصتَيْ السيارة والقيادة ، فأعطيتُهما له فإذا به يعطيني رخصةَ القيادة وإيصالاً مؤقتًا لتسييرِ السيارةِ لمدةِ أسبوعٍ ، ولما سألتُه عن السببِ قال : إن أرقامَ اللوحةِ المعدنية الأمامية ليست واضحةً .. فأوضحتُ له أنني تسلمتُها هكذا من وحدة المرورِ .. فضلاً عن أن أرقامَ اللوحة ليست مطموسةً ، بل يمكنُ قراءتُها بسهولة ، ويبدو أنه لم يعجبْه أن أجادلَ معه ، وصمَّمَ على سحبِ رخصة السيارة وقال : يمكنُك أن تعيدَ دهانَ اللوحةِ وتوضيحَ الأرقامِ في خلالِ ساعة ، ثم تذهبَ إلى وحدة مرورِ الجزيرةِ لاستلامِ الرخصة في الحالِ .. ورجوتُه أن يعطيَني الرخصةَ ، ويحررَ مخالفةً إن أرادَ ، وأن أدفعَ قيمةَ المخالفة فورًا ، ووعدتُه بأن " أطليَ " اللوحةَ في نفسِ اليومِ .. ولكنه رفضَ وصمَّمَ على موقفه .. ولم يكنْ أمامي إلاّ أن أسلّمَ أمري لله ، وانصرفتُ ، وأعدتُ طلاءَ اللوحةِ وتخطيطَ الأرقامِ بصورةٍ واضحة .. وذهبتُ إلى وحدة مرورِ الجزيرةِ ، وسألتُ عن الرخصة فقالوا إن الضابطَ المختصَ غيرُ موجودٍ وسيأتي عند المغربِ .. ولما كنتُ قربَ مبنى نقابة المعلمين ، ذهبتُ إلى نادي المعلمين حيث انتظرتُ هناك حتى المغربِ ، ثم ذهبتُ إلى وحدة مرور الجزيرة لاستلام الرخصة ، فوجدتُ جميعَ مكاتبِ الوحدة مغلقةً ولا يوجدُ أحدٌ ، وعدتُ في اليوم التالي فقالوا إن الرخصةَ أُرْسلَتْ إلى وحدةِ المرورِ التابعة لها الرخصةُ .. ولما كانت هذه الوحدةُ هي وحدةُ مرورِ العجوزة ، فقد ذهبتُ إليها في اليومِ التالي ، واليومِ الذي يليه واليومِ الذي بعدَه ، وظللتُ هكذا لمدة أسبوعٍ ، ومع ذلك لم تصلْ الرخصةُ إلى وحدة مرور العجوزة .. ونصحوني بالاستفسارِ عنها في الإدارة العامة لمرور الجيزة .. وبدأتُ رحلةَ عذابٍ أخرى في مرورِ الجيزةِ ، ورأيتُ من الإجراءاتِ العقيمةِ ما يوغرُ الصدرَ ، ويَذْهبُ

بالصبر ويدفعُنا بالخطوة السريعة إلى القبر .. وبعد البحث واللف ، والسير إلى الأمام وإلى الخلف ، والوقوف بضعةَ دقائقَ في كلّ صف ، وصلتُ إلى حجرة العذاب حيث يتزاحمُ عليها الكهولُ والشبابُ ، وحيث هربَ النظامُ وغابَ ، وكأننا نعيشُ في الغاب .. وترى في هذه الحجرة العَجَبَ العجابَ ، فهذا جنديٌّ يكتبُ في دفترٍ ، وذلك يملأُ الحجرةَ بدخان سيجارته وأمامَه كوبٌ من الشاي ، وآخرُ يقهقهُ مع زائره وصديقه ، ولا يكترثُ بما يدورُ حولَه .. أما رجلنُا المسكينُ فهو جنديٌّ يبدو أن أمَّه قد دَعَتْ عليه وأجابَ اللهُ دعاءَها ، فألقى به في نارِ هذه الحجرة حيث يلعنُه كلُ المتزاحمين حوله بلا ذنب جناه .. فهو يجلسُ بين هؤلاء الغاضبين والمتذمرين ، ويتصببُ العرقُ على وجهه ، ويتدفقُ الماءُ من عينه وأنفه ، ويصرخُ في الناسِ من حوله بأن يسلموه الإيصالات ، فيرصّها أمامه ، ويبدأ عمليةَ البحث التي تجعلُنا لا ندري ، إن كنا في الألفية الثالثة أم في العصر الحجري . وأمام هذا المسكين ثلاثةُ دفاترٍ ، أحدُها للسيارات الخاصة ، والثاني للسيارات الأجرة ، والثالثُ لسيارات النقلِ .. ويمسكُ هذا الجنديُّ المُعَذَّبُ والمُعَذِّبُ بأحد الإيصالات ويفحصُه ليرى أيَّ نوعٍ من السيارات يخصُّ ، فإن كان لسيارة خاصة يفتحُ دفترَ السيارات الخاصة ، وإن كان لسيارة أجرة يفتحُ دفترَ سيارات الأجرة ، وإن كان لسيارة نقلٍ يفتحُ دفترَ سيارات النقلِ ، ويقلّبُ صفحاتها ليرى إن كانت رخصتُها وصلت أم لا .. ثم يؤشِّرُ عليها برقم وصولها ، ويطلبُ من صاحبها الذهابَ إلى المكتب (الفلانِّي) لاستلامها ، أو يؤشِّرُ بما يبيّنُ عدمَ وصولها ويطلبُ من صاحبها الذهابَ إلى المكتب (العلاّني) ليؤشّروا على الإيصال بتصريحٍ لمدة أسبوعٍ آخر .. ولسوءِ حظي ترددتُ على هذا المكتب الكئيب ، وذقتُ العذابَ الرهيبَ ، عدةَ مرات ، وأعطوني عدةَ تصريحات .. ولما ضاق صدري ، وجدتُ نفسي بسرعةٍ أجري ، حتى مكتبِ المدير وأنا لا أدري .. وحاولَ الجنديُّ الواقفُ عند الباب

أن يمنعَني من الدخولِ ، ولكني اندفعتُ وكنتُ في حالةِ ذهولٍ ، إلى مكتبِ المديرِ ، الذي دُهشَ حين رآني ، حيث دخلتُ دون استئذانٍ ، وكنتُ كمَنْ ركبَه عشرةٌ من الجانّ .. وقلتُ له وأنا في شدةِ الغضبِ ، وبجبينٍ مقتضبٍ : أريدُ أن أعرفَ منك .. هل أوصاكم أحدٌ بتعذيبِ المواطنين ؟!.. والتعاملِ معهم كمذنبين ؟!.. ويبدو أن الرجلَ قد هالتْه غضبتي ، فأراد أن يهدّئَ من ثورتي ، وسألني عن مشكلتي ، فقصصتُها عليه ، وطلبتُ منه الموافقةَ على استخراجِ بدلِ فاقدٍ لرخصتي ، ليرحَمَني من عذابي وحيرتي .. فقال الرجلُ : على أيِّ حالٍ أرجو أن تتحمّلَ أسبوعًا آخرَ ، وسأعطيك تصريحًا بأسبوعٍ ، وإذا لم تصلْ الرخصةُ فسأساعدُك لاستخراجِ بدلِ فاقدٍ .. ورضيتُ بهذا الوعدِ ، وعدتُ بعد أسبوعٍ ، ولم تكنْ الرخصةُ قد وصلتْ بعدُ .. وقدّمتُ طلبًا للمديرِ لاستخراجِ بدلِ فاقدٍ ووافقَ عليه ، وبدأتْ رحلةُ عذابٍ أخرى ، في طوابيرِ الحصولِ على التمغاتِ ، وملءِ البياناتِ ، والدفعِ في الخزيناتِ ، حتى حصلتُ على الرخصةِ المنشودةِ ، بدلاً من أختِها .. العزيزةِ المفقودةِ !!..

ياناس .. ياعالم .. ياهوه .. أكُلُّ هذا العذابِ ، لأنّ اللوحةَ عليها بعضُ الترابِ ؟!..

الواقعةُ الثانيةُ :

كنتُ أقودُ سيارتي في شارعِ ٢٦ يوليو ببولاق ، وخرجتُ إلى الكورنيشِ ، وعند اتجاهي إلى اليمين على ناصيةِ الشارعِ والكورنيشِ ، استوقفني أمينُ شرطةٍ ، وطلبَ الرخصتين فأعطيتُهما له ، وتركني وذهب بهما إلى ضابطٍ برتبةِ نقيبٍ كان يقفُ على رصيفٍ بجوارِ (كشكٍ) للمرورِ ، فخرجتُ من السيارةِ وذهبتُ إلى الضابطِ

لأستفسر عن الأمر ، فأعطاني رخصةَ القيادة وإيصالاً بتصريحٍ لتسيير السيارة لمدة أسبوعٍ ، ولما سألتُ عن السبب قال : لديك (فانوسٌ) محترقٌ ، فنظرتُ إلى السيارة فوجدتُ فعلاً (فانوسًا) غيرَ مضيء ، وهو واحدٌ من أربعِ كشافاتٍ أمامية ، لا يعملُ إلاّ مع إضاءةِ النورِ العالي .. وأنا من عادتي لا أحبُ إضاءةَ النورِ العالي ، ولكنّ سوءَ حظي جعلني أضيئُه بطريقِ الخطأ ، وطبعًا لجلوسي في السيارة لم أتبيّنْ احتراقَ أحد الفوانيس ، ولو كنت أضأتُ النورَ المنخفضَ لما ظهرَ احتراقُ هذا الفانوس .. وحاولتُ أن أقنعَ الضابطَ بأن أدفعَ قيمةَ المخالفة فورًا لكي لا أتعطلَ عن عملي بسببِ طولِ الإجراءات المترتبة على سحب الرخصة والبحث عنها ، ولكنه رفضَ وصمَّمَ على موقفه .. وسألتُه : أين أذهبُ لاستلامها ؟ فقال : من وحدة مرور شبرا .. فقلتُ له : لماذا مرورُ شبرا ، والواقعةُ حدثتْ في بولاق ، والرخصةُ تابعةٌ لوحدة مرورِ العجوزة ، والمفروضُ أن أجدَها إما في وحدة مرور بولاق أو وحدة مرور العجوزة ، فقال : " بعجرفة " (إنت حتعلّمني شغلي ؟!) .. فاستسلمتُ للأمر ، ولم أُردْ أن أُطيلَ معه الجدالَ .. حيث أدركتُ أنه لا فائدةَ من مناقشته ، وكان أسلوبُه في المناقشة فظًا كريهًا ، ولم يراعِ أنني في منزلة أبيه أو ربما أكبرُ سنًا ، ولم يحترمْ مكانتي كرجلٍ من رجالِ التعليم ، إذ عرفَ من بياناتِ الرخصة أنني مديرٌ للتعليمِ الخاصِّ .. أي أنني كنت يومًا أستاذًا للكثيرين من أمثاله ، وممن يحتلون اليومَ المناصبَ العليا ، ومنهم العقيدُ والعميدُ واللواءُ .. وأنا لا أقصدُ بهذا الكلام أن يتهاونَ معي أو يجاملَني على حساب أدائه لواجبه .. ولكن كنتُ أتمنى أن يقدّرَ شَيْبَتي وكبَرَ سني ، ويحصّلَ قيمةَ الغرامة أو المخالفة فورًا ويريحَني مما ينتظرُني من عذاب الوقوف في الطوابير ، والتشتت بين مكاتب جهنمَ التي احترقتُ بنارها من قبلُ .. واتضحَ أن هذا الضابطَ (لا سامحه اللهُ) أراد أن يؤدبَني لمجادلتي ، فقال إن الرخصةَ ستكونُ في وحدة مرورِ شبرا .. ولما أحسستُ بضيقِ الصدرِ ، ولم أكنْ على استعداد لتحمّلِ مشاقِ التعاملِ مع رجالِ

المرورِ ، التي تعقّدُ النفسَ وتوغرُ الصدورَ ، فقد اضطررتُ إلى اللجوء إلى أحد تلاميذي القدامَى ، وهو ضابطٌ كبيرٌ (أكرمَه اللهُ) فقد حملَ عني هذا الهمَّ ، وجنّبني ذلك الغمَّ ، وخلالَ أيامٍ قليلة استعدتُ الرخصةَ بفضلِ الله ثم بفضلِ مساعي هذا الرجلِ الأصيلِ ، الذي كان سعيدًا وهو يقومُ بخدمةٍ لأستاذٍ من أساتذته القدامَى .. وكما يقولُ المَثَلُ : الشيءُ بالشيءِ يُذْكَرُ .. فإنني أتذكّرُ بالفضلِ بعضَ الأبناء من تلاميذي الأوفياءِ ، الذين قدّموا لي الجليلَ من الخدْماتِ ، ومنهم اللواءُ علاءُ الدين مختار مقلد ، الذي كان مثالاً للوفاءِ والأصالة ، وكذلك العميدُ حمدي صالح ، والعقيدُ فراج أحمد فراج ، والرائدُ أسامة جمال الدين ، والرائدُ أحمد جنيدي ، الذي كان يريحُني ، ويحملُ عني عبءَ إجراءاتِ تجديدِ رخصتي ، وغيرُهم كثيرون من أصحابِ الوفاءِ ، باركَ اللهُ فيهم وأكثرَ من أمثالِهم !

وأقولُ لكبارِ المسئولين في وزارةِ الداخليةِ وإداراتِ المرورِ .. إذا أردتم أن تستعيدوا ثقةَ المواطنين فيكم وفي أجهزتكم ، فانظروا بموضوعيةٍ وعقلانيةٍ إلى رجالِ الشرطةِ والمرورِ في الدولِ المتقدمةِ ، وكيف يتعاملون مع الجمهورِ ، فاستطاعوا أن يكسبوا احترامَ الناسِ وتقديرَهم وتعاونَهم بلا حدودٍ .. هل تعرفون شعارَ الشرطةِ في الولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ ، والمكتوبَ على سياراتِهم وإداراتِهم ؟؟ .. إنه : **(To Serve and Protect)** ومعنى الشعارِ هو (للخدمةِ والحماية) وهذا الشعارُ يُطَبَّقُ بكلِّ صدقٍ وإخلاصٍ ، ولهذا يتعاونُ المواطنون مع رجالِ الشرطةِ بلا حدود ، فعند حدوثِ أيِّ مكروهٍ لأيِّ إنسانٍ ، أو حتى لأيِّ حيوانٍ ، تجدُ كلَّ من شاهدَ الحادثَ يُبلِغُ الشرطةَ وتتوالى البلاغاتُ ، وما هي إلاّ دقائقُ قليلةٌ حتى تأتيَ سياراتُ الشرطةِ والإسعافِ ،

والمطافئ إذا لزمَ الأمرُ للتصرف السريع ، لخدمة الناس بصرف النظر عن جنسياتهم أو دياناتهم أو مراكزهم ، فالخدمةُ مكفولةٌ بكلّ أمانة للجميع ، وكذلك الحمايةُ متوفرةٌ لمن يطلبُها .. ولا تجدُ جنديًا ولا ضابطًا يعتدي على إنسان ، مهما كانت جريمتُه ، طالما لا يقاومُ أو يعتدي .. أما رجالُ المرور فإن أسلوبَهم في التعامل مع الجمهور يثيرُ الإعجابَ .. فالابتسامةُ لا تفارقُ وجوهَهم حتى مع المخالفين ، ويحررون إيصالاً بالمخالفة ويسلمونها لقائد السيارة ، وغالبًا ما يقولون له في النهاية عبارةً وديّةً لطيفةً هي : (Have a nice day !) والمعنى : نتمنى لك يومًا لطيفًا ..

ولذلك أنا لا أندهشُ عندما أجدُ الناسَ في أمريكا يحبون رجالَ الشرطة ورجالَ المرور ويحترمونهم ويتعاونون معهم .. وقد تشعرُ بالدهشة أيها القارئُ عندما أقولُ لك إنني في أمريكا كلما مررتُ بسيارة شرطة وقفتُ لأحيِّيَ رجالَها وأسلّمَ عليهم ، وأبديَ إعجابي بهم !!.. أما في بلدي فأنا أتجنبُ رجالَ الشرطة وأبتعدُ عنهم ، ولو عرفتُ طُرُقًا تخلو من رجال المرور لسلكتُها حتى لا أرى أحدًا منهم ، فليس بيني وبينهم أبدًا عمارٌ ، وأتمنى أن يفصلَ بيني وبينهم حاجبٌ وستارٌ .

ألا نتعلمُ من غيرنا ما يرفعُ من شأننا ، وما يعيدُ الثقةَ بين الشرطة وأفراد شعبنا ؟!.. أم أننا سنظلُ على حالنا ؟!.. وبعد ذلك تقولون : (الشرطةُ والشعبُ في خدمة الوطن) !! وأقولُ لرجال الشرطة : إذا أردتم فعلاً أن تكونوا في خدمة الوطن ، فعليكم أولاً أن تكونوا في خدمة الشعب .. وبصدق وليس بالشعارات .. فقد ملَلْنَا الشعارات الخادعات ، التي لا تحملُ إلاّ مجردَ كلمات ، والتي أوْدَتْ بنا إلى الهزائم والنكسات !!..

يا وزيرَ الداخلية .. إذا أردتَ أن يتحققَ الشعارُ الجديدُ الذي رفعتموه ، والذي

يقولُ :

(الشرطةُ والشعبُ في خدمة الوطنِ) فعليك أولاً أن تُقْنِعَ رجالَك بأن مهمتَهم الأولى هي خدمةُ الشعبِ .. وأن تحاسبَ بكلِّ حزمٍ كلَّ من يسيءُ استخدامَ سلطاته في معاملةِ أفرادِ الشعبِ .. عندئذ ستجدُنا جميعًا معك ، عندما تتكلمُ نسمعُك ، وعندما تنادي نلبي النداءَ .

ويارجالَ المرورِ .. آن الأوانُ لكي تدركوا أن أسلوبَكم في معاملةِ الجمهورِ ، لا يخدمُ مصلحةَ الوطنِ ، بل يضيّعُها ، ولا يخدمُ شعارَ زيادةِ الإنتاجِ ، بل يهدمُ هذا الشعارَ .. إذ كيف نطالبُ الناسَ بزيادةِ الإنتاجِ ، وأنتم بتصرفاتكم تعطلون الإنتاج ، ولابدّ أن تبدأوا فورًا ثورةً إداريةً للتصحيحِ .. وعاملوا الناسَ كآدميين ولا تعاملوهم كمجرمين ، وارسموا البسمةَ على وجوهِكم ولا تكونوا متجهمين .. ولا نقولُ لكم كونوا متهاونين ، ولكن كونوا متساهلين ، وللمصلحةِ العامةِ متفهّمين .. ولا داعيَ لسحبِ الرخصِ ، واكتفوا بأخذِ الغراماتِ من المخالفين حتى لا تعطلوا الأعمالَ ، وتضيّعوا الأموالَ !!.. ولْتُغَيِّرُوا النظامَ ، بما يعيدُ الحبَّ والوئامَ ، بينكم وبين المواطنين ، لنعيشَ معًا آمنين مطمئنين !!..

وأناشدُ جميعَ المسئولين في وزارةِ الداخليةِ ، بصفةٍ عامّةٍ ، وفي إداراتِ المرورِ بصفةٍ خاصةٍ أن يعملوا على **إلغاءِ نظامِ سحبِ رُخَصِ السياراتِ !!..**

ورجائي الأخيرُ **يا رجالَ المرورِ ، أن ترحموا الجمهورَ !!....**

العتبة الخضرا !!..

إيه اللى بيحصل دا ياناس	****	ممكن حـــدّ يفهّمنى ؟!..
فين راح الذوق والإحساس	****	حـــدّ يرُدّ ويرحمنى !!..
معقول اللى احنا بنقراه	****	وبنسمع عـــنّه يوماتى؟!..
لو بنى آدم عقله معـــاه	****	مش حيصدّق كلماتى !!..
قلنا يمكن دى إشـــاعة	****	م اللى الناس بتردّدهـــا
فى مجلة أو فى إذاعـــة	****	والتليفزيـــون فنِّدهـــا
لّما ســـمعنا أخبارهـــا	****	ما قدرش العقل يصـــدّق
ولا قام حدّ يفسّرهـــا	****	ضاعت الاخلاق والمبدأ !!..
بدأت بذئاب بشريّـــة	****	تنهش أعـــراض فتـــياتنا
إكمنّ مفيش داوريّـــة	****	بتحـــافظ على كـــرامتنا
قالوا عن حادثة رهيبة	****	حصلت فى العتبة الخـــضرا
حادثة فظيعـــة وكئيبة	****	لبنَيَّـــة شـــابّة وعـــذرا

شدّوها من ع الأوتوبيس **** لاجْــل يزيلوا عفّـــتها
لو كان شيطان أو إبليس **** مش راح يقبل بشاعتها !!..

فين الأمــن ورجّــالته **** اللى عددهم بالملايـــين ؟!..
لو جيتوا ف مرّه سألتوا **** ع اللى بيحصل ليه ساكتين ؟!..

قالوا دى حالة فرديّـــة **** وبتحصـــل فى كلّ مكـــان
طب رسّـــونا يا فنديّـــة **** ما كانتش بتحصل ليه زمان ؟!..

طب فين دوركم ووجودكم **** ورجـــالكم فيـــن نلاقيهم ؟!..
فين ضـــبّاطكم وجنودكم **** اللى بتـــتباهـــم بيـــهـــم ؟!..

تلاقيهم عند الســـفارات **** ومنـــازل أهـــل القـــمّـــة
م الوزرا أو م الخواجات **** علشان دى رســـالة مهمّة !!

لازم يحـــموا أرواحـــهم **** ببســـالـــة وكل بطـــولـــة
ولا يمكن شىء يجرحـــهم **** دول ناس م الدرجـــة الأولى !!

وكمان ماليــين الميادين **** ويا ألف ماشـالله عليهم !!..
مين يطلع فى جمالهم مين **** بالبدل المرسـومة عليهم ؟!..

واقفين وبْهمّه وصـاحيين **** بيفتشـوا عـربيّـاتنـا
فى مخالفات طالعين نازلين **** لو يخـربوا حتى بيـوتنا !!

لو مالاقوش غلطه يتيمه **** قـالوا فيـن الطفّـايه ؟؟..
ويقولوا دى ماركه قديمه **** ادفـع ولا ترغى معايا !!..

لو شافوا خبطه خـفيفه **** فى الباب أو حتى الشـنطه
قالوا خـطيره ومخـيفه **** وفلوس ندفعـها أوانـطه

آل أمن وإيـه ومتـانه **** وكلام ماحـناش فاهمينـه
حتى النـاس الغـلبانه **** ومفيش واحـد عاتقينـه !!

والضابط ماسـك دفتر **** بيحصّـل بيـه الغرامات
لو ملا دفتـر أو أكتـر **** ليه نسْـبَه أو عمولات !!..

وما دام الضـــابط راتبه **** فى الشهر ماهش بيكفّـــى
مين يقـــدر بس يعاتـــبه **** أو يطلب منّـــه يعـــفى ؟!

ماهو برضه زىّ حالاتنا **** محتاج مصـــاريف وبلاوى
فَ يزوّد فى مخـــالفاتنا **** ولا يســـمع حدّ شكاوِى !!

لو تدخل مبنى حكومى **** حتلاقى حـــراسه شديده
وتلاقى دفتـــر يُـــومِى **** بلوايح لسّـــه جـــديده !!..

بتحـــذر أو بتهـــدّد **** للمنحـــرفين فى الذمّـــه
واللى فى المـــال بيبدّد **** من غـــير اللى فى القمّـــه !!..

ما تقولش وزير ولا غيره **** مين بس يحقـــّق ويّـــاه ؟!..
واللى معوجّ ف ســـيره **** بســـلامه راح تلقـــاه !

دول ليهم كلّ حصانه **** كام ألف قانون يحميهم !!..
والناس اللى شـــقيانه **** الكرابيج دى بتشويهم !!..

لوكنت ف يوم راح تشكى**** وتقول ع الحق الضـّـايع
راح تندم يابنى وتبكـــى **** لّما تشـــوف موقف مايع !!..

وزمـــان قالوا انّ المايـــّه **** ما بتطلع يوم فى العـــالى
حكمه صحيح ميّه الميـــّه **** بالذات فى الوقت الحالى !!..

والأمـــر للى خـــالقنا **** هوّ لوحده اللى يحاسب !!..
لو تتحسّـــن أخـــلاقنا **** حنعيش دايمًا فى مكاسب !!..

واللى بيحصل فى العتبه **** أو فى أىّ مكـــان تانـــى
دول عاوزين قطم الرّقبه **** عبره عشانك وعشانى !!..

وانتو ياناس ياللى ضحايا **** خلّوا على المولَى عوضكم !!
وادعـــوا وقولوا ويّـــايا **** يحفظ ويصـــون أعراضكم

بسّ نصـــيحه من عندى **** خلّوا الستات فى بيوتـــها !!
وخصوصًا فى الأيام دى **** ولا تخـــرج ويّا بناتـــها !!..

أىّ شـــوارع فى بلادنا **** ما بقتش خـــلاص مأمونه
والله يرحـــم تقـــاليدنا **** م الخـــفافيش المجـــنونه !!..

والعـــتبه اللى عارفينها **** ما بقتش العتبه الخضـــرا !!..
شيلوا ياناس بقى عنوانْها **** سَـــمّوها العتبه الحـــمرا !!..

أين هو الوفـــاءُ ؟؟!!..

الوفاءُ .. كلمةٌ لها مضمونٌ إذا لم نلتزمْ به فلا معنى لترديدِها والتشدّقِ بمنطوقِها بلا جوهرٍ !!..

وكم تردَّدَتْ هذه الكلمةُ على ألسنة الكثيرين بينما لم يجدْ مضمونُها سبيلاً إلى التطبيق !! وأذكرُ أن الرئيسَ السابقَ أنورَ السادات " رحمَه اللهُ " ردَّدَها مراراً، وخاصةً بعد أن رحّبَ بشاه إيران للإقامة في مصرَ بعد أن لفظَه شعبُ إيرانَ .. ولما تعالتْ صيحاتُ الاعتراضِ ضدَّ إيواء الشاه المخلوعِ والمنبوذِ من شعبه ، علّلَ الرئيسُ الساداتُ موقفَه من الشاه بأنه الوفاءُ .. بينما لم نجدْ هذا الوفاءَ لكثيرين من أبناء مصرَ الذين أعطَوْا من شبابهم وصحتهم في سبيلِ قضايا وطنهم ، فأين كان الوفاءُ للذين اعتقلَهم بالجملة من خيرةِ هذا الشعبِ من أمثالِ فؤاد سراج الدين ، ومصطفى أمين ، والقياداتِ الدينية للمسلمين والمسيحيين ..كالشيخ أحمد المحلاوي والبابا شنودة وغيرهم ، ولم تُرَاعَ أدوارُهم الوطنيةُ ولم تُرْحَمْ شيخوختُهم حتى جاء الرئيسُ مبارك فأفرجَ عنهم وأعادَ لهم كرامتَهم ، **وهذا مما لا يُنْسَى للرئيسِ مبارك !.**

وأين الوفاءُ للزعيمِ مصطفى كامل الذي كان عشقُه لمصرَ يفوقُ عشقَ الهوى للمحبوب ، والذي كافحَ وناضلَ ضدَّ الاستعمارِ الإنجليزيِّ حتى اعتلاه المرضُ ووافتْه المنيةُ وهو في عزِّ الشباب .. وأين الوفاءُ للزعيمِ محمد فريد ، الذي حملَ رسالةَ مصطفى كامل ، وضحّى بكلِّ ثروته للدفاعِ عن المبادئ التي أرساها الزعيمُ مصطفى كامل ، ثم ماتَ فقيراً .. وأين الوفاءُ للزعيمِ سعد زغلول ، الذي نذرَ حياتَه للدفاعِ عن حريةِ الوطنِ واستقلالِه ، والذي وقفَ الشعبُ كلُّه وراءَه عندما نفاه الإنجليزُ ، وقام بثورةِ

سنة ١٩١٩ التي تجلّتْ فيها الوحدةُ الوطنيةُ بأعظمِ صورِها حيث كان القساوسةُ الأقباطُ يخطبون في المساجد ، والشيوخُ يخطبون في الكنائسِ ، يطالبون المواطنين بمقاومة الإنجليزِ ، واختلطتْ دماءُ المسلمين والمسيحيين الذين استُشْهِدوا دفاعاً عن وطنِهم ، وتأييداً لزعيمهم سعد زغلول ..

وأين كان الوفاءُ للزعيمِ مصطفى النحاس الذي التفَّ الشعبُ حولَه ، والذي ضربَ أروعَ الأمثلة في حبِّ مصرَ ، والذي قال يوماً : تُقْطَعُ يدي ولا يُفْصَلُ السودانُ عن مصرَ .. ذلك الزعيمُ الوطنيُّ المخلصُ الذي عاش أواخرَ أيامه مديناً للبنوك ، وعجزَ عن تسديد إيجارِ الفيللا التي كان يسكنُها .. ولم يكنْ يعرفُ معنى اصطلاحات هذا الزمان الأغبرِ من أمثلة " البواكي والأرانب والفيَلَة " ولا حتى " الكتاكيت " ، بل عاشَ شريفاً نزيهاً وماتَ فقيراً .. وأين الوفاءُ لرائد حركة الفدائيين عامَ ١٩٥١ المناضلِ محمد فؤاد سراج الدين ، الذي كان وزيراً للداخلية حينئذ ، وخاطرَ بإمداد الفدائيين بالرجالِ والسلاحِ لقتال الإنجليزِ في منطقة قناة السويسِ ، هذا الرجلُ الوطنيُّ الذي لا ننسى له موقفَه الوطنيَّ عندما أمرَ رجالَ الشرطة بعدم الاستسلامِ عندما حاصرتْهم قواتُ الإنجليزِ في مبنى محافظة الاسماعيلية وطالبتْهم بالاستسلامْ ، وأمَرَ رجالَ الشرطةِ بالمقاومةِ حتى آخرِ طلقة في أسلحتِهم البسيطة ضدَّ مدافعِ ودباباتِ الإنجليز .. ولما نفذتْ ذخيرتُهم بالكاملِ ، وقبل خروجِهم من مبنى المحافظة ، اشترطَ قائدُهم اليوزباشي " في ذلك الوقت " مصطفى رفعت أن يخرجوا حاملين أسلحتَهم في طابورِ عسكري مُشَرِّف ، ووافقَ قائدُ القوات الإنجليزية الذي حيّاهم تحيةً عسكريةً وأشادَ بوطنيتهم ، ورفعَ الكابَ وأحنى رأسَه إجلالاً لبطولة هؤلاء الرجال ووطنيتهم ، مما جعلَ حكوماتِ الثورةِ المتعاقبةِ تعتبرُ ذلك اليومَ " ٢٥ من يناير " عيداً للشرطة .. ومن

أغرب ما يكونُ ، أن هذا الاحتفال يُدْعى لحضوره جميعُ وزراء الداخلية السابقين ،

بينما لا يُدعى إليه فؤاد سراج الدين ، الذي كان له الفضلُ "بعد الله " في جعْلِ هذا اليومِ عيداً للشرطة ..

فهل هذا هو الوفاءُ يا من تتشدقون بكلمة الوفاء ؟!..

وأين الوفاءُ للزعيمِ اللواءِ محمد نجيب ، أول رئيسٍ للجمهورية ، الذي شطبوه من التاريخِ ، هذا الرجلُ الذي وضعَ رُوحَه على كفّه وعرَّضَ حياتَه للخطر عندما تصدّرَ قيادةَ حركة ٢٣ يوليو عامَ ١٩٥٢ ضد الملك فاروق ، ولوقُدِّرَ لهذه الحركة أن تفشلَ لكان قد تعرَّضَ محمد نجيب لاتهامه بالخيانة العظمى وحُكمَ عليه بالإعدام .. هذا الرجلُ الذي تعرَّضَ للغدرِ ممن كانوا تحتَ قيادته ، وكان ذنبُه الوحيدُ هو تمسّكُه بالديمقراطية .. فكان جزاؤُه الاعتقالَ ومعاملتَه بأسوأ من معاملة المجرمين والقتلة وتجار المخدرات .. حتى كان يتطاولُ عليه السفلةُ من صغارِ الضباطِ وحتى ضباطِ الصفِّ والمخبرين .. وعزلوه ووضعوه في فيللا زينب الوكيل " حرم النحاس باشا " بالمرجِ ، وسارع ضباطُ وجنودُ البوليسِ الحربيِّ بسرقةِ كلّ ماكان بالفيللا من أثاثٍ وسجّادٍ ولوحاتٍ وستائرَ وتُحَفٍ ، وتركوها وكأنّها لم يسكنها أحدٌ من قبل ، حتى الثلاجاتِ وحُللِ الطهيِ أخذوها ، وذهبوا إلى بيته فصادروا كلَّ كتبه ، وأوراقه وتذكاراته وتُحَفه ، حتى النياشين والسيوفِ والنقود ، وكلُّ ما سمحوا له به ، الزوجةُ والأولادُ ، وثلاثُ حقائب ملابسٍ والخادمة !!.. هل يليقُ هذا الأسلوبُ عند عزلِ رئيسٍ للجمهورية لم يرتكبْ إثماً يُعاقبُ عليه القانونُ ، ولم يقترفْ أيَّ ذنبٍ يُسيءُ إلى وطنه أو كرامةِ بلده ولم يظلمْ أحدًا ؟!.. ولننظرْ كيف كان أسلوبُ محمد نجيب الذي اتّبعه عند عزلِ الملكِ فاروق وطرده من البلادِ ، وهو الذي انتهك الحرمات ونشر الفسادَ ،

وساهم في أسباب هزيمة الجيش في فلسطين ، وجلَب العار لمصر ، كان محمد نجيب حريصًا على أن يكونَ وداعُ الملك رسميًا تحيطُه كلُّ مظاهر الاحترام والتكريم ، وسمح له بأخذ كلّ أشيائه الخاصّة ، واشترك الوزراءُ ورجالُ السلك الدبلوماسيّ ورجالُ حاشيته يُودّعونه كملك ، وأطلقتْ المدفعيةُ إحدى وعشرين طلقةً ، تحيةً له وعزفت الموسيقى ، وأُنزِلَ العلمُ المصريُّ من فوق ساريته ، وسُلّمَ للملك ليحتفظَ به ، ثم هبط فاروقُ إلى اليخت " المحروسة " وغادر مصرَ بأسلوب كريم ومحترم .. هذا ما فعله محمد نجيب مع الملك فاروق عند عزله وطرده من مصرَ ، إلى روما بإيطاليا التي اختار بنفسه السفرَ إليها وعاش فيها معيشةَ الملوك ولكن بلا حكم ، وحوله من الخدم والحشَم ما يُشعرُه بأنه لم يفقدْ إلاّ وظيفتَه كملك ، وعاش متمتّعًا بحرّيته !! أما محمد نجيب ، فعندما عزلوه لم يراعوا أصولاً ولا تقاليدَ ، بل تصرّفوا معه كما يُعاملون المجرمين ، وتركوه في منفاه ، ولم يتّصلْ به أحدٌ ممن كان يعتبرُهم أولادَه .. ولم يُبرّروا له ولم يُفسّروا أسبابَ عزله ، ولم يُقدّموه لمحاكمة عادلة ، لأنهم كانوا يعرفون أنه وطنيٌّ ومخلصٌ ونظيفٌ وشريفٌ ، وأن محاكمتَه سوف تقلبُ الدنيا عليهم ، وربما يثورُ الشعبُ والجيشُ ثورةً تُطيحُ برءوسهم .. لم يحترموا مركزَه كرئيس شريف للجمهورية ، ولا رتبتَه كلواء أركان حرب ، ولم يُراعوا سنَّه ولا ما قدَّمه من تضحيات .. لقد ودّعَ محمد نجيب الملكَ فاروق بغاية التكريم والاحترام ، أما رجالُ الثورة فقد ودّعوا نجيبَ بالإذلال والإهانة ، وتركوه يعيشُ مع بعض القطط والكلاب ، التي لم يجدْ منها غدرًا كما وجده في زملائه الذين فاقت طباعُهم طباعَ الذئاب !!

هل هذا هو الوفاءُ يا من تتحدثون عن الوفاء ؟!.. وهل من الوفاء أن يُمْنَعَ محمد نجيب حتى من المشاركة في تشييع جنازة ابنه الذي اغتالوه في ألمانيا ؟!.. هل يكون الوفاءُ والتكريمُ لشاه إيرانَ الذي طردَه الشعبُ ، ويكونُ الغدرُ والمذلّةُ لمن أنقذَ الشعبَ ؟!..

أيُّ وفاء هذا يا سادةُ ؟!.. إن وفاءَكم لهؤلاء الزعماء الذين سطّروا تاريخ مصر الحديث بحروف من نورٍ ، لم يَرْقَ إلى مستوى وفائكم للمطربين والمطربات والممثلين والممثلات .. وهاهي وسائلُ الإعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون تحتفلُ بذكرى " عبد الحليم حافظ " ولمدة تزيدُ على شهرٍ كلَّ عامٍ ، وتركّزُ على أغانيه وتمجّدُ عطاءه لمصرَ .. ونحن لا نعترضُ على الاحتفال بذكرى عبد الحليم حافظ ومحمد عبد الوهاب وأمِّ كلثوم وغيرهم من الفنانين الذين أعطَوْا لمصرَ من فنّهم وإخلاصِهم ، ولكن مهما كان عطاءُ هؤلاء الفنانين فلن يتكافأ مع عطاء مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول ومصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين ومحمد نجيب ، ولا حتى مع عطاءِ جنديٍّ بسيط سالتْ دماؤه على أرض المعارك دفاعاً عن وطنه ..

ألم تسمعوا الحكمةَ التي تقولُ : " أنزلوا الناسَ منازلَهم " ؟!..

إن شبابَنا اليومَ في أمسِّ الحاجة إلى أن يعرفوا شيئاً عن نضالِ زعماءِ مصرَ ، وكفاحِ شعبِ مصرَ ضدَّ كلِّ ألوانِ الاستعمارِ .. إن حاجتَهم لذلك أشدُّ وأكبرُ من حاجتهم إلى معرفة تاريخ عبد الحليم حافظ وغيره من الفنانين .. حكّموا ضمائرَكم ، وركّزوا على تاريخ هؤلاء الزعماءِ ومواقفهم الوطنية حتى يتخذ شبابُنا منهم القدوةَ الطيبةَ في الولاءِ للوطنِ والانتماءِ للمجتمع والحفاظ على الوحدة الوطنية ، بدلاً من اتخاذهم القدوةَ من المطربين والتأثرِ بهم في وضعِ السلاسلِ الذهبيةِ حول أعناقهم وأيديهم !!..

نريدُ أن نعيدَ للولاءِ الحقيقيِّ للوطنِ قيمتَه ، وللانتماءِ للمجتمعِ معناه ومكانتَه !

لقد كنا في شبابنا نتدافعُ في طوابيرِ التطوعِ لقتالِ المستعمرين ، وكنا نتمنى

الاستشهادَ في سبيلِ الله والوطنِ ، ولم تكنْ في أحلامنا أبداً الهجرةُ من الوطن ، بل كانت أحلامُنا تنحصرُ في خدمةِ الوطنِ .. أما شبابُنا اليومَ فمعظمُهم يتدافعون في طوابيرِ اللاهثين أمامَ السفاراتِ الأجنبية ، وأحلامُهم تنحصرُ في أملِ الهجرةِ وترْكِ الأهلِ والوطنِ .. ولم يعدْ للولاءِ وجودٌ ، ولا لآمالِ الهجرةِ حدودٌ ، وعلى الله العوَضْ في كفاحِ الآباءِ والجدود !!

وما هذا التحوُّلُ الخطيرُ إلا نتاجُ غيابِ الوفاءِ الحقيقيِّ لمن يستحقون الوفاءَ .. وإنَّ مما يثيرُ إعجابَنا واحترامَنا وتقديرَنا للرئيسِ مبارك ، أنه أبدى وفاءً ، للزعماء السابقين ، وتحدثَ عن بعضِ مناقبِهم ، وذكرَ في بعضِ المناسبات ، مصطفى كامل وسعد زغلول ومصطفى النحاس ومحمد نجيب ، وما زلنا نذكرُ أنه أفرجَ عن فؤاد سراج الدين ، الذي سجنَه الساداتُ ، وما زلنا نطلبُ المزيدَ من الوفاءِ لزعمائنا الذين ضحَّوْا في سبيلِ وطننا مصرَ ، والذين ضربوا أروعَ الأمثلة لنا في شبابنا ، فاقتدينا بهم وأخلصنا لمصرِنا ، وهانت علينا أرواحُنا فداءً للوطنِ .. فهل نأملُ أن يُعادَ النظرُ في احتفالاتِ الوفاءِ ، وأن يُصَحَّحَ التاريخُ ، وأن نُنْزِلَ الناسَ منازَلهم .. وأن نؤكِّدَ لشبابنا وطلاّبنا ، أن أولَ رئيسٍ للجمهورية هو محمد نجيب وليس " جمال عبد الناصر " .. وأن نذكرَه بما هو جديرٌ به في احتفالاتِ أعيادِ الثورةِ ، على الأقلِّ كما نذكرُ " جمال عبد الناصر " وأن نذكرَ " محمد فؤاد سراج الدين " في احتفالاتِ عيدِ الشرطة ، وأن يكونَ اسْمُه على رأسِ المكرّمين ؟؟.. وأن نحتفلَ بذكرى الزعماءِ الوطنيين ، ونركِّزَ على أعمالِهم وكفاحِهم ، لنجعلَ منهم القدوةَ الطيبةَ لأبنائنا من الشبابِ ، الذين لا يعرفُ معظمُهم ما يجبُ أن يعرفوه عن زعماءِ وطنِهم ؟!..

فإن فعلتم فقد أفدتم ، ولمفاهيمِ شبابِنا صحَّحْتُم ، ونقولُ لكم حينئذٍ : أحسنتم .. أحسنَ اللهُ إليكم .. فأنتم حقيقةً أهلُ الوفاء !!..

قانون إجراءات .. والحق قد مات !!..

صدقَ من قال ضمن ما قال من أفكار ، إن القانون حمارٌ .. لا تهمُّه العواطفُ ، ولا يكترثُ للصحيحِ من المواقفِ ، فهو مجرّدُ نصوصٍ ، قد تُبرّئُ المجرمين واللصوصَ ، وتدفعُ أحيانًا بالأبرياءِ إلى السجونِ ، أو تُودي بهم إلى الجنون !!..

والمسمَّى بقانون الإجراءات ، من أظلم الكتابات ، لعنَ اللهُ من وضعه ، ومَنْ ضدَ العدالة أنصفَه ورفعَه .. وسأضربُ للقارئ مثلاً بسيطًا ، ليعرف خلاصةَ هذا القانون البغيضِ ، الذي يضيّعُ الحقوقَ ، ويُدخلُ الأصابعَ كلَّها في الشقوقِ ..

إذا قال إنسانٌ : إن رقمَ ٧ يساوي ١ + ٢ + ٤ ، ثم سألك ، ماذا يساوي رقمُ ٧ ؟ فقلتَ : رقمُ ٧ يساوي ٣ + ٤ ، فيقولُ لك : لقد أخطأتَ وخسرْتَ .. فماذا تقولُ عن هذا الإنسانِ إلاّ أنه ظالمٌ أو غبيٌّ ؟!!.. وسأضربُ لك أيها القارئُ مثلاً آخَرَ لتوضيحِ تزمُّت هذا القانونِ الشاذّ والغريب .. إذا كان عابرُ سبيلٍ يقفُ في ميدان رمسيسِ بالقاهرة ، وسألَ كيف يذهبُ إلى مبنى التليفزيون بكورنيشِ النيلِ ، فقال له رجلٌ : سرْ في شارعِ الجلاء حتى آخره حيث تجدُ الكورنيشَ ثم استدرْ إلى اليمين ، وسرْ للأمام مباشرةً حتى تجدَ مبنى التليفزيون على اليمين ، ثم سألَ عابرُ السبيلِ رجل شرطة كيف يذهبُ إلى مبنى التليفزيون ، فنصحَه رجلُ الشرطة أن يسيرَ في شارعِ الجلاءِ حتى شارعِ ٢٦ يوليو ، ثم يعرجُ فيه يمينًا ، ويتجهُ للأمام مباشرةً حتى يصلَ إلى كورنيشِ النيل ، ثم يتجهُ يسارًا ، فسيجدُ المبنى الجديدَ لوزارةِ الخارجية ، ثم يجدُ بعده مبنى التليفزيون .. ويتبعُ عابرُ السبيلِ نصيحةَ رجلِ الشرطة ، وأمامَ مبنى التليفزيون ، يلتقي بالرجلِ الأوّل ، الذي نصحَه بالسَّيْرِ في شارعِ الجلاءِ حتى آخرِه .. ويسألُه

الرجلُ : كيف وصلت ؟ فيشرحُ له عابرُ السبيلِ وصوله عن طريق شارع ٢٦ يوليو . فيقولُ الرجلُ : لا ، لقد أخطأتَ الطريقَ ، إذ كان يجبُ عليك أن تسلكَ الطريقَ الذي وصفتُه لك .. وعليك أن تعودَ إلى ميدان رمسيس ثانيةً ، ثم تسلكَ الطريقَ الذي وصفتُه لك ، فإذا لم تصلْ خلالَ ثلاث ساعات إلى مبنى التليفزيون ، تكونُ قد أخطأتَ وخسرْتَ ..

طبعًا أنت مندهشٌ أيها القارئُ أو ربما تضحكُ وتقهقهُ لهذين المثلَيْن ، وربما تقولُ في نفسك : إن هذا الرجلَ غبيٌّ ، إذ ما الخطأُ إذا ما سلكَ عابرُ السبيلِ هذا الطريقَ أو ذاك مادام قد وصل إلى مبنى التليفزيون الذي يريدُه عابرُ السبيلِ ؟!..

هذا ما يقولُه قانونُ الإجراءات (اللعينُ) الذي يتقيّدُ بالشكلِ في الإجراءات ولا يهمُّه المضمونُ أو الهدفُ .. وعلى سبيلِ المثال : إذا ضبطَ رجالُ مكافحة المخدرات تاجرًا خطيرًا ومعه كميةٌ كبيرةٌ من المخدرات ، وعرفَ محاميه أن إذْنَ النيابة وصلَ بعد عملية الضبطِ ولو بدقيقة ، فإنه يطالبُ ببراءة المتهمِ ، لمخالفة حالة الضبط لنصِّ قانون الإجراءات الذي ينصُّ على ضرورة الحصول على إذن النيابة قبل الضبط ، وبذلك يُحْكَمُ على تاجرِ السمومِ بالبراءة .. فهل هذا هو العدلُ يارجالَ القانون ؟!..

وإذا رفعَ رجلٌ سماعةَ التليفون ليطلبَ رقمًا ، فإذا به يسمعُ زوجتَه على جهازِ تليفون آخَرَ في البيت ، تتحدثُ مع رجلٍ يبدو من أسلوب حديثه أنه عشيقٌ لزوجته ، فأسرعَ الزوجُ بتسجيلِ المكالمة التي اتضحَ منها تمامًا خيانةُ الزوجة لزوجها في ماله وشرفه ، وتآمرها مع عشيقها للتخلصِ من الزوجِ المخدوع ، وذهبَ الزوجُ بشريط التسجيلِ إلى المسئولين للتحقيقِ في الواقعة ، فإذا بمحامي الزوجة يطالبُ برفضِ دعوى الزوجِ ، لأنه لم يحصلْ على إذن النيابة بالتسجيلِ ، بل ويطالبُ بتطبيقِ العقوبة على

الزوج لأنه سجّل مكالمةَ زوجته دون إذنها ودون إذن من النيابة .. وذلك طبقا لقانون الإجراءات .. لقد كان يجبُ على الزوجِ المخدوعِ أن يرجو زوجته وعشيقها أن يتوقفا عن الحديث بضعةَ ساعات ، حتى يذهبَ إلى النيابة ليحصلَ على إذن بالتسجيل ، ثم يطلب من العشيقين أن يستأنفا مكالمتَهما ، حتى يتمَ التسجيلُ طبقًا لقانون الإجراءات .. ما رأيُك الآن أيها القارئُ في هذا القانون (الحنون) ؟!..

ومما يثيرُ العجبَ أن القاضيَ يكونُ مقتنعًا تمامَ الاقتناعِ بوقوعِ الجريمة ، وأن المتهم مذنبٌ ، والأدلّةَ كافيةٌ على ارتكاب جريمته ، ولكنّه لا يستطيعُ أن يحكم على المجرم بسبب ثغرة حدثتْ لا تتفقُ مع قانون الإجراءات .. وقد سمعتُ مرّةً أحدَ المحامين الكبار يقولُ : إن المحاميَ الذكيَّ يكونُ مدركا تمامًا أن موكّلَه مذنبٌ ، ويظلُ يبحثُ في الإجراءات التي تمّتْ ، حتى يجدَ ثغرةً ، حتى ولو كانت (كثقب إبرة) ويظلُّ يفتحُ هذا الثقبَ ويوسّعُه حتى يُدْخِلَ من خلاله جَمَلاً ، وبهذا يحصلُ لموكّله على البراءة .. وبهذا يصدقُ المَثَلُ القائلُ : (ياما في الحبس مظاليم !!) ..

وسأذكرُ لك أيها القارئُ واقعةً حدثتْ معي شخصيًا ، جعلتْني أضاعفُ لَعَنَاتي لهذا القانون المُضَيِّعِ للحقوق ، على أيدي خرّيجي الحقوق ..

حدثَ أن محرّرةً بإحدى المجلات الشهيرة في مصرَ قد جانبها التوفيقُ ، ولم تطبّقْ ما جاء في ميثاق الشرف الصحفيِّ بضرورة التقصّي الدقيق لأيِّ خبرٍ قبل نشره .. وتسرّعتْ ونشرَتْ عني كلامًا يسيءُ إلى شخصي ، ونَفَتْ عني صفتي كمديرٍ للتعليم ، وقالتْ ضمن ما قالتْ بالنصِّ : (إن هذا المديرَ المزعومَ واسْمَه (كذا) وذكرَتْ اسمي بالكاملِ ، ثم ادّعتْ أنني قلتُ إنّها كاذبةٌ وأنني أبلغتُ الشرطةَ عنها وهي الآن في

السجن) .. ورفعتُ ضدَّها قضيةً وأبلغتُ النيابة باعتبار أن ما نشرتْه يُعتبرُ في حقي سبًا وقذفًا ، ولا سبيلَ للإنكار ، حيث أن ما نشرته في المجلة لا يمكنُ إخفاؤه .. ووكّلتُ محاميًا كان يدَّعي أنه (أبو العُرِّيف) ، وطمأنني بأن القضيةَ لا تحتاجُ إلى جهدٍ كبيرٍ لأن أدلَةَ الاتّهام واضحةٌ بالنشرِ الصريحِ .. وأنه سيطالبُ بتعويضٍ نصف مليونِ جنيه على الأقلّ .. ولا أدري إن كان قد تواطأ مع المتهمة ، أم أنه كان يجهلُ قانونَ الإجراءات .. ولا أريدُ أن أظلمَه ، إذ أنه انتقلَ إلى رحمة الله .. فقد أعلنَ المتهمةَ على عنوانِ مقرِّ عملها بالمجلة .. فاعترضَ محامي المجلة ، بحجة أن قانونَ الإجراءاتِ ينصُّ على إعلانِ المتهمِ على عنوانِ مقرِّ إقامته . إن محاميَ المتهمةِ أعلنَ اعتراضَه في أوّلِ جلسة ، أي أن المتهمةَ قد علمَتْ من الإعلانِ الذي وصلَها على مقرِّ عملها ، بموعدِ الجلسةِ وموضوعِ القضية ، بدليلِ حضورِ محاميها أولَ جلسة .. وما يعرفُه أيُّ إنسانٍ مهما كان جاهلاً بالقانون ، أن الهدفَ من إعلانِ المتهمِ على يدِ محضرٍ ، هو إعلامُه بالقضيةِ وموعدِ الجلسة ، فإذا حضرَ المتهمُ أو وكيلُه أولَ جلسةٍ يكونُ الهدفُ من الإعلانِ قد تحققَ ، وليس مهمًّا أن يكونَ الإعلانُ قد أُرْسِلَ على مقرِّ عملِ المتهمِ أو على مقرِّ إقامته ، وهذا ما يقرُّه العقلُ والمنطقُ .. ولكن قانونَ الإجراءاتِ لا يعترفُ بالعقلِ ولا بالمنطقِ .. وكان على المحامي أن يصحّحَ الوضعَ ، ويرسلَ إعلانًا آخرَ على مقرِّ إقامةِ المحرّرة ، رغم أن الجمهورَ لا يعرفُ المحررين إلاّ بمقارِّ عملهم ، ولا يعرفُ بالضرورةِ مقارَّ إقامتهم ، وكانت هناك مهلةٌ محددةٌ ، انتهتْ قبل أن يرسلَ محامينا الإعلانَ الجديدَ على مقرِّ إقامتها .. وسوف تصيبُك الدهشةُ الكبيرةُ أيها القارئُ إذا قرأتَ منطوقَ القاضي في الحكم ، وهو يفنِّدُ الحيثيات ، ويقولُ إن واقعةَ السبِّ والقذفِ ثابتةٌ على المتهمة ، وأن المدّعيَ (وهو أنا) له كلُّ الحقِّ في رفعِ هذه الدعوى والمطالبةِ بالحقِّ المدنيِّ بالتعويضِ لما وقعَ عليه من ضررٍ .. وتجدُ القاضيَ في نهايةِ

الحيثيات يحكمُ برفض الدعوى وكذلك المطالبة بالحقّ المدنيّ بالتعويض ، بسبب الخطأ في الاجراءات ، بإرسال الإعلان على مقرّ المجلة وليس على مقرّ الإقامة !! ماذا تفعلُ ، وماذا كنت تقولُ أيها القارئُ لو كنتَ مكاني ؟!..

لقد كانت أمامي فرصةٌ أخرى في النقضِ ، ولكني أدركتُ أن ضميَر القاضي لا سلطانَ له أمامَ نصوصِ قانون الإجراءات ، فأحسستُ باليأسِ والإحباط ، وقررتُ أن أتوقفَ عن الْمُضيِّ في القضية بعد أن قضيتُ ثلاثةَ أعوامٍ بين المحاكم والمحامين .. وقلتَ عوَضي على اللهِ ربِّ العالمين !!..

وكم من ضحايا غيري نالهم ما نالني وربما أقسى وأفظعُ ، لاعتمادهم على (بعض) المحامين ، الذين يتواطأون مع الخصومِ ، رغم حصولِهم من موكّليهم على (المعلومِ) !! وكم تلاعبَ محامو الخصومِ ، بالمقصودِ والمفهومِ ، من نصوصِ قانونِ الإجراءاتِ .. وبذلك يكونُ الحقُّ قد ضاعَ .. وماتَ !!..

استيقظ ... أيها الوعي المدفون !!

لا أدري ماذا جرى لكم أيها المصريون ، رجالاً ونساء !!.. أين ذهب وعيُكم ؟!.. كيف ترضَوْنَ الاستغلالَ المستمرَ الذي يفرضُه عليكم التجارُ وأصحابُ الأعمال ؟!.. وإلى متى تظلُّ الاستكانةُ والاستسلامُ لهذه القرارات المستغلة والمبتزَّة التي تفرضُها عليكم الشركاتُ المنتجةُ للسلعِ المختلفة من وقتٍ لآخرٍ .. وأنتم كالأموات لا تتحركون ولا تتأثرون وكأنكم ميِّتون ؟! إن شركاتٍ مثلَ شركات الشاي وغيرها اعتادتْ أن ترفعَ أسعارَ منتجاتها من حينٍ لآخرٍ ، ولا تجدُ أيَّ ردٍّ فعلٍ من المواطنين ، فأصبحَ ارتفاعُ الأسعارِ شيئاً مألوفاً بين يومٍ وآخرٍ لأن أصحابَ الشركات أدركوا بل تأكدوا أن وعيَ المواطنين لم يعدْ له وجودٌ ، ويبدو أن هؤلاء الناسَ من أصحاب الشركات يعتقدون أن المواطنين المصريين قد أصبحوا الآن جميعُهم من أصحاب الملايين واختفى تماماً أصحابُ " الملاليمِ " ولهم الحقُّ في هذا الاعتقاد ، لأن إقبالَ المواطنين على شراءِ السلعِ التي ترتفعُ أسعارُها على فتراتٍ متقاربةٍ وبنسبٍ عاليةٍ لم يؤثرْ على حجم المشتروات ، والمواطنون مازالوا يُقبلون على شراءِ السلعِ التي فاقتْ أسعارُها كلَّ خيالٍ !!.. وهذه هي شركاتُ المياه الغازية قد رفعتْ سعرَ الزجاجة من ٥٠ قرشاً إلى ٦٠ قرشاً أي بزيادة ١٠ قروشٍ مرةً واحدةً .. ناهيك عن صغرِ حجمِ الزجاجة مرةً بعد مرةٍ .. وفضلاً عن قلَّة الجودة في الصناعة ، فنحن أحياناً نجدُ أن طعمَ المشروب عبارةٌ عن ماءٍ وسكَّرٍ فقط !!.. وإذا تتبعنا تاريخَ أسعارِ المياه الغازية في بلادنا فسوف نرى فيها ما يفوقُ العجبَ ،أو الصيامَ في رجب !!.. ولعل الكثيرين يتذكرون أن سعرَ الزجاجةِ في الخمسينياتِ كان قرشاً ونصفَ فقطْ للزجاجة .. وبدأ يرتفعُ السعرُ شيئاً فشيئاً حتى أصبحَ سعرُ الزجاجةِ مع قلَّةِ جودتها ٥٠ قرشاً .. حتى أوائلِ شهرِ أبريل

عام ١٩٩٩ ، ثم فوجئنا في الخامس من نفس الشهر بقفز سعر الزجاجة الى ٦٠ قرشا وهكذا دون اعتبار أو تقدير للحالة الاقتصادية وآثار الغلاء التي شملتْ كلَّ شيء.. وكأن الناسَ أمواتٌ لا يشعرون .. مهما تهاوتْ على أجسادهم السياطُ والكرابيجُ .. وأقولُ إننا نحن المصريين نستحقُّ ما يحدثُ لنا من استغلال التجار ، ما دمنا لا نعترضْ على طمعهم وجشعهم واستغلالهم .. بل نرضخ لكلِّ من يبتزُّنا ويستغلُّ صبرَنا !!.. فالحلاقُ الذي كنا ندفعُ له جنيهاً في الشهر ، أصبح يطالبُنا بعشر جنيهات للحلاقة الواحدة ، وندفعُ ولا نعترضُ .. والبوابُ يفاجئُنا كلَّ فترة بزيادة أجره فندفعُ ولا نعترضُ .. وعمالُ " الزبالة" يرفعون أجرَهم إذا أمرَهم مزاجُهم بذلك ، فندفعُ ولا نعترضُ .. وسائقُ التاكسي يطلبُ أضعافَ ما يقرِّرُه العدَّادُ ، فندفعُ ولا نعترضُ .. حتى " منادي السيارات " الذي لا يؤدِّي أيَّ عملٍ سوى الوقوف بجوار الرصيف يشربُ الشايَ ويدخنُ السجائرَ الأجنبيةَ ثم يمدُّ يده لكلِّ سائقٍ .. والكلُّ يدفعُ ولا يعترضُ .. ورجالُ المرور يوقفون سياراتنا ويحرِّرون مخالفاتٍ بلا مبررٍ معقولٍ باسم الأمنِ والمتانة ، ومع ذلك ندفعُ ولا نعترضُ .. وإذا كنا نشتري تذاكرَ سفرٍ أو تذاكر سينما أو مسرحٍ ، أو ندفعُ ضرائبَ سيارات أو رسومَ مخالفات ، فإنّهم يفرضون على المواطن طوابعَ باسم معونة الشتاء وغيرها من المعونات التي تعدَّدَتْ مسمياتُها ، ولا يعرفُ المواطنُ عن مضمونها الحقيقيِّ شيئاً ، ويدفعُ ولا يعترضُ ، والغريبُ أنها تسمَّى " تبرعات" ولا ندري في أيِّ قانونٍ سماويٍّ أو غيرِ سماويٍّ ، تؤخذُ التبرعاتُ غصباً .. ورغم أنفِ المتبرع !! .. والجزارُ يرفعُ سعر كيلو اللحم الذي أمرَ الرئيسُ الراحلُ الساداتُ بألاّ يزيدَ عن جنيهين ، فوصلَ السعرُ إلى حوالي ١٨ جنيهاً الآن .. ويدفعُ المواطنُ ولا يعترضُ .. وبائعو الخضر والفواكه .. يغشُّون ويحدِّدُون الثمن الذي يريدون ولا يسمحون مطلقًا " للزبون " بأن يمدَّ يدَه لينتقيَ السلعةَ الجيدةَ .. ومع ذلك

نرضخُ للبائعِ ولا نعترضُ.. ونركبُ الأوتوبيسْ الذي كان ثمنُ التذكرة فيه قرشاً أو قرشين ، وأصبح الثمنُ الآن ١٠ قروش و ٢٥ قرشاً ، بل إنك أحياناً تُخرج ٢٥ قرشاً فيخبرُك المحصلُ بأن ثمنَ التذكرة أصبحَ ٥٠ قرشاً أي بزيادة ١٠٠% فتتجهمُ لحظةً ثم تدفعُ ولا تعترضُ ..وشركاتُ الطيرانِ والبواخرِ اعتادتْ في مواسمِ الحجِّ والعمرةِ أن ترفعَ أسعارَ التذاكرِ قبيلَ بدءِ رحلاتها .. ويُضطرُ الحاجزون لدى شركات السياحةِ إلى أن يدفعَ كلٌّ منهم ولا يعترضَ ، ويدخلُ المريضُ المستشفى الحكوميَّ ، فيطلبُ منه الأطباءُ شراءَ الأدواتِ الطبية ،كالقطنِ والأسلاكِ والحقنِ وبعضِ الأدوية ، من خارجِ المستشفى .. ولا ندري أين دورُ الحكومةِ من هذا الذي يحدثُ !!.. هل دَوْرُ الحكومة قاصرٌ على دفع مرتبات العاملين بالمستشفيات فقطْ ؟!.. حتى مستشفياتِ الحكومة أصبحتْ تطلبُ أجراً للعلاجِ يُذْكَرُ بالآلاف .. وكيف يتسنى للمواطنِ محدودِ الدخلِ الذي ينتظرُ أوّلَ الشهرِ بكلِّ صبرٍ و" اشتياق " حتى يسدِّدَ ما عليه لصاحبِ البيتِ والجزارِ والبقالِ وغيرِهم ؟!.. كيف يستطيعُ هذا المواطنُ أن يدفعَ هذه الآلافَ التي يطلبُها المستشفى ، ومع ذلك يبيعُ كلَّ ما يملكُ في بيته ويستدين من هنا وهناك ، ويدفعُ ولا يعترضُ ..وتنقضُّ أحياناً صاعقةٌ اسْمُها " مصلحةُ الضرائب " على بعضِ المواطنين تطالبُهم بآلافِ الجنيهاتِ عن سنواتٍ طويلة مضتْ .. ولا ندري أين كانتْ هذه المصلحةُ طوالَ هذه السنين ، ولماذا لا تحاسبُ المموِّلين سنوياً حتى لا يفاجأ المواطنُ " بخراب البيوت " وأخيراً إما أن يعلنَ المواطنُ إفلاسَه وإنهاءَ نشاطه أو يدفعَ ولا يعترضَ والطبيبُ في عيادته ..بعد أن كان أجرُ الكشفِ الطبيِّ جنيهاً أو جنيهين ، ظلَّ يرفعُ هذا الأجرَ حتى وصلَ إلى ٥٠ جنيهاً ، وهناك من الأطباء من يتقاضى مائةَ جنيه أجراً للكشفِ الطبيِّ الذي لا يستغرقُ أكثرَ من خمسٍ أو عشرِ دقائقَ دونَ رحمةٍ أو شفقةٍ .. ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله.. ومع ذلك يدفعُ المريضُ ولا يعترضُ

أيها المواطنون .. هل أنتم في غيبوبة .. أم أنكم " مُخدّرون " .. أين اختفتْ إرادتُكم .. وأين توارتْ عزيمتُكم ؟!..

لقد سمعنا عن جمعية لربات البيوت في المعادي أيامَ أزمة اللحوم .. وكان لها موقفٌ ناجحٌ أجبرَ جزاري المعادي على الاعتدال .. ولكن سرعان ما اختفتْ الحماسةُ ، وفترتْ الإرادةُ .. وكأن شيئاً لم يكنْ !!.

أيها المواطنون .. ويا ربات البيوت .. ويا أعضاءَ الجمعيات والمؤسسات والهيئات والنقابات ، ويا رجالَ الصحافة الشرفاء .. ويا أصحابَ الأقلام الشجاعة .. سأقصُّ عليكم ما قرأته في جريدة الأخبار منذ ما يقربُ من ثلاثين عاماً ..كان ذلك خبراً يقول بأن إحدى شركات الشاي في لندن قد رفعتْ سعرَ باكو الشاي بما قيمتُه ثلاثُ بنسات .. فاجتمعَ مجلسُ إدارة إحدى جمعيات ربات البيوت في لندن ، واتخذ المجلسُ قراراً بمقاطعة إنتاج هذه الشركة ، ومطالبة جميع جمعيات ربات البيوت الأخرى والمؤسسات بالمشاركة في هذه المقاطعة .. واستجابتْ الجمعياتُ والمؤسساتُ لهذا القرار .. كما استجابَ المواطنون أيضاً .. وإذا بمنتجات الشركة تتراكمُ في مخازنها لا تجدُ من يشتريها .. وتكبدتْ الشركةُ خسائرَ فادحةً بسبب هذه المقاطعة .. وأوفدتْ الشركةُ مندوبين عنها للتفاوض مع جمعيات ربات البيوت لإقناع أعضائها بإلغاء قرار المقاطعة ، ووعدتْ الشركةُ بإلغاء الزيادة التي قررتْها ..ولكن جمعيات ربات البيوت رفضتْ إلغاءَ قرارها إلا إذا قررتْ الشركةُ تخفيضَ ثمن باكو الشاي بما قيمتُه ثلاثُ بنسات عن الثمن المقرَّر قبل الزيادة ، وذلك عقاباً للشركة ، ولم تستطعْ الشركةُ إلاّ أن توافقَ على رأي ربات البيوت ، وأعلنتْ عن التخفيض الذي اتُفقَ عليه .. وهكذا استطاعتْ رباتُ البيوت أن تؤدِّبَ الشركةَ التي لم تحترمْ رأيَ المواطنين والتي حاولتْ أن تفرضَ على المواطنين زيادةً لا يقبلُها المواطنون !!..

وبذلك انتصرَ وعيُ المواطنين على طمعِ وجشعِ الشركات المستغلة ، وكان درسًا رادعاً لغيرها من الشركات ..فهل رباتُ البيوت عندنا أقلُّ وعيًا من ربات البيوت هناك ؟!.. وهل نطمعُ في أن يستيقظَ وعيُ المواطنين المصريين وأن يستعيدوا إرادتهم ، ويوحِّدوا كلمتَهم ، ليقولوا جميعاً ..لا ..للشركات المستغلة .. ولا .. للأسعار التي لا تُعْقَلُ ولا تتناسبُ مع الدخول .. لا .. لجميع المشروبات الغازية التي ارتفعتْ أسعارُها أخيراً حتى تقرِّرَ الشركةُ إلغاءَ هذه الزيادة التي فرضتْها فرضًا .. لا .. للزيادة الأخيرة على بواكي الشاي .. لا .. لأجرة التاكسي التي تزيدُ عما يقرِّره العدَّادُ .. لا .. للتبرعات الإجبارية .. لا .. لكلِّ أمرٍ أو سلوك ، يخالفُ العقلَ والعُرفَ والمنطقَ والقانونَ .. لا ..لرغيف الخبزِ الغيرِ نظيف .. لا .. للرغيف الملوّث الذي يباعُ على الأرصفة .. لا .. لرغيف " الفينو " الذي ينكمشُ يوماً بعد يوم حتى يصبحَ في سمك عود الكبريت .. لا .. لأيِّ سلعة لا ينتقيها المشتري بنفسه .. لا .. لمنادي السيارات الذي يفرضُ نفسَه على الناسِ دون أيِّ عملٍ يؤدِّيه .. لا .. للمستشفيات المستغلة .. لا .. للمجاملات المفروضة ..لا .. " للبقشيش " الذي يُطلبُ وكأنّه حقٌ مكتسبٌ .. لا .. لكلِّ ما يشكِّلُ استغلالاً أو ابتزازاً للمواطنين ؟!..

أيها المواطنون .. أنتم شعبُ مصرَ .. مصرَ التي سبقتْ العالمَ كلَه في حضارتها القديمة .. مصرَ التي شكلتْ أوّلَ حكومة في العالم .. مصرَ التي علّمتْ العالمَ كلَّه علومَ الفلك والحساب والهندسة .. مصرَ التي مازالت حتى الآن تحيِّرُ علماءَ العصور في أسرارِ حضارة الأجداد .. مصرَ التي رفضتْ دائماً الاستعمارَ وقاومتْ الغزاةَ .

لقد آن الأوانُ لكي تقولوا ..لا .. لكلِّ ما ترفضون .. ولنتذكرْ جميعُنا الزعيمَ الهنديَّ " غاندي " الذي عرف كيف يطردُ الاحتلالَ الإنجليزيَّ من بلاد الهند بالمقاومة السلمية ، لا بالحروب ولا بالسلاحِ ولا بالعنفِ ولا بالإرهاب .. ولكن بمقاطعة جميع

الصناعات والمنتجات الإنجليزية ..وكان هذا هو السلاحُ الذي أجبرَ الإنجليز على الخضوع لإرادة الشعب الهنديّ الذي حققَ الاستقلال .

ونحمدُ الله أننا لا نعيشُ في ظلّ استعمارٍ ولا احتلالٍ أجنبيٍّ .. إنما حكومتُنا مصريةٌ وحكامُنا مصريون ..أما الاستغلالُ والجشعُ الذي نتعرضُ له فهو من قلوبٍ صدئة قاسيةٍ ، وتجارٍ وأصحابِ أعمالٍ لا يعرفون الرحمةَ ولا الإنسانية .. وقد استهانوا بهذا الشعبِ الصبورِ .. وظنوا أن صبرَه بلا نهاية . ولابد لنا أيها المواطنون من وقفةٍ حازمة وحاسمة مع هؤلاء .. ولن تكون لوقفتنا قيمةٌ إلاّ إذا قاطعْنا إنتاجَ هذه الشركاتِ ، التي لا تحترمُ هذا الشعبَ وتستخفُّ بعقولِ أفراده .

فهل يبتسمُ لنا الزمانُ ، ونرى إرادةَ المارد المصريِّ العملاق ، يتحدّى الطمع والجشعَ ، ويجبرَ الشياطينَ والطامعين على التراجعِ ، والاعتدال .. وأن تظلَّ عيونُ الشعب مفتوحةً ويقظةً .. وأن يتعاونَ المواطنون جميعاً ، أغنياءَ ومتوسطين وفقراءَ .. جنباً إلى جنبٍ .. لكسبِ هذه المعركةِ .. ضدَّ الطمعِ والجشعِ والاستغلالِ ؟؟!!..

هذه صرخةٌ مكتومةٌ في صدور المواطنين .. أصرخُها نيابةً عنهم .. لعلنا نجدُ لَها صدىً وتأثيرًا !!..

زوجاتٌ فائزاتٌ .. وأُخرى خاسراتٌ !!

إنّ من الزوجات مَنْ رضيَ اللهُ عنهنّ ، فألهمهنّ التوفيقَ والرشاد في حياتهنّ ، فكُنّ زوجات صالحات وأمّهات فُضْلَيَات ، يحيطُ بهنّ الحبُّ والاحترامُ والتقديرُ ، سواءً من الأزواجِ أو أهاليهم وأقاربهم ومعارفهم ، ويرتفعُ قدرُهنّ في الدنيا ، كما تعظمُ أجورُهنّ في الآخرة ، ويصرْنَ حقًا من الفائزات !

ومن الزوجات أيضًا مَنْ غضبَ اللهُ عليهنّ ، فلم يوفّقهنّ إلى معرفة سبُلِ الرشاد ، فكُنّ زوجاتٍ فاسدات وأمّهات فاشلات ، يحيطُ بهنّ البغضُ والكراهيةُ والازدراءُ ، سواءً من أزواجهنّ أو أهاليهم وأقاربهم ومعارفهم ، ويهبطُ قدرُهنّ في الدنيا ، كما تعظمُ ذنوبُهنّ في الآخرة ، ويصرْنَ حقًا من الخاسرات !

وقد وصف رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، الزوجةَ الصالحةَ بأنّها كنزٌ ، إذا نظر إليها زوجُها سرّته ، وإذا أمرَها أطاعتْه ، وإذا غاب عنها حفظتْه في عِرْضه وماله !

وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاص أنّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قال : (إنّ الدنيا كلّها متاعٌ ، وخيرُ متاعِ الدنيا المرأةُ الصالحةُ) وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه أنّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم سُئلَ : أيُّ النساءِ خيرٌ ؟ فقال : (التي تسرُّه إذا نظر إليها ، وتُطيعُه إذا أمرَها ، ولا تُخالفُه فيما يكرهُ في نفسِها ولا في ماله) ..

وغالبًا ما تكونُ الزوجةُ الصالحةُ صورةً دقيقةً ومطابقةً لما كانت عليه أمُّها ، من الأخلاقيّاتِ والمفاهيمِ والقيمِ ، والعاداتِ والسلوكيات ، وما نالها من توفيقِ الله !

وقد أثبتت التجاربُ والأحداثُ صدْقَ ذلك ، وصَدَقَ من قال : (إذا أردتَ أن

تتزوّج ، فابحث عن الفتاة ذات الأمِّ الصالحة ، ثم تزوّجها ولو كان أبوها شيطانًا !) .. لأنّ الفتاة تتأثّرُ بأمِّها أكثر مما تتأثّرُ بأبيها . فهي تقضي مع أمِّها معظم الوقت ، وتسمعُ منها وترى فيها مالا تسمعُه من أبيها ولا تراه فيه ، حتى وإن كان أبوها رجلاً تقيًّا ذا مبادئ وأخلاقيات ، وتستطيعُ الأمُّ بما لها من تأثيرٍ على ابنتها أن تكونَ حائلاً بين تأثّر الإبنة بأبيها ، بل إنّها تستطيعُ أن تُقنعَ ابنتَها بأنّ أباها بأخلاقياته الفاضلة وسلوكياته الطيبة ، إنما هو رجلٌ ساذجٌ ومتخلّفٌ ، وتصفُ تديّنَه بأنه تزمّتٌ وتعصّبٌ وعدمُ تحضّرٍ ، كما يمكنُ أن تغرسَ في مفهومها أن أهلَ الزوج هم أعداءٌ للزوجة ، ويكرهونها ويحسدونها ولا يحبون لها الخيرَ ، وأنّهم كلما اقتربوا من الزوج كلما أبعدوه عن زوجته وتآمروا ضدّها ، حتى يدمِّروا حياتها مع زوجها ، ولهذا فهي تُعلِّمُ ابنتَها بأنه على الزوجة أن تجتهدَ ما استطاعت أن تُبعد زوجها عن أهله ، وأن تُشكّكَه في إخلاصهم ووفائهم له ، وأنّ الخيرَ كلَّ الخيرِ في أن يبتعد عنهم ويتجنّبهم ، حتى لا يُفسدوا حياتَه ويبتزّوا ماله ويحسدوه على ماهو فيه من النِّعم ، وقد يؤثّرُ في الزوجِ هذا الدّسُّ المستمرُّ ، ويبتلعُ هذه السّمومَ ، فيبتعدُ عن أهله شيئًا فشيئًا حتى تنفصمَ عُرَى المودّة وتتقطّعَ روابطُ المحبة ، وتنهارَ أواصرُ الترابط والتراحمِ ، حتى يجد الزوجُ نفسَه وحيدًا من أهله منبوذًا منهم ، وفي المناسبات السعيدة أو الحزينة لا يجدُ حوله من أهله أحدًا ، بينما يجدُ أهل زوجته يُحاصرونه ويُنافقونه ويخدعونه ويبتزّونه ، ولا يعرفونه إلاّ لمصالحهم وشئونهم .. وعند الشدائد لا يجدُ إلى جانبه إلاّ أهلَه وذَويه وإخوتَه ومحبّيه ، وقد تتخلّى عنه زوجتُه وتغدرُ به ، وتفرُّ بما كسبتْه منه ، وتبتعدُ كليةً عنه ، فيشعرُ حينئذٍ بالحسرة والندم !!..

وهناك مَثلٌ مصريٌّ عاميٌّ قديمٌ يقولُ : (إكْفي القدرة على فُمَّها تطلع البنت

لأمَّها !) ، وهناك حكمةٌ أخرى تقولُ :(الأمُّ مرآةُ ابنتها !) .. وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : (إيّاكم وخضراء الدِّمَنِ ، فقيل : وما خضراءُ الدِّمَنِ يارسولَ الله ؟ قال : المرأةُ الحسناءُ في الْمَنْبَتِ السُّوءِ !)

أما الزوجةُ الصالحةُ ذاتُ الأمِّ الصالحة ، التي تربَّتْ في المنبت الطيِّب ، والتي أخذتْ من الأخلاقيات الحميدة لأمِّها ، وتأثَّرتْ بنصائحها الطيبة وتوجيهاتها ، فتعملُ على تقوية الروابط وإنماء أواصر المودّة والمحبّة بين زوجها وأهله وعشيرته وذويه ، وأصدقائه ومعارفه ومحبّيه ، فيتضاعفُ الحبُّ والوفاءُ بينه وبينهم ، كما يتضاعفُ الحبُّ والاحترامُ ، والثناءُ والتقديرُ والعرفانُ للزوجة التي وفّقها اللهُ ، فأصلحتْ ما بين زوجها وبين أهله ، فصاروا أيضًا لها أهلاً ، وكانوا في الشدائد لها سندًا وعونًا ، وازدادوا لها حبًّا ، وتمنَّوْا لها كلَّ السعادة والهناء ، فتنعمُ بحياة هادئة مستقرّة بعيدة عن التوتّرات ، والمشاكل والمنغّصات ، وتتفرّغُ لرعاية زوجها وتربية أولادها ، في جو تسودُه الأُلفةُ والمحبةُ ، مما يُحقّقُ النجاحَ لزوجها ، والتربيةَ الصالحةَ لأولادها ! وصدقَ من قال يومًا : (كلُّ عظيمٍ وراءَه امرأة !) وأضيفُ إلى هذه الحكمة أيضًا (كلُّ سجينٍ وراءَه امرأة ! وكلُّ مجنونٍ وراءَه امرأة ! وكلُّ عاقٍ لأهله وراءَه امرأة !) .

ولهذا فعلى كلِّ عاقلٍ ألاّ يتسرّعَ في اختيارِ شريكة حياته ، وألاّ يكونَ الجمالُ وحده الدافعَ للزواجِ ، فكَم من جمالٍ أودَى بصاحبته إلى الكِبْرِ والجنون ، وأودَى بمن اختاره إلى السجون !!

وعلى كلِّ عاقلٍ أيضًا ألاّ يستجيبَ لامرأته أمرًا فيه عقوقٌ لوالديه ، أو تقصيرٌ في حقِّ

أهله وذويه ، أو هجرٌ لأصدقائه ومحبّيه ، ولْيعملْ عقلَه في كلّ ما تقولُه امرأته ، وما تُشيرُ به عليه ، حتى لا يندمَ على تصرّف بعد فوات الأوان .. ولْيتذكّرْ كلُّ زوجٍ أنَّ الرسولَ صلى الله عليه وسلم ، وجد أنَّ أكثرَ أهلِ النارِ من النساءِ ، وذلك لأنّهنَّ يَكْفُرْنَ العشيرَ ، أي لا يحفظنَ ما يُقدِّمُ الأزواج لهنَّ من إحسانٍ !

وعن المرأة التي تدخلُ الجنةَ روى الإمامُ أحمد ، عن عبد الرحمن ابن عَوْف قال قال رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهم عَلَيْه وَسَلَّمَ : (إِذَا صَلَّت الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفظتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا ادْخُلي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَاب الْجَنَّة شئْت) !

وعلى كلّ من يريدُ أن يتزوّج ، أن يُفضِّلَ ذاتَ الدّين ، كما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنه عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهم عليْه وَسلَّم أنّه قَالَ : (تُنْكَحُ النِّسَاءُ لأَرْبَعَةٍ لمَالِهَا وَلحَسَبِهَا وَلجَمَالِهَا وَلدِينِهَا فَاظْفَرْ بذَات الدِّين تَرِبَتْ يَدَاكَ) !

وكما أنَّ أكثرَ أهلِ النارِ من النساءِ ، فإنَّ أكثر النساء في الدنيا من الخاسراتِ ، وأقلَّهنَّ من الفائزاتِ ، وقانا اللهُ شرَّهنَّ ، ونفعَنا اللهُ بخيرهنَّ !!..

اللهم بارك لنا في زوجاتنا ، واجعلهنَ من الزوجات الفائزاتِ ، ولا تجعلهنَ من الزوجاتِ الخاسرات !!..

مـــصـــر .. يا بلدي !!

مصر يا بلدي يا حلوة يا زين *** ياللّي غلاوتك جــوّه العــين
مهما نســافر واللاّ نطــوف *** نلقى زيّ جــمالك فيــن ؟!..

شــعبك والله كريم مضياف *** رافع صورتك فوق الاكتاف
وقت الجدّ شــجاع ما يخاف *** والواحــد منـّا بأسَــدين !!

ياللّي جــمايلك مالهاش حدّ *** زيّ الشــمس لأبّ وجــدّ
مش ممكن ننســاك بــجَــدّ *** وبأرواحــنا نــرُدّ الدّيــن

فــي ولادك عــالم وإمــام *** يتمــنّــوا للدنيــا ســلام
قلبــك زيّ الفــل تمــام *** ما بيخْــلف عــهده وأمين

معــروفة ف كل الدنيــا *** بالروح والــهمّــة العــالية
مهما نشوف في بلاد تانية *** زيّك مــش حانلاقي اتنيــن
مصــر يا بلدي يا حلوة يا زين !!..

=========

=========

الأصالةُ المصريّةُ .. مازالتْ بخيرٍ !!

بارك اللهُ في مصرَ ، وفي شعبِ مصرَ !!.. فمازالت الأصالةُ المصريّةُ بخير والحمدُ لله !! وستظلُّ مصرُ العريقةُ بكلِّ خيرٍ إن شاء اللهُ ، على مدَى الأيام ، مادامت الأصالةُ المصريةُ باقيةً في أبناءِ شعبِها الأصيلِ !!..

أيّها المصريّون الشّرفاءُ .. اطمئنّوا ، فمصْرُكم مازالت بخيرٍ ، وإذا رأيتم ما لا يروقُ لكم من تصرّفاتِ بعضِ شبابِها وسلوكياتِهم ، فلا تحزنوا ولا تبتئسوا ، ولا تتسرّعوا بالحكم لما تشاهدون ، فليس كلُّ المصريين هكذا ، بل إنّ الكثيرين من أبنائها مازالوا بخيرٍ ، ومازالوا على أصالتِهم وعراقتِهم ، التي توارثوها عن آبائهم وأجدادهم ، وتتجلّى هذه الأصالةُ والعراقةُ بكلِّ جلاءٍ ووضوحٍ ، خاصّةً في الكثيرين من أبناءِ مصرَ الكبارِ ، الذين تربَّوْا على الأخلاقِ المصرية الأصيلة ، وعاشوا بالعادات المصرية الفاضلة ، وعاصروا الأجيالَ التي ضربتْ أروعَ الأمثلة في الشهامة والمروءة المصرية ، التي تجسّدتْ بكلِّ صدقٍ في رجالها القدامى ، ومازالت هذه الأخلاقياتُ السّاميةُ متجسِّدةً في سلوكياتِ الكبارِ من أبناءِ مصرَ ، وفي أبنائهم الذين تخلّقوا بأخلاقيات آبائهم ، مما يجعلُ كلَّ مصريٍ يفخرُ بمصريته ويعتزُّ بأصالته !!

ولقد سعدتُ كلَّ السعادة عندما وجدتُ هذه الأصالةَ المصريةَ والأخلاقَ المصريةَ ، مازالت تعيشُ في وجدانِ وسلوكِ بعضِ المصريين المغتربين ، الذين اضطرّتْهم الظروفُ أن يُهاجروا ويتركوا وطنَهم بأجسادِهم ، أما أرواحُهم وقلوبُهم فمازالتِ متعلّقةً بمصر وبحبِّ مصرَ ..

من هؤلاء المصريين الشرفاء المغتربين الذين التقيتُ بهم في الولايات المتحدة الأمريكية ، الأستاذ باهر شعراوي ، رئيس الجمعية المصرية الأمريكية للثقافة بنيويورك ونيوجيرسي ، والمذيع الناجح بالإذاعة العربية والتليفزيون العربيّ ، والدكتور محمود أمين رئيس تحرير جريدة " بلادي " والأستاذ جمال زيتون ، ومعهم نخبةٌ ممتازةٌ من الكتّاب المصريين الشرفاء ، وهم يكتبون بأقلامهم الشريفة والأصيلة ما يُشرِّفُ كلَّ المصريين ..

كما التقيتُ أيضًا برجلين فاضليْن ، في مدينة لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا ، أحدُهما وهو الأستاذ محمد عباس ، الذي قاسَى وعانى الكثيرَ من عَنَت واضطهاد بعض المسئولين في مصرَ أيامَ عبد الناصر ، حتى أنّهم منعوه من مغادرة مصرَ ، وتسببوا في تعطيل أعماله الفنيّة في الكويت ولبنانَ والمغرب ، دون أيِّ مبرر معقول ، ولا لشيء إلاّ لأنه ابنُ شقيقة الرئيس الراحل محمد نجيب ، ولم يستطع الخروجَ إلاّ بشقِّ الأنفس ، ومع كلّ مالاقاه وقاساه ، لم يُؤثّرْ ذلك في مصريته ووطنيته وحبِّه لبلده مصرَ ، ورغم أنه من كبار رجال الأعمال المصريين في أمريكا ، إلاّ أنه مازال يقومُ ببعض الأنشطة الفنية والاقتصادية في مصرَ ، رغم أنه غنيٌّ عن ذلك ، فالأنشطةُ الاقتصاديةُ في أمريكا أكثرُ ربحًا ، وأسهلُ ممارسةً ، ولكنّ الأصالةَ المصريةَ هي التي تتحرّكُ في وجدانه ، وتجعلُه لا ينسَى وطنَه الأمَّ ، ومن مظاهر وفائه وحبِّه لمصرَ ، تلك اللوحاتُ المصريةُ المعلّقةُ على جدران بيته ، والتي تعبّرُ عن جمال الرّيف المصريِّ وعراقة الحضارة المصرية القديمة ، كما تتجلّى مظاهرُ الوفاء لبلده في اهتمامه بمصالح المصريين الوافدين والمهاجرين الجدُد ووقوفه إلى جانبهم ومساندتهم بكلّ إخلاص ، في إتمام إجراءات إقامتهم والحصول على فرص العمل المناسبة !

والرجلُ المصريُّ الآخرُ الذي بهرني وأثار احترامي وتقديري ، هو الدكتور سعيد علي ، طبيبُ الأسنان الشهيرُ بلوس أنجلوس ، والذي أمضى في أمريكا أكثرَ من ثلاثين عامًا ، ورغم ذلك لم تُؤثِّرْ فيه الغُربةُ ولا مفاهيمُ المجتمع الأمريكيِّ القائمةُ على عبادة الدولار ، ولكنه مازال متأثِّرًا بالأخلاق المصرية العريقة ، التي تعرفُ الواجبَ ولا تتخلَّى عن الشهامة والمروءة عندما يحينُ أوانُها .. وقد حدث أن زرتُه في عيادته مع أحد أبنائي الذي كان يُعاني من ألمٍ في أحد ضروسه ، ولم أكن قد شرُفتُ بمعرفته من قبلُ ، فقام الدكتور سعيد بعمل اللازم وحشْو الضِّرس ، ولما علم أنّ لي طاقمَ أسنان طلبَ فحصَه ، فوجد أنه يحتاجُ إلى بعض الضَّبط ، فأخذه وأرسله إلى معمل الأسنان حيث أجروْا اللازمَ له ، ولما أردنا أن ندفعَ أجرَ ما قدّم من خدمات لي ولنجلي ، أصرَّ على عدم قبول أيِّ أجرٍ ، لأنه يعلمُ بعدم وجود تأمينٍ صحّيٍّ لي أو لنجلي ، ولقد علمنا من الممرِّضة أنّ تكاليفَ الخدمات التي أجراها الدكتور سعيد لنا تتعدَّى خمسمائة دولارٍ .. ومما يُزيدُ احترامَنا وتقديرَنا لهذا الرجلِ المصريِّ الأصيلِ ، أنه كان يستفسرُ باستمرارٍ عن إجراءات إقامة نجلي ، وحصوله على العمل المناسب ، وعرضَ مساعدتَه في هذا الشأن ، وكان دائمَ السؤال عني وعن أنجالي ، ومن مظاهرِ كرمه أنه أصرَّ على دعوتي مع نجلين من أبنائي ، لتناول الغداء معه في مكانٍ جميلٍ على شاطئ البحرِ ، ولم تنقطع اتصالاتُه التليفونيةُ بنا حتى ليلة سفري من لوس أنجلوس .. كما علمتُ أنه يستضيفُ بعضَ الوفود الفنية الذين يزورون أمريكا ، وكذلك الوفودَ الرياضيةَ ، وقد سبق أن استضاف جميعَ الوفود الرياضية والصحفيين المرافقين لهم ، القادمين من مصرَ للأولمبياد العالمي عام ١٩٨٤ ، وكان عددُهم مائةً وخمسًا وسبعين فردًا ، وكان على رأسهم " عبد الأحد جمال الدين " الذي كان وقتها وزيرَ الشباب والرياضة ..

وقد يتساءلُ القارئُ عن سبب سرد هذه التفاصيل ، فيما قام به هذان الرجلان

الكريمان ، ويقولُ : ماللقرّاء بهذه الأمورِ الشخصية ؟! وأجيبُ على هذا التساؤل ، بأنني لا أتناولُ هذه الأمورَ من جوانبها الشخصية ، بقدرِ ما أتناولُها من جانبِ المعاني التي تعكسُها مواقفُ هذين الرجليْن المصريّيْن الكريمين ، تلك المعاني التي تدلُّ على أنّ الأصالةَ المصريةَ والعراقةَ المصريةَ والمروءةَ المصريةَ ، مازالت موجودةً ، وستظلُّ إن شاء اللهُ باقيةً مادام في الدنيا أمثالُ هذين الرجليْن ، فإنّ ما قاما به نحوي لم تكن وراءه علّةٌ ولا مصلحةٌ إلاّ إحساسُهما بالواجبِ المعروفِ عن مصرَ والمصريين ! كما أردتُ بسردِ هذه المواقف أن أُعطيَ بهما المَثَلَ والقدوةَ الطيّبةَ لغيرِهما من المصريين المغتربين ، ليحذوا حذوَهما ، وليقتديا بمواقفهما المشرِّفة ، ويعرفوا ما عليهم من واجباتٍ نحو بلدهم وأبناء بلدهم ، حتى يُعطوا للجميعِ انطباعًا طيّبًا عن مصرَ وأبناء مصرَ ، وحتى يكونوا صورةً حيّةً ، وترجمةً صادقةً للأصالةِ المصريةِ والمروءةِ المصريةِ ، ولكي نستطيعَ أن نقولَ لشبابنا ، وللعالمِ كلّه :

الحمدُ لله .. فالأصالةُ المصريةُ ، مازالت بخيرٍ !!

الأنـــانـــي

اللّي يهمُّـــه إنُّه يعيـــش	*****	ما يهمُّــوش إنســـان تاني
هوّ وبسّ وغيرُه مفيـــش	*****	وده مبـــدأ مش إنســـاني
مهما بياخُد ما بيكْفيـــش	*****	يِفْضَـــلْ يطلب من تـــاني
عاوز يضحك ولا يبكيش	*****	يفضـــل يبْـــني في أمـــاني
ينْهَبْ غـــيرُه ولا يخلّيش	*****	ويقول دي الدنيا عشـــاني
ولا يهْتَمِّش ولا يبْقيـــش	*****	على صـــاحب لَمّا يعـــاني
عندُه المال أفيون وحشيش	*****	ويغـــنِّي لُه فـــي أغـــانـــي
كلْمَه على لسانُه "ماعنديش"	*****	لا فلوس ولا كانـــي ومانـي
دانا في الدنيا ديّه ماليـــش	*****	فيها حبيـــب ولا خـــلاّنـــي
لو يوم راح المال مايجـــيش	*****	يمْرَضْ ويقـــول آه يَـــانـــي
وحَيَاتُه زيّ الخـــفافيـــش	*****	تلاقيـــه عايـــش وحـــداني
أحسَنْ لُه في الغابه يعيـــش	*****	علشـــان فكْـــرُه حَيَـــوَاني
والأصناف دي ماتقْبَلْنيش	*****	لاجْـــل الحقّ على لســـاني
دي نوعيّـــة ماتلْزَمْنيـــش	*****	بارْفُضْـــها بكلّ إيمـــانـــي
واللّي بياخُد ولا يدِّيـــش	*****	يبقى مفيـــش شـــك أناني !!

===========

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ .. كَنْزٌ لِلدَّارَيْنِ !!..

طُوبى لمن كان بارًّا بوالديه ، فقد فاز برضاءِ الله وتوفيقه في الدنيا ، وبنعيمِ الجنَةِ في الآخرةِ !!.. وويلٌ لمن كان عاقًّا لوالديه ، فقد باء بغضبٍ من اللهِ وسخطه في الدنيا ، وبنارِ جهنّمَ في الآخرةِ !!..

ولْيعلمْ العاقُّ لوالديه أنّ جميعَ الذنوب قد يُؤخِّرُ اللهُ عقابَها إلى يومِ القيامة ، إلاّ عقوقَ الوالدين ، فلابد للعاقِّ أن يرى عقابَ العقوقِ في الدنيا قبل أن ينتقلَ إلى عقابِ الآخرةِ !!..

وقد يتمثلُ عقابُ العاقِّ في الدنيا ، في عقوقِ أولاده له كما عاقَّ والديه من قبلُ ، وقد يتمثلُ العقابُ في سوءِ الختامِ ، بضيقٍ في الرزقِ أو اعتلالٍ في الصحةِ أو عدمِ التوفيقِ في العملِ أو في بُغضِ الناسِ له .

وهذا الخطأُ الكبيرُ أو الذنبُ العظيمُ ، الذي يقعُ فيه الإنسانُ ، قد يكونُ وراءه الزوجاتُ ، وقد يكونُ بسببِ الكسْبِ غيرِ الحلالِ أو بسببِ ارتكابِ المعاصي أو ظلمِ الناسِ وأكْلِ حقوقِ العبادِ .. ولا يُدركُ العاقُّ ما وقع فيه من الذنبِ وما لحقه من خسارةٍ فادحةٍ إلاّ بعد فواتِ الأوانِ ، أي بعد رحيلِ الوالدين !!..

أما الذين أنعم اللهُ عليهم ووفقهم إلى البرِّ بالوالدين ، فيروْنَ أثرَ ذلك في الدنيا في صورٍ كثيرةٍ ، قد تتمثلُ في البركةِ وسعةِ الرزقِ ، وقد تكونُ في التوفيقِ في العملِ ، أو

في حبّ الله الذي ينعكسُ على حبِّ الناس ، والتمتّع بالصحة والعافية ، وإنجاب الذرّية الصالحة البارّة الموفّقة والسعيدة ، التي تنعكسُ سعادتُهم على سعادة الوالدين ، فيحمدون الله أن وفّقهم إلى إرضاء الوالدين في حياتهما !!..

إنّ ما يفعلُه الإنسانُ بوالديه سواءً كان برًّا أو عقوقًا ، لا يضيعُ عند الله أبدًا ، وصدق اللهُ تعالى إذ يقولُ : [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ] " الزلزلة " وصدق رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم إذ يقولُ : (البرُّ لا يبلَى والذنبُ لا يُنسَى والديّانُ لا يموتُ ، يابنَ آدمَ ، افعلْ ماشئتَ كما تدينُ تُدانُ) !!..

ولْيتذكّرْ الإنسانُ أنّ سلوكياته تكونُ قدوةً لأولاده ، إمّا طيبةً وإمّا سيّئةً ، فإن رأوْا في سلوكيات آبائهم وأمهاتهم برًّا بالوالدين ، نشأوا على ذلك ، وإن رأوْا عقوقًا للوالدين تأثروا بذلك .. ولْنعلمْ أنَ رءوسَ أولادنا كأجهزة الكمبيوتر ، تختزنُ في ذاكرتها صورَ سلوكياتنا وتتأثّرُ بها !!..

وأضربُ بعضَ الأمثلة على ذلك .. فإنني أذكرُ أنّ والدي رحمه اللهُ حكى أمامي وأنا طفلٌ صغيرٌ أنه قبّل قدمَ أمّه ، فقالت له : لماذا تفعلُ ذلك ؟ فقال لها : لتكوني راضيةً عني ، فخلعتْ رداءَ رأسها ودَعَتْ له قائلةً : ربّنا يرضى عليك ويرزقُك بالذرّية الصالحة ويُحبِّبُ فيك خلقَه !!.. وعاش هذا الحدثُ في ذاكرتي ، وكنتُ أتذكّرُه كلما رأيتُ والدي موفّقًا في عمله ومحاطًا بالحبِّ من الناس سواءً من أهله أو من معارفه ، كما وفّقه اللهُ بحفظ القرآن الكريم وتأسيس بعضِ الجمعيات الخيرية لبعض المساجد ،

ورزقه اللهُ بالأولادِ الذين لم يعصوا له أمرًا ، ولم يختلفوا فيما بينهم على الإطلاق !!..

وأذكرُ أنني دون أن أدري فعلتُ ما فعله والدي مع والدته ، إذ قبّلتُ قدمَ والدتي أكثرَ من مرّة .. وسبحان الله !!.. فقد وجدتُ والدتي تدعو لي بنفسِ الدعاء الذي دَعَتْ به جدّتي لأبي ، وقالت : ربّنا يرضى عليك ويرزقُك بالذرّية الصالحة ويُحبِّبُ فيك خلقَه . وأحمدُ اللهَ فقد شعرتُ في مواقفَ عديدة بتوفيقِ الله لي في عملي ، ورضائه عني وسَتْرِه لي ، وأحسستُ بسعادة حبِّ الناس في كلِّ مكانٍ عملتُ فيه ، وقد رزقني بالذرّية الصالحة الذين جعلهم اللهُ على درجةٍ كبيرةٍ من البرِّ والوفاء الذي أتحدثُ عنه من بابِ التحدّث بنعمِ الله تعالى ، وسبحانَ الله أيضًا !!.. فإنّ من أولادي من قبّل قدمي رغم محاولتي منعَهم ، فكانوا يُصرّون على تقبيلها .. وكنتُ حينئذ أتذكّرُ ما فعله والدي مع أمّه ، وما فعلتُه مع أمّي .. وكنتُ أقولُ : صدق اللهُ ورسولُه !!..

وأذكرُ للقرّاءِ قصةَ رجلٍ طيِّبٍ أعرفُه منذ أن كان طفلاً ، وقد قاسى الأمرّين من سوءِ معاملةِ زوجةِ أبيه ، وتحمّل حتى كبر وأصبح رجلاً وتزوّج وأنجب ، وكانت زوجةُ أبيه تبثُ الوقيعةَ بينه وبين أبيه ، وتُحرِّضُ أباه عليه فكان الأبُ يُسيءُ معاملةَ ابنه ، متأثّرًا بدسائسِ زوجته ، وحرمه من التعليم ، وكان الإبنُ يصبرُ ويتحمّلُ ، وحدث ذات مرّةٍ أن زاد الأبُ في قسوته وتوبيخه وتعنيفه لابنه ، حتى شعر الابنُ بضيقِ الصدرِ وقسوةِ الظلم ، ووجد أنه لم يعُدْ قادرًا على التحمّلِ أكثرَ من ذلك ، ووسوس له الشيطانُ ، وأحسَّ بأنّ لسانَه على وشكِ أن ينفلتَ وينطقَ بما يُسيءُ إلى أبيه ، فقفز الابنُ على كَوْمٍ من الرمالِ كان قريبًا منه ، واغترف حفنةً من الرملِ بيديه ثم قذفها في فمه حتى امتلأ فمُه بالرمالِ فلم ينطقْ لسانُه بما يكرهُ أبوه ، وبذلك عصم لسانَه من التطاولِ على أبيه !!.. وبعد أن تُوُفِّيَتْ زوجةُ أبيه سخّر نفسَه وزوجتَه وأولادَه لخدمةِ

أبيه حتى تُوُفّي الأبُ راضيًا على ابنه .. فماذا كان جزاءُ هذا الابن البارّ الذي تحمّل الأذى من زوجة أبيه ، وقذف في فمه الرمل حتى لا ينطق لسانُه بما يكرهُ أبوه ؟؟.. أكرمه اللهُ وبارك له في زوجته التي صانته وحفظتْ مالَه وعرضَه وربّتْ له أولادَه تربيةً صالحةً ، وبارك اللهُ في أولاده ووسّع في رزقه حتى أصبح الآن من أصحاب الملايين ، وكنتُ أتمنى أن أذكرَ اسمَه ولكني خشيتُ ألاّ يُرضيَه ذلك ، وسأكتفي بذكر أنه من مدينة سنورس — فيوم .. وهو معروفٌ ومحبوبٌ من جميع أهل بلده .. وهو يذكرُ في مناسبات كثيرة نعَمَ الله عليه ، ويُعطي في سخاءٍ ، ويقولُ متحدِّثًا بنعم الله : إنّ الله يُعطينا أكثرَ مما نستحقُ ، وكلما أعطينا فإنه يُعطينا (بالكُومْ) ، ثم يذكرُ عبارةً دائما يُردِّدُها حتى أصبحتْ عادةً لا تفارقُ لسانَه ، يقولُ فيها :

يابركة دعاء الوالدين .. ربّنا يشيل عنّا البلاوي والمرض !!..

فهل نتّعظُ من هذه الصورِ المضيئة التي تُذكّرُنا بفضلِ البرِّ بالوالدين وثوابه عند الله وجزائه بالخيرِ والسعادةِ في الدنيا ، والفوزِ برضاءِ الله ونعيمِ الجنّةِ في الآخرة ؟؟!!..

دَعُوهُمْ .. لِيَأْكُلُوا مِنْ حَلَالٍ !!..

ما سأذكرُه في هذا الموضوع ليس من القسوة فحسب ، ولكنه أيضًا دليلٌ على قصَرِ النظرِ لدى بعضِ المسئولين ، الذين يُحاربون الشبابَ الذي يسعى إلى كسْبِ الرزقِ بطريقٍ حلال ومشروعٍ ، وأقصدُ بذلك الشباب الذي تخرَّجَ من الجامعات والمعاهد ، ولم يتحققْ له الأملُ الذي كان يحلمُ بتحقيقه بعد أن قضى السنواتِ الطويلةَ في المدارسِ والكليات والمعاهد ، بأن يجدَ العملَ المناسبَ الذي يُعوِّضُه عن سنوات السّهرِ والكفاحِ ، وليردَّ به جزءًا من أفضال والديه اللذين حَرَمَا نفسيهما من كثيرٍ من مُتَعِ الحياة لتوفيرِ متطلبات الدراسة لأولادهما ، حتى يفرحوا بتحقيقِ المستقبل المشرقِ لهم ، ولكن ما أن تخرَّجَ هولاء الشبابُ حتى صُدموا حين وجدوا أن أحلامَهم وطموحاتهم لم تكن إلاّ سرابًا ووهمًا ، فلا عملَ مناسبَ ولا حتى غيرَ مناسبٍ !!..

ولما طال بهم الانتظارُ ، وتبدّدتْ الأحلامُ ، فكّر بعضُ العقلاء منهم في ألاّ ينتظروا أكثرَ مما انتظروا ، خاصّةً وهم يرَوْنَ الألمَ والأسى المدفونَ في العيونِ الصامتة للوالدين ، واللذين ربما استدانا من الناس بالكثيرِ للإنفاق على أبنائهم لاستكمال دراساتهم ، كما يرَوْنَ الحزْنَ المكتومَ في نظراتِ الآباء والأمهات ، ففكّر هؤلاء الشبابُ في القيام ببعضِ الأعمالِ الخاصّة التي تُعينُهم على الحياة ، وتحفظُ لهم كرامتَهم وماءَ وجوههم أمام ذويهم وأصدقائهم ، وحتى يُخففوا بعضَ المعاناة عن أسَرهم ، ويُبعدوا شبحَ البطالةِ الكئيبة عنهم ولو مؤقتًا ، وربما اقترضوا بعضَ المال من الأهلِ والأصدقاء ، وراحوا يشترون بعضَ البضائع المتواضعة حسبَ إمكانياتهم المادّية المحدودة ، مثلَ لُعَبِ وملابسِ الأطفالِ أو الكبارِ ، أو السِّلعِ المختلفة ، وراحوا بكلِّ شجاعةٍ يفتقرُ إليها الكثيرون من زملائهم ، ووقفوا ببضاعتهم على أرصفةِ بعضِ الشوارعِ يعرضون

بضاعتهم على المارّة من الناس ، ليكسبوا عيشَهم من حلال ، وليزيلوا عن صدورهم كابوسَ الإحساسِ بالخجلِ واليأسِ ، وقد نجح الكثيرون منهم في تحقيق دخلٍ مناسب يكفيهم شرَّ البطالة وما يمكنُ أن يترتبَ عليها ، وليساعدوا أسَرَهم في تسديدِ بعض ديونهم ، والإنفاقِ على الصغارِ من إخوتهم وأخواتهم ، وبعد أن بدأتْ تعودُ إلى وجوههم بسمةُ الأملِ في العيشِ الكريمِ ، يُفاجأُ هؤلاء الشبابُ المكافحُون الصابرون ، بصواعقَ لم تكن في حسبانهم تنقضُّ عليهم من حيث لا يعلمون ولا يتوقعون ، هذه الصواعقُ المدمِّرةُ التي يُسمّونها بشرطة المرافقِ ، التي يعملُ فيها "بعضُ" الناسِ الذين لا يعرفون للرحمة معنىً ولا للإنسانية طعمًا ، ويُصادرون تلك البضائعَ البسيطةَ بطرق مهينة ومخرِّبة ومُتْلفَة ، ثم يشتِّتون هؤلاء الشبابَ بين الأقسام والإدارات المختلفةِ ، ويُغرقونهم في الإجراءاتِ المملّةِ والعقيمة التي تضيِّقُ الصدورَ وتُثيرُ النفورَ ، وقد يتسببُ ذلك في إتلافِ بضاعتهم وفقدانِ كلِّ أو بعضِ رأسِ مالهم المتواضعِ ، فضلاً عن الوقتِ الضائعِ عليهم !!

وأقولُ لجميعِ المسئولين عن شرطة المرافقِ ممن يُصْدرون التعليماتِ باتّخاذ هذه الإجراءات القاسيةِ ، سواءً كانوا من أجهزةِ المحافظة أو من أجهزة وزارةِ الداخليةِ ، أو من أية جهةٍ أخرى .. دعونا نناقشُ معًا هذا الأمرَ بالمنطقِ والموضوعيةِ والعقلِ ، واضعين نُصْبَ أعيننا المصلحةَ العليا لبلدِنا ومجتمعنا الذي نحرصُ جميعًا على أمنه واستقراره ..

ماذا تتوقعون من هؤلاء الشبابِ بعد أن تحاربوهم في أرزاقهم وتُخيِّبوا آمالَهم ؟! هل تعتقدون أنّهم سيضربون لكم " تعظيم سلام " ثم يقفون صفًا ويُنشدون قائلين : (بلادي بلادي ، لكِ حبي وفؤادي) ؟! أم تنتظرون أن يهتفوا كالمنافقِ ، بالروح والدّم نُفديك يامَرَافق ؟!..

إذا كنتم حقيقةً لاتعرفون ، فأنتم إلى حد ما معذورون ، أما إذا كنتم تُدركون نتيجةَ ما تفعلون ، فأنتم للمجتمع الآمنِ تُدمِّرون ، وللشباب الوطنيِّ تكفِّرون ، وللكراهيةِ في صدورِهم تزرعون ، وفي النهايةِ أنتم للتطرّف والإرهاب تخلقون وتصنعون ، فكيف بعد ذلك يامسئولون ، بالولاء والانتماء للمجتمع تُطالبون ؟!

ألم تسمعوا قولَ القائل : لا تُحدِّثني عن الوطنِ وأنا فيه مظلومٌ !! ولا تحدّثني عن العطاءِ وأنا منه محرومٌ ؟!! ألم تسمعوا من قال : خُذْ رقبتي ولا تأخذْ رغيفي ؟!..

أستحلفُكم بالله أن تُجيبوا بصدقٍ ولو في أنفسكم ، إذا تسبب رئيسٌ لكم في خصمِ يومٍ من مرتّبكم ، ألا تصبّون لعناتكم عليه وعلى من معه ؟! ألا تُظْهِرون جامَ غضبكم على الدولةِ بكلّ من فيها ، وتندمون على حياتكم فيها ؟! مع أن خصمَ يومٍ لن يحرِمَكم نهائيًا من مرتباتكم ، فما بالُكم بمن تُضيّعون رأسَ مالهم وتُحاربونهم في أرزاقِهم ؟!.. إذا كانت حجّتُكم المحافظةَ على النظامِ في الشارعِ المصريِّ ، فسأقولُ لكم : إنكم تنشرون الفوضى في الشارعِ المصريِّ .. وإذا كان هدفُ الحكومة القضاءَ على التطرّفِ والإرهابِ ، فسأقولُ لكم : أنتم الذين تخلقون التطرّفَ وتصنعون الإرهابَ !!.. ولْتعلموا أن هناك من يتمنون لكم هذه الأخطاءَ ، حتى يتسنّى لهم استقطابُ هؤلاء الموتورين والمظلومين من الشباب ، ليُقنعوهم بظلمِ هذا المجتمعِ وتكفيرِ المسئولين فيه ، ويزرعوا في نفوسهم الحقدَ والكراهيةَ للمجتمع ، وينتزعوا من صدورِهم الإحساسَ بالولاءِ والانتماءِ للوطنِ ، وبذلك تكونون قد قدّمتم شبابَ هذا البلد لقمةً سائغةً لأقطاب التطرّف والإرهاب وتجّارِ المخدّرات ، وتكونون باختصارٍ قد أجهزتم على العمودِ الفقريِّ للوطنِ ، المتمثّلِ في شبابه الذي نعقدُ عليهم الأملَ ..

أيّها المسئولون على جميعِ المستوياتِ .. اتّقوا الله في شبابنا ، وأعيدوا النظرَ في هذه المطاردات ومحاربة الأرزاقِ ، وكفاهم ما يُعانون من مشاقٍ ، واتركوهم يُكافحون ويكدُّون ، وللمجتمعِ يُقدِّرون ، ولوطنِهم يُحبّون ..

وتذكّروا أن السّعيَ على الرزقِ من أفضلِ الحلالِ .. **فَدَعُوهُمْ .. لِيَأْكُلُوا مِنْ حَلاَلٍ !!...**

أميرُ الشارعِ المصريِّ !!..

لعلك تتساءلُ أيها القارئُ ، وتقولُ : وهل للشارعِ المصريِّ أميرٌ ؟!.. ومن هو ذلك الأميرُ ، ومن أين اكتسب هذا اللقبَ ؟!.. ومن الذي منحه لقبَ الأميرِ ؟!.. خاصةً وأنّ الألقابَ قد أُلغيتْ منذ قيامِ الثورةِ ، ولم يبقَ من هذه الألقابِ إلاّ لقبَ (باشا) الذي يُمنحُ مجّانًا وبلا مرسوماتٍ ملكيةٍ ولا جمهوريةٍ ، وخاصةً في مجالاتِ الشرطةِ والوزراءِ ورجالِ الأعمالِ .

أمّا لقبُ أميرِ الشارعِ المصريِّ ، فقد تجرّأتُ أنا وأطلقتُه على من كان يُسمَّى في الماضي بلقبِ (منادي السيارات) الذي كان الناسُ يطلبون منه إيقافَ التاكسياتِ ليركبوها ، ثم يُعطونه (شلنًا أو بريزةً) .. أمّا اليومَ فقد تطوّر وضعُ منادي السياراتِ وعلا شأنُه وتغيّر أداؤُه .. واقتصر على إلقاءِ بعضِ العباراتِ البسيطةِ لقائدي السياراتِ الذين يريدون رَكْنَ سياراتِهم بجوارِ الرصيفِ ، ويقولُ من هذه العباراتِ على سبيلِ المثالِ : تعالَ ، تعالَ .. عجلة ورا ، أيوة ، إعدلْ ، إرجع ورا عجلة ، كدة تمام ياباشا .. حاتتأخّر حضرتك ؟ .. طيب لو سمحت خلّي العربية (ممَوّرَة) ، وينزلُ قائدُ السيارةِ ليقضيَ مصلحتَه التي قد تستغرقُ دقائقَ معدودةً أو ساعاتٍ قليلةً ، ثم يعودُ ، وبمجرّدِ أن يراه (المنادي) يُسرعُ إليه ليقولَ عباراته المتكررةَ : عجلة ورا .. إكسر يمين .. أيوة ، تعالَ تعالَ .. إكسر شمال .. عجلة ورا .. إعدلْ .. أيوة إكسر شمال .. تعالَ .. مع السلامة ياباشا ، ويُخرجُ قائدُ السيارةِ ذراعَه ليُعطيَه (ما فيه النصيبُ) ، وقد يكونُ هذا النصيبُ جنيهًا أو نصفَ جنيه ، وقد يكونُ في أسوأ الأحوالِ رُبعَ جنيهٍ الذي يأخذُه (المنادي) بامتعاضٍ ، وكأنه ظُلِمَ ولم يأخذْ حقَّه

المناسبَ .. وقد انتشرتْ هذه الظاهرةُ في معظم الشوارعِ المصرية ، حيث قسّم البلطجيةُ والعاطلون الشارعَ إلى مناطقَ لهم ، بحيث لا يتعدَّى أحدُهم على منطقةِ منادٍ آخرَ !!..

وأذكرُ أنني كنتُ يومًا في زيارةٍ للمركزِ العلمي الدولي للكمبيوتر (I AC) بشارعِ قصرِ النيلِ بوسطِ القاهرةِ ، وخرجتُ ووقفتُ في الشرفة ونظرتُ إلى الشارعِ فرأيتُ أحدَ هؤلاء (المنادين) يقفُ بجوارِ الرصيفِ يحملُ في يده اليمنى كوبًا من الشاي ، وفي يده اليسرى سيجارةً ، قد تكونُ (مارلبورو أو ميريت) المهمُّ أنّها أجنبيةٌ .. وقد يجلسُ أحيانًا على مقدّمةِ أو مؤخّرةِ سيارةٍ من السيارات .. فقررتُ أن أتابعَ هذا (المنادي) لمدّةِ ساعة .. ورأيتُه وهو يُشيرُ لقائدي السيارات ويُطلقُ تلك العبارات (عجلة ورا .. تعالَ .. إكسر يمين .. عجلة ورا .. إعدلْ .. تعالَ ، ثم يرفعُ يدَه بالتحية ثم يُمدُّ يدَه ليأخذَ (المعلومَ) ، وظللتُ أراقبُه لمدّة الساعة ، وكنتُ أعدُّ السيارات التي تعامل معها خلالَ الساعة فبلغ عددُها ٦٢سيارةً ، ولنفترضْ أنّ عددَها ٥٠ سيارةً فقط ، فإذا كان متوسطُ ما يأخذُه من كلِّ سيارةٍ ٥٠ قرشًا ، فيكونُ مجموعُ ما يحصلُ عليه في الساعة ٢٥ جنيهًا ، فإذا كان يستمرُّ في هذا العملِ عشرَ ساعاتٍ في اليوم ، يكونُ مجموعُ ما يحصلُ عليه في اليوم ٢٥٠ جنيهًا ، وإذا كان يستريحُ يومًا كلَّ أسبوعٍ ويعملُ ستةَ أيامٍ ، فيكونُ مجموعُ ما يحصلُ عليه في الأسبوعِ ١٥٠٠ جنيه ، وبذلك يكونُ دخلُه في الشهرِ ٦٠٠٠ جنيه ، دون أن يبذلَ أيَّ مجهودٍ وبلا أيِّ حاجةٍ إلى رأسِ مالٍ ، ودون أن يدفعَ إيجارًا للرصيفِ أو فاتورةً للإنارة ، ودون أن يُسدِّدَ أيّةَ ضرائبَ للمتحصِّلات ولا ضرائبَ (مبيعاتٍ) ولا تمغاتٍ ولا يتعرّضَ لأيّةِ خصوماتٍ ، ولا يتعرّضَ لما تقومُ به شرطةُ المرافقِ من مطارداتٍ للشباب

الكادحِ المكافحِ الذي يُحاولُ أن يكسبَ عيشَه من حلالٍ ، بينما تتركُ هذه الشرطةُ هؤلاء (المنادين) ليبتزّوا المواطنين بلا أيِّ مبرِّرٍ ولا حقٍّ !!..

والمطلوبُ من شرطةِ المرافقِ أن تكفَّ عن مطاردةِ الشبابِ المكافحِ ، وأن تطاردَ هؤلاء البلطجيةَ والعاطلين الذين جعلوا من أرصفةِ الشوارعِ ملكًا لهم ويؤجرونَها لانتظارِ السياراتِ ، ليقضوا على هذه الظاهرةِ التي لا يوجدُ مثلُها في أيّةِ دولةٍ من الدولِ .

إنني لا أدفعُ لهؤلاء البلطجيةِ شيئًا عندما أركنُ سيارتي ، ولهذا فإنّ بعضَهم يستوقفوني ويطالبوني بالدفعِ فأرفضُ ، وأحيانًا أتعرّضُ لبعضِ المضايقاتِ منهم لهذا السببِ ، ومع ذلك لا أستجيبُ لهم ، وأطالبُ جميعَ المواطنين أن يمتنعوا عن دفعِ أيِّ شيءٍ لهؤلاء البلطجيةِ ، حتى نقضيَ على هذه الظاهرةِ السخيفةِ والبطالةِ المقنّعةِ ، كما أطالبُ المسئولين في المحافظةِ وفي وزارةِ الداخليةِ أن يتخذوا الإجراءاتِ الكفيلةَ بالقضاءِ على هذه الآفةِ الاجتماعيةِ المخزيةِ ، وإلاّ سيظلُّ هذا (المنادي) رغمَ أنفِ الجميعِ .. حاكمًا ، وأميرًا للشارعِ المصريِّ !!..

حَسَـــنَة قَليـــلَة .....!!

هذه القصةُ القصيرةُ ليست من خيالي ، ولكن رواها لي اثنان من أبطالها ، فوجدتُ فيها من العبرة والعظَة ما جعلني أكتبُها في هذا الكتاب ، لعلها تفيدُ القرّاء ، وسأرويها بلا أيّة إضافات كما سمعتُها تمامًا من أحد أبطالها ، وبلهجته العامية ، واسمُه الحاج سيد صابر من سنورس– فيوم ، حيث قال الحاج سيد بالنصِّ : كنت في يوم قاعد أنا والحاجة (يقصدُ زوجتَه) بعد نصّ الليل ، في مدخل البيت نتسامر ، وفجأة سمعنا " خبط " على الباب العمومي للبيت ، فقلت : مين ؟ فسمعتُ اللي بيقولُ : قول اتفضلوا .. فقلتُ على طول : اتفضّلوا . وقمت بسرعة وفتحتُ الباب ، فوجدتُ رجلين ماعرفهمش وماشفتهمش قبل كدة .. ومع ذلك رحّبتُ بيهم ودخّلتُهم أودة الجلوس ، و ماسألتهمش عن شيء ، واستنّيت أنّهم يعرّفوني بنفسهم ، ولكن واحد منهم قال : عاوزين نتعشّى . قلت : حاضر .. عن إذنكم دقيقة .. (وشيّعت وجبت من المحلّ اللي جار البيت فرخة مشوية وشويّة سَلطات ، وحطّيت الأكل قدّامهم ، وأكلوا وشبعوا) .. وبعد شويّة قال الرجلُ الثاني : نشرب الشاي بقى .

قلت : وجَبْ (وجبت لهم الشايَ وشربوا ، وبعدين راحوا قايمين وخرجوا) وقالوا : شكرًا . وخرجوا من غير مايقولوا أيّ حاجة ، وأنا لساني ما نطقش ، وما سألتهمش همّ مين ، ولا جايين منين ، ولا عاوزين إيه !! وسألتني الحاجّة : إنت تعرفهم ؟

قلتُ : ولا عمري شفتُهم قبل كدة !

وسألتني الحاجّة : طيب ماقالوش حاجة عن نفسهم ؟! قلت : أبدًا .. الله أعلم بيهم !

ويستأنفُ الحاجُ سيد حديثَه فيقولُ : وكان ولادي صابر وياسر ، في الفيوم ، واتأخروا .. وفضلنا مستنيين ، وبعد حوالي ساعتين لقينا صابر وياسر داخلين علينا ،

وعليهم آثار إصابات أفزعتنا ، وسألناهم عن اللي حصل .

فقال صابر : اسكت يابا .. ربنا لطف بينا !!..

الحاجّة : إيه يابني اللي حصل ؟!..

صابر : واحنا جايين من الفيوم ، وياسر أخويا راكب ورايا على الموتوسيكل ، العجَلة اللي ورا ضَرَبتْ ، وانقلب بينا الموتوسيكل ، واتبهدلنا وشفنا الموت بعنينا ، واتشهّدنا على روحنا .. وفجأة واحنا ملقّحين على الأرض ، لقينا اتنين رجّالة واقفين جنبينا ، وجنبهم عربيّة ربع نقل ، وواحد منهم قال لنا : قوم ياصابر ، قوم ياياسر ، وساعدونا وركّبونا العربية معاهم ، وشالوا الموتوسيكل وحطّوه على العربية .. ووصّلونا لغاية هنا ونزّلونا ونزّلوا الموتوسيكل ومشيوا ، وما قالوش همّ مين ولا منين ، واحنا ماقدرناش نعرفهم ، وقلنا يمكن يكونوا من البلد بس احنا ماقدرناش نعرفهم عشان كنا تايهين من اللي حصل لنا ، وكانت الدنيا ضَلْمَة !!..

وهنا تبادل الحاج سيد والحاجّة زوجته نظرات الاندهاش ، وكأنّهما يتساءلان : ياتَرَى !! يكونوا مين دول ؟!.. وبعد قليلٍ وتفكيرٍ هزّت الحاجةُ رأسَها وقالت : إيه رأيك ياحاج سيد ، أنا متهيألي إن الاتنين دول اللي جابوا ولادنا لحد هنا همّ اللي جُم الليلة دي واتعشوا وشربوا الشاي ، وماقالوش عن نفسهم حاجة .. ويمكن يكونوا ملايكة ربّنا بعتهم عشان يشيلوا البَلْوَة عن ولادنا ، نظير اللقمة اللي قدّمناها لهم !!..

الحاج سيد (بعد تفكيرٍ وتأمّلٍ) : والله عندك حق ياحاجّة !! مين عارف ؟! يمكن فعلاً يكونوا ملايكة ربّنا بعتهم .. ياسلام ياولاد !! يمكن اللقمة اللي قدّمناها ، هيّ اللي شالت الشرّ عن ولادنا !!.. ربّنا يشيل عنّا البلاوي والمرض !!.. وصحيح صدق اللي قال : **حَسَنَة قَلِيلَة .. تمْنَعْ بَلاَوي كتيرَة !!..**

أَدْرِكُونِي .. أُو اقْتُلُونِي !!..

فَلْيَدُلَّني أحدُكم .. دام فضلُكم .. وبالحقيقة يُعْلِمُني .. وبالإجابة يرحمُني ..
مَنْ أنا ؟ .. وأين أنا ؟ .. ومَنْ هؤلاء القومُ حولنا ؟!!..
هل أنا عربيٌّ ؟! .. وفي وطني العربيِّ ؟!.. وهل هؤلاء الناسُ من حولي مثلي عربٌ ؟!..
أُريدُ أن أكذّبَ عيني .. وأن أُكذّبَ سمعي !!..
هل أنا في وطني ، وبين عشيرتي .. أم أنّني غريب ؟!!..
وهل ما أراه بعيْنيَّ أمرٌ طبيعيٌّ .. أم أنّه شيءٌ عجيب ؟!..

هل ما يحدثُ في فلسطينَ اليومَ حقيقةٌ ، أم أنّه كابوس ؟!!..
وهل حقيقةٌ أنّ العدوَّ الصهيونيَّ على كرامةِ العربِ يبصقُ ويدوس ؟!!..

اختلطتْ الألوانُ أمامي .. فلم أعُدْ أُمَيِّزُ بين الأبيضِ والأسودِ !!..
ولم أعُدْ أُدرِكُ الفرقَ بين الأردأ والأجْوَد !!..

واندمجتْ الأفراحُ والأحزانُ .. فلم أعُدْ أُدْرِكُ متى أضحكُ أو متى أبكي !!..
ولا أعرفُ فيمن أثقُ ولمن أكشفُ وَرَقي !!..

وامتلأ بالناسِ المكان .. فلا أعرفُ حقيقةً مِنْ بني الإنسان ..
مَنْ هو العدوُّ .. ومَنْ هو الصديق ؟!!.. وهل أنا ناجٍ .. أم أنّني وحدي غريق ؟!!..

لا أدري كيف امتدّتْ يدي .. لمصافحة الغادرِ المعتدي !!..
ولم أعُدْ أُدرِكُ الفرقَ بين أمسي ويومي وغدي !!..

لم أعُدْ أدري مَنْ هو أخي .. ولا مَنْ يكونُ ابنُ عمِّي !!..
فعدوِّي أصبح صديقي .. وقد يُصبحُ يومًا زوجًا لأُمِّي !!..

توقَّفْ ياقلبي عن النّبضِ .. ولا تدقَّ .. لا تدقَّ .. لا تدقَّ !!..
وأنت يا عدُوِّي .. ياقاتلي .. إنّك على حقّ .. على حقّ .. على حقّ !!..
فقد أعطيتُك صدري .. وظهري .. ومددتُ إليك بالسلامِ يدي ..
فاضرِبْ ولا تَرِقّ .. لا تَرِقّ .. لا تَرِقّ !!..
اضرِبْ ياعدُوِّي .. فأنت مُحقّ .. مُحقّ .. وأنا أستحقّ .. استحقّ !!..
فقد صدَّقْتُ أصدقائي .. ووثقتُ في أشقّائي .. فسلّموني لأعدائي !!..

اضرِبْ ياعدُوِّي .. فأنت صديقي .. ودمِّرْ زراعتي .. فأنت شريكي !!..
وصَهْيِنْ شبابي .. وعَرْقِلْ طريقي .. ودمِّرْ بِنْيَتي .. وأشعِلْ حريقي !!..
ولن أُقاوِم .. وكيف أُقاوِم .. وأنت رفيقي ؟!!..
واهدِمْ مسجدي .. ودمِّرْ كنيستي .. وحاصرْ رئيسي !!..
فأنت عدوِّي وحبيبي .. وأنت قاتلي وأنيسي !!..
فإن قذفتُ دباباتك وطائراتك بالحجارةِ ، فأنا إرهابي !!
فاقتلْ شيوخي .. واعتقلْ شبابي !!..

واطمئنْ .. فما يقولُه العربُ ، مجردُ كلام !!..
وشَهِدَ لك زعيمُ الشّرِّ ، بأنك بطلُ السلام !!..

يا عيْني .. تاهت الرؤيةُ .. فلا تنظري !!..

ياشراينَ عقلي .. اختلّت المعاييرُ .. فلا تُفكّري !!..
يا أحاسيسي .. تبلّدي .. ولا تشعُري !!..
يا أُذُني .. أصواتُ القنابلِ عاليةٌ .. فلا تسمعي !!..
يا بناتِ أفكاري .. لا تُدْرِكي .. ولا تَعي !!..

ياحضارتي .. لا تُذَكّريني .. فقد نَسيت !!..
ياوطنيَتي .. لا تُحرّكيني .. فقد شُفيت !!..
ياعروبتي .. ياخيبتي .. فمن أوهامِك قد عوفيت !!..

يا أصدقائي .. هل أنتم حقًا أصدقائي ؟!!..
يا أشقّائي .. ما دليلُ أنّكم أشقّائي ؟!!..
لم أعُدْ أُبْصر .. ولم أعُدْ أُفكّر ..
فبين أصدقائي وأشقّائي .. وجدتُ ألدَّ أعدائي !!..
الكلُّ يخدعُني .. الكلُّ يُفْزِعُني .. وما جنيتُ سوَى شقائي !!..

إلى أين أسير ؟!.. وكيف أسيرُ وأنا أسير ؟! .. وبمَنْ أستجير ؟!..
تُرَى .. هل بشقيقي الضّعيف الخائفِ الصغير ؟! ..
أم بعدُوِّي القويِّ المتجبِّر الكبير ؟!..
وفي هذا السّرابِ .. لا أدري إلى أين المصير !!..

الأمورُ مُشَوّشَةٌ .. فلا ندري .. لا ندري .. لاندري !!..
وبالخُطْوَاتِ السّريعةِ .. إلى الخلفِ نحن نجري .. وسوف نجري .. سوف نجري !!..

فلتكُنْ أُغنيتُنا الجديدةُ .. عَجَب .. عَجَب .. عَجَب !!..
يافرحتي !!.. فكلُّ قائد عربيٍّ قد احتجَّ واستنكرَ وشَجَب !!..
ولكنه عند مصيبتي نامَ واختفى واحتجب !!..
ياخيبتي !!.. فانطلاقُنا .. وكفاحُنا .. أصبح بمنطِق .. رمضان .. شعبان .. رجب !!..

إنّ أرضِي خرَّبوها .. وزراعاتي سمَّموها .. و أحلامي حطّموها .. والحقيقةُ غيَّبوها !!..
أيّها الناس .. افعلوا ما تُريدون .. سواءً تُصادِقون أو تُخادِعون !!..

يا أصدقائي .. يا ألدَّ أعدائي .. يا أشقّائي ..
إذا لم يُعجبْكم تاريخُنا .. فغيِّروه ..
وإذا لم يَرُقْ لكم نضالُنا فشوِّهوه !!..
وإذا اعترضَ شبابُنا فصَهْيِنوه .. صَهْيِنوه !!..
وامسحوا فكْرَه .. واغسلوه .. اغسلوه !!..
وإذا احتجَّ كاتبٌ أو صحفيٌّ .. فاسجنوه .. اسجنوه !!..
وإذا نطقَ أبو الهَوْل .. فاعتقلوه !!..
وإذا لم تستطيعوا .. فيُمكنُكم مع الآثارِ أن تُخَصْخِصُوه !!..

يا أصدقائي .. يا ألدَّ أعدائي .. يا أشقّائي ..
غيِّروا هدفِي وغَرَضِي .. مزِّقوا وِحْدَتي .. وسمِّموا أرضِي !!..
اقتلوا نَخْوَتي .. واهتكوا عِرْضِي !!..
ولن أُعارِض .. ولن أُفاوِض .. ولن أفترِض .. ولن أعترِض !!..
فمتى أَجَدْنا الافتراض ؟!.. ومتى أفلح الاعتراض ؟!..

ولْنكُفّ عن الشّجْب واللّوْم .. ولْنهْرَبْ من اليوم إلى النّوْم !!..
ولْنعْلَمْ أنّ أعظمَ الكِياسَة .. في البُعْد عن السياسة !!..

يا أصدقائي .. يا ألدّ أعدائي .. يا أشقّائي ..
هل أنا في حُلْم ؟!.. أم هَدّنيَ الظُّلْم ؟!..
هل أنا نائمٌ ؟!.. أم أنّني في سراب هائمٌ ؟!..
هل أعيشُ في وطني .. وبين عشيرتي ؟!.. أم أنّي وحيدٌ في غُرْبَتي ؟!..
هل تاهتْ هويَّتي .. واختفتْ عروبتي ؟!.. وعجزَ الإخوةُ عن نُصْرَتي ؟!..

كيف لكم ياعُرْبانُ أن تتركوني ؟!.. ورُسُلُ الشَّرِّ يُحاصروني ؟!..
ألا تَرَوْنَ هَدْمَ حدائقي ومنازلي ؟!.. ألا تسمعون صرخاتِ اليتامى والأراملِ ؟!..
أُقسمُ باليومِ والأمسِ البعيد .. وبروحِ الشهيدة والشهيد !!..
أُقْسمُ بشُهداء الأمسِ والغدِ .. ومهما زاد بَغْيُ المعتدي ..
فلن أتركَ الحجارةَ من يدي !!..
وأُقْسمُ باللهِ وبالدِّين .. وبأمجادِ صلاحِ الدِّين .. سأفتديك يافلسطين !!..

أمّا أنتم ياإخوتي .. يامَنْ تخلّيتم عن نجدتي .. ونسيتُم أنّ عزّتَكم من عِزَّتي ..
فإذا لم يأتني اليومَ نصرُكم .. فسوف يأتي غدًا دَوْرُكم !!..
وتظلُّ رءوسُكم مدفونةً في الرمالِ .. ومؤخّراتُكم تُضْرَبُ بالنِّعال !!..

فإن كنتم أعدائي .. فأغيثوني .. وإن كنتم أصدقائي .. أو أشقّائي ..
فأدركوني .. أو اقتلوني .. اقتلوني .. اقتلوني !!..

الإسلامُ دينُ رحمةٍ وليس دينَ إرهابٍ !!..

شاءت إرادةُ الله أن أكونَ في مدينةِ لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا الأمريكية عند وقوعِ الهجومِ على مركزِ التجارةِ العالميّ بنيويورك في الحادي عشرَ من سبتمبر، وتابعتُ الأخبارَ أوّلاً بأوّلٍ منذ وقوعِ الحدثِ المؤسفِ وحتى غزوِ أفغانستان .

وبدايةً ، إننا نأسفُ أشدَّ الأسفِ لما حدثَ من هجومٍ على مبنى مركزِ التجارةِ العالميّ وغيرِه من المنشآتِ المدنيةِ في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية ، رغم أننا نعارضُ تمامًا السياسةَ الأمريكيةَ التي تنحازُ إلى إسرائيلَ على طولِ الخط ، سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا ، وسببُ أسفنا نحن المسلمين ، أنّ الإسلامَ يحترمُ النفسَ الإنسانيةَ ويجعلُ لها حُرْمَتَها ، ويُحَرِّمُ الاعتداءَ عليها ، ويجعلُ ذلك من أكبرِ الكبائرِ ، وقد قرّرَ القرآنُ أنّ [مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا] .. وقال رسولُ الإسلامِ : (لا يزالُ الرجلُ في فُسْحَةٍ من دينه حتى يسفكَ دمًا حرامًا) وعندما كان أبو بكرٍ الصدّيق رضي الله عنه أميرًا للمؤمنين أوصَى زيدًا بنَ أبي سفيان حين أرسلَه إلى الشامِ فقال :" وإني موصيك بعشرٍ : لا تقتلَنَّ امرأةً ولا صبيًا ولا كبيرًا هَرِمًا ، ولا تقطعنَّ شجرًا ، ولا تُخَرِّبَنَّ عامرًا ، ولا تعقرَنَّ شاةً ولا بعيرًا إلاّ لمأكلَةٍ ، ولا تحرقَنَّ نخلاً ولا تُغرِقَنَّهُ ، ولا تغلُلْ ولا تَجْبُنْ " .

والإسلامُ لا يُجيزُ أبدًا القَتْلَ العشوائيَّ للناسِ الآمنين ، ولا يُجيزُ أن يُؤْخَذَ البريءُ بالمسيءِ ، والمظلومُ بالظالمِ ، والإسلامُ يُقرِّرُ أنه لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى .. وحدثَ أن رأى الرسولُ الكريمُ امرأةً مقتولةً في إحدى المعاركِ ، فأنكرَ ذلك بشدّةٍ

وقال : (ما كانتْ هذه لتُقَاتل) ! . ومعنى هذا أن الأصلَ في الحرب الإسلامية المشروعة ألاّ يُقْتَلَ فيها إلاّ من يُقاتلُ بالفعلِ ، ولا تُقْتَلَ امرأةٌ ولا شيخٌ ولا طفلٌ ، ولا راهبٌ في صومعته متفرّغٌ لعبادة الله .. ولذلك كان قَتْلُ آلاف الناسِ من المدنيين المسالمين الذين لا ذنبَ لهم ، ولا دخلَ لهم في اتخاذِ القرارِ السياسيِّ ، وهم يَسْعَوْنَ لكسب عيشهم ، كالذين قُتلُوا في هذه الانفجارات الفظيعة ، يُعْتَبَرُ في نظرِ الإسلام جريمةً كبيرةً .. والإسلامُ هو الدِّينُ الذي أعلنَ رسولُه أنّ امرأةً دخلتْ النارَ بسبب هرّة حبستْها حتى ماتت ، فكيف بالإنسان الذي كرَّمَه اللهُ في قوله تعالى : [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ] ؟!..

ونحن العربَ المسلمين أكثرُ الناسِ إحساسًا بمآسي القتلِ العدوانيِّ وآثاره على النفسِ والحياة ، ونحن نعاني منه كلَّ يومٍ في أرضنا المقدّسة فلسطين ، على يد الكيان الصهيونيِّ ، حيث تُهْدَمُ البيوتُ ، وتُحْرَقُ المزارعُ ، وتُزْهَقُ الأرواحُ ، وتُرَمَّلُ النساءُ وتُيَتَّمُ الأطفالُ ، حتى أصبحتْ الحياةُ في فلسطينَ في شبْه مأتمٍ دائمٍ ، ومع ذلك لم تتحرّك الضمائرُ لدى المتشدّقين بالحرية والدفاعِ عن حقوقِ الإنسانِ ، ولم يوجّهوا مجرَّدَ لَوْمٍ للمعتدين الصهاينة لما يرتكبونه من جرائمَ يندَى لها جبينُ الإنسانية ، ولا يمكنُ أن يمحوَها التاريخُ ، أو تنساها الأجيالُ .. ومما يُضحكُ ويُبكي في نفسِ الوقتِ أن المدافعين عن الحرية وحقوقِ الإنسانِ ، يتّهمون الشبابَ الفلسطينيَّ الأعزلَ بالإرهاب ، إذا ما تصدَّى للدبابات والرشاشات والطائرات بالحجارة .. ياَلَلظُّلم وياَلَلْعار !!

ولقد أدانَ بابا الفاتيكان حادثَ الهجومِ المسلّح على إحدى الكنائسِ في الباكستان ، ووصفَه بأنه وحشيٌّ ، ونحن نؤيدُه في ذلك ، ونستنكرُ العدوانَ على المصلّين في مكانٍ للعبادة لجميعِ الأديان ، ولكننا نقولُ أين كان صوتُ بابا الفاتيكان عند اعتداءِ الصهاينةِ على المصلّين في المسجدِ الأقصى ، وأين كان صوتُه أثناءَ الاعتداءات

الوحشيةِ المتكرِّرة على المدنيين في فلسطينَ وفي الشيشان ، وأين كان صوتُه في الاعتداءات الوحشيةِ على المدنيين من الأطفالِ والنساء والشيوخ في أفغانستان ؟!..

وأين كان صوتُه مما حدثَ من محاصرةِ كنيسةِ المهدِ في بيتِ لحمٍ وضربِها بالقنابلِ ، وانتهاك حُرمة كنيسة ميلاد المسيحِ ؟!..

ونقولُ لكلِّ من يدينُ العدوانَ في مكانٍ ولا يُدينُه في مكانٍ آخَرٍ : اتّقوا الله أيّها الناسُ ! فالأخلاقُ لا تتجزّأ .. والعدوانُ هو العدوانُ مهما كانت جنسياتُ ودياناتُ الأبرياء المُعْتَدَى عليهم ، وإذا تحيّزنا لفئة دون أخرى فلن يتحققَ العدلُ ولن يتوقّفَ العدوانُ .

وإنه من المستبعد تمامًا أن يقومَ بهذا العملِ الإجراميِّ الذي حدثَ في نيويورك ، أحدٌ من المسلمين ، لأن دينَهُ ينهاه عن قَتْلِ من لا ذنبَ له .. وحتى إذا فُرِضَ أنّ هذا وقعَ من مسلمٍ فنحن ننكرُه ولا نؤيِّدُه ، بل نُجَرِّمُه باسمِ الإسلامِ ، ونؤكِّدُ أنه يستحقُّ العقابَ الشرعيَّ الرادعَ .

ولا أدري لماذا يُتَّهَمُ الإسلامُ والمسلمون بالإرهاب ؟!.. والإسلامُ بريءٌ كلَّ البراءة من أيِّ إرهابٍ أو عدوانٍ !!.. إذا حدثتْ أيةُ انفجارات أو اعتداءات على الأبرياءِ في أيِّ مكانٍ ، نسبوه للمسلمين ، دون تقصٍّ دقيقٍ أو تحقيقٍ مستبينٍ .. ولقد سبقَ أن اتّهموا المسلمين بارتكاب الحادث الذي وقعَ في " أوكلاهوما " بأمريكا ، وراحتْ وسائلُ الإعلامِ الأمريكيةُ التي يسيطرُ عليها اليهودُ تشُنُّ حملةً ضاريةً على الإسلام والمسلمين ، وتتهمُهم بالتدميرِ والتفجيرِ ، ولقد خَيَّبَ اللهُ ظنَّهم ، واتضحَ من التحقيقات الدقيقة أن مرتكبَ هذه الجريمة مواطنٌ أمريكيٌّ مسيحيٌّ ، أي ليس عربيًا ولا مسلمًا .. وهنا أصيبَ الإعلامُ الأمريكيُّ بالخَرَسِ ، ولم يُتَّهَمْ مرتكبُ الحادث بالإرهابِ ، ولم تُتَّهمْ المسيحيةُ بالإرهابِ ، ولم تُتَّهمْ أمريكا بالإرهابِ باعتبارِ أنّها وطنُ

مرتكب الجريمة ، وهذا يتفقُ مع العقلِ والمنطقِ والعدل ، إذ أنّ المسيحيّة كدين لا ذنب لها إذا انحرفَ أحدُ أتباعها وارتكبَ مثلَ ذلك الحادث البشع ، فالمسيحيّةُ معروفةٌ بالسماحة والمحبّة ، ولا تدعو إلى الإرهاب ، وقد جاءَ في الإنجيل (مَنْ ضَرَبَكَ على خَدِّكَ الأيمن فأدرْ له خَدَّكَ الأيسرَ) ، فالجريمةُ التي ارتكبَها ذلك المسيحيُّ الأمريكيُّ لا تتحمّلُ وِزْرَها المسيحيّةُ ولا المسيحيون .. ولا تُتَّهمُ أمريكا بسببِ هذا الحادث بأنّها دولةُ إرهاب ... إنما لو أنّ أحدَ المسلمين ارتكبَ مثلَ هذا الحادثَ ، وقد يكونُ متطرّفًا أو مجنونًا أو مظلومًا ، فإنّ الدنيا ستنقلبُ على الإسلام والمسلمين ، وسيجعلُ الإعلامُ الأمريكيُّ والصهيونيُّ من ذلك مادّةً خصبةً للهجوم على الإسلامِ والمسلمين ، وسينضمُّ إليهم المنافقون والموتورون والجبناءُ من الشرقِ والغرب ، وسيُتَّهم مرتكبُ الحادث بأنه إرهابيٌّ ، ثم تُتَّهمُ دولتُه أيضًا بالإرهاب . وقد تكونُ هذه الأحداثُ والتفجيراتُ من أعمالِ غيرِ المسلمين ، فما أسهلَ أن يقومَ مجرمٌ بتفجيرِ أحد المنشآت المدنية أو التجمّعات ، ثم يتّصلُ تليفونيًا ليقولَ إنه المسئولُ عن هذا الانفجارِ ، وأنه من جماعة كذا الإسلامية ، ثم يتلقّفُ الإعلامُ المعادي للإسلامِ والمسلمين هذا البيانَ الْمُفْتَرَى والكاذبَ لإلصاقِ الإرهابِ بالإسلامِ والمسلمين .. ولو استعملَ الناسُ عقولَهم وحكّموا ضمائرَهم ، وحلّلوا المواقفَ تحليلاً دقيقًا ربما وجدوا الحقائقَ في غيرِ ما يسمعون وما يشاهدون في الإعلامِ المتحاملِ والمتحيّزِ لإعداءِ المسلمين .. وأسوقُ إليكم مثالين لِحَدَثَيْن أرجو أن تفكّروا فيهما بعقلانيةٍ وموضوعيةٍ وعدمِ انحيازٍ لأيّ طرفٍ من الأطراف ..

الحَدَثُ الأوّلُ : تلك الجريمةُ التي حدثتْ في مدينة الأقصرِ بمصرَ والتي راحَ ضحيّتها عددٌ من السيّاحِ الأجانبِ ، واتّضحَ أنه لم يكنْ بين هؤلاء السيّاحِ سائحٌ واحدٌ أمريكيٌّ أو إسرائيليٌّ ، وهذا على غيرِ العادةِ ، فمعظمُ الأفواجِ السياحيةِ كانت تضمُّ أمريكيين

وإسرائيليين .. فلمَ لا يكونُ مرتكبو حادث الأقصر عملاءَ للموساد وبتخطيط من المخابرات الإسرائيلية ، وبعلم المخابرات الأمريكية ، حتى يضعوا مصرَ في مأزقٍ حرجٍ ويضربوا السياحةَ في مقتلٍ ؟..

الحادثُ الثاني : هو الهجومُ المؤسفُ والمروّعُ الذي وقع على مبنى مركز التجارة العالميِّ بالولايات المتحدة الأمريكية ، والذي نأسفُ له أشدَّ الأسف ، كما يأسفُ له كلُّ إنسانٍ له ضميرٌ ويُقدِّرُ المشاعرَ الإنسانيةَ .. قيل إنّ هذا المبنى يعملُ فيه حوالي أربعةُ آلافٍ من اليهود ، وأنّهم جميعًا (أو معظمُهم) كانوا خارجَ المبنى عند وقوعِ الهجوم ، فكيف يُفسَّرُ هذا الأمرُ ؟!.. ألا يُحْتَمَلُ أن يكونَ للموساد الإسرائيلي يدٌ في هذه الكارثة المروِّعة لكي تُسْتَعْدَى أمريكا على المسلمين ؟؟.. ولو سلّمنا جدلاً بأن مرتكبي هذا العملِ الوحشيِّ من المسلمين ، فهل يبيحُ ذلك أن تُلْقَى التُّهمُ جزافًا ، وأن يُنْسَبَ هذا العملُ للإسلام والمسلمين ، وأن يكونَ مبرّرًا للاعتداء على الشعب الأفغانيِّ كلّه في حربٍ شرسةٍ وغيرِ متكافئةٍ بكلِ المقاييس ، بحجّة القضاءِ على الإرهاب ، أو القبضِ على أسامة بن لادن .. وحتى لو ثبتَ أن لابن لادن يدًا بشكلٍ أو بآخرَ ، هل يكونُ من العدلِ أن يتحمّلَ شعبٌ بأسرِه ذنبَ جريمةٍ هو بريءٌ منها ؟؟!!..

وإذا كنا ننكرُ على مرتكبي هذا الحادث العدوانيِّ البشعِ ، معاقبةَ الشعبِ الأمريكيِّ كلّه على ما اقترفَهُ بعضُ ساستهم في نظرِهم ، فإننا في نفسِ الوقتِ ننكرُ على الإدارةِ الأمريكية ، وعلى الشعبِ الأمريكيِّ أن يُدينَ الإسلامَ والمسلمين كافَّةً بذنب أفرادٍ منهم " هذا لو ثبتَ ذلك " ، فكلُّ امرئٍ بما كسبَ رهينٌ . والإسلامُ الذي يُبيحُ للمسلمين ردَّ العدوان يأمرُهم بعدمِ الاعتداءِ ، وفي هذا يقولُ اللهُ تعالى : [وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] .

إنّ هذا الحادثَ الفظيعَ لا يُفيدُ عربيًا ولا مسلمًا ، بل إنه يُشوِّهُ صورةَ الإسلامِ إذا

كان قد ثبت أنه صدر عن مسلم .. والمستفيدُ الأكبرُ من هذا الحادث هو إسرائيلُ التي استغلّتْ انشغالَ العالم بهذه المأساة لتضاعفَ من ضرباتها للفلسطينيين ، ولتكثّف قصفها ، وتمارسَ قتْلَها الجماعيَّ للشعب الفلسطينيِّ المحاصرِ عسكريًا واقتصاديًا .

كما أنّ هذا الحادثَ يُؤذي ملايينَ المسلمين الذين يعيشون في أمريكا ، والذين أصبحوا جزءًا لا يتجزأُ من المجتمع الأمريكيِّ ، وهم يُساهمون بجهودهم وأعمالهم في خدمة المجتمع الأمريكيِّ ، كما يجتهدون أن يُقدِّموا صورةَ مشرِّفةً للإسلامِ الذي يدعو بالحكمة والموعظة الحسَنَة ، والحوارِ بالتي هي أحسنُ ، ومثلُ هذا العملِ البشعِ يُشوِّشْ عليهم دعوتَهم ويعوقُ مسيرتَهم .

إنّ كلّ الأخبارِ تُشيرُ إلى أنّ أمريكا كانت تخطّطُ لضربِ أفغانستان ، قبل حادث الهجوم على مركزِ التجارةِ العالمي بشهورٍ .. وإذا كانت حجةُ أمريكا القضاء على أسامة بن لادن ، فما ذنبُ العراقِ والسودان لتهدّدَهما أمريكا بالضربِ بعد أفغانستان ؟!.. لقد أعلن المسئولون العسكريون في أمريكا أثناء غزو أفغانستان أن أمريكا بدأت الحربَ العالميةَ على الإرهاب ، وأن غزوَ أفغانستان هو جزءٌ صغيرٌ من هذه الحرب . إذن كانتْ هناك نيّةٌ مبيّتةٌ لدى الإدارة الأمريكية لفرضِ سيطرتها على العالم كلّه بحجة محاربة الإرهاب . ولقد حذّرَ الرئيسُ المصريُّ حسني مبارك الولايات المتحدةَ من الاندفاعِ في شنّ هجمات عسكرية يُقْتَلُ فيها أُناسٌ أبرياءٌ ويستفيدُ منها المتشدّدون الإسلاميون ، ودعا مبارك أيضًا في مقابلة مع صحيفة لوفيجارو الفرنسية إلى عقد اتفاقية دولية يلتزمُ الموقّعون عليها بعدمِ إيواء الإرهابيين أو تمكينهم من الانتقال بحرية . وأضاف قائلاً :" إذا نفّذتم هجومًا على أفغانستان أو بلد آخر في قائمتكم للدولِ المارقة فإنكم ستقتلون الكثيرَ من الأبرياء .. تمامًا كما قتلَ الإرهابيون الكثيرَ من أبناء شعبكم " . واستطردَ قائلاً : " لا تلعبوا لعبةَ عدوِّكم . إنّهم يريدون

أن يأتيَ انتقامُكم سريعًا .. ومن الدَم والخراب الذي يُسببُه قصفُكم سيصرخُ جيلٌ جديدٌ من المتشدّدين مُطالبًا بالانتقام من الولايات المتحدة " . وحثَّ مبارك واشنطن على البحثِ عن دليلٍ قويٍّ يُدينُ المسئولين عن الهجمات التي وقعتْ في الحادي عشرَ من سبتمبر ، ودمّرتْ مركزَ التجارة العالميِّ في نيويورك وجزءًا من البنتاجون في واشنطن ، ويُعتَقَدُ أنّها أودتْ بحياة أكثر من ٦٨٠٠شخص . وقال مبارك : " أن يقومَ طيارٌ مقاتلٌ بإطلاق صواريخَ على جبلٍ في أفغانستان فإن ذلك لن يُساعدَ. إنه لن يهدمَ أبدًا الجبلَ فوق الكهف الذي يختبئُ فيه قائدُ الإرهاب". والرئيسُ المصريُّ مبارك دائمًا ما يكونُ ذا بُعْد نظرٍ قبل أن تتلاحقَ الأحداثُ ، وقد سبقَ أن حذّرَ الرئيسَ العراقيَّ بعد احتلال الكويت ، وكرّرَ تحذيراته ونصائحَه بانسحاب القوات العراقية ، ولم تستجبْ القيادةُ العراقيةُ فوقعَ العراقُ في الفخ الذي نُصبَ له ، ومازال الشعبُ العراقيُّ البريءُ وسيظلُّ يُعاني على مدى عشرات السنين القادمة .. وكذلك عندما يُحذّرُ الرئيسُ مبارك من العدوان الأمريكيِّ على شعب أفغانستان كلّه بجريرة أفرادٍ ، وقبل أن تتأكّدَ التحقيقاتُ من هويّة مرتكبي حادث نيويورك وواشنطن ، وبعدم استجابة واشنطن لهذه التحذيرات والنصائح فإن الولايات المتحدةَ تخسرُ كثيرًا مهما حققتْ من انتصاراتٍ عسكرية في أفغانستان ، لأنّها ستُواجَهُ بكراهية شعبيةٍ عالمية ، وستفقدُ مصداقيتَها في ادّعاءاتها أنّها تدافعُ عن حقوق الإنسان .. وإذا لم تتداركْ الأمرَ قبل فوات الأوان ، فلن يكونَ مصيرُها أقلَّ من مصير ألمانيا النازيّة والاتحاد السوفييتي والامبراطورية البريطانية التي غرُبَتْ عنها الشمسُ . وتكونُ هذه الأحداثُ بدايةَ النهاية للطائر الذي ارتفعَ ، والذي كما ارتفعَ لابدّ سوف يقع !.. وإذا كانت بريطانيا قد وقفت كأكبرِ حليفٍ للولايات المتحدة فهذا ليس لسواد ولا لزُرقة عيون الشعبِ الأمريكيِّ ، ولكن لأنّها تسعى لتحقيق عدة أهداف منها :

١ -الثأرُ والانتقامُ من الشعب الأفغانيِّ الذي طردَ جيوشَها من أرضه شرَّ طرْدَة .

٢- استعادةُ مجد من أمجادها التي تهاوتْ بانهيارِ مبراطوريتها التي انزوَتْ عنها الشمسُ

٣- توريطُ الولايات المتحدة في معاداة شعوب العالم لها وتعريضُ مصالحها في العالم للخطرِ حتى لا تظلَّ أمريكا الحاكمَ الأوحدَ والقوةَ العظمى الوحيدةَ في العالم .

ويرى الكثيرون أن على الإدارة الأمريكية أن تراجعَ نفسَها في موقفها المنحازِ دائمًا لإسرائيلَ المعتدية والمستكبرةِ في الأرضِ بغيرِ الحق ، ولابد للإدارة الأمريكية أن تنظرَ نظرةً عادلةً في مأساة الشعب الفلسطينيِّ ، الذي أُخْرِجَ من داره وشُرِّدَ من أرضه ظلمًا وعدوانًا ، والذي مازالت تُنتَهَكُ حُرُماتُه ، وتُدنَّسُ مقدّساتُه ، ويُقتَلُ أبناؤه ، وتُدمَرُ بيوتُه ومنشآتُه .. ورغم أننا نُكرِّرُ أسفَنا واستنكارَنا لما حدثَ من عدوانٍ على المنشآت المدنية في نيويورك ، إلاّ أننا نرجو أن يكونَ هذا درسًا للإدارة الأمريكية لكي تُعيدَ حساباتها ، فليس هناك أبلغُ من الأحداث الكبيرة في إحياء النفوس ، وإيقاظ الضمائر وتغيير المواقف إلى ما هو أفضلُ وإلى ما هو أقربُ إلى العدلِ و [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الأَبْصَارِ] !!..

هذا المقالُ نقلتُه من شبكة الإنترنت عن قناة الجزيرة التليفزيونية ، التي حظيتْ باهتمام واحترام شعوب العالم العربيِّ والإسلاميِّ ، والتي أصبحَتْ قناةً عالميةً بجميع المقاييس ، لما تنشرُه من حقائقَ ، واحترامها للرأي والرأي الآخَر .. وهذا الموضوعُ أنقلُه عن قناة الجزيرة دون أية إضافةٍ أو حذفٍ ، وهو كما يلي :

تزايدُ أعداد معتنقي الإسلام في أمريكا بعد الهجمات

أكّدَ مجلسُ العلاقات الإسلامية الأمريكية " كير " ومقرُّه واشنطن أن عددَ معتنقي الإسلام في الولايات المتحدة ، تزايدَ أربعَ مرّات منذ الهجمات التي استهدفتْ نيويورك وواشنطن (الشهرَ الماضي) ، على عكسِ ما يُروِّجُ له اللوبي الصهيونيُّ هناك .

واستندَ مسئولو " كير " في تقييمهم هذا إلى مقالٍ نشرتْه صحيفةُ " نيويورك تايمز " في عددها الصادر (الثلاثاء) تحدّثتْ فيه كاتبتُه عن إقبال الأمريكيين على اعتناق الإسلام بعد هجمات الشهر الماضي (سبتمبر) ، وذكرَتْ أن بعضَ الخبراء الأمريكيين يُقدّرون عددَ الأمريكيين الذين يعتنقون الإسلامَ سنويًا بـــ ٢٥ ألف شخصٍ . وعزا " كير " تزايدَ الإقبال على اعتناق الإسلام في هذه الفترة إلى مبادرة كبار السياسيين الأمريكيين وفي مقدّمتهم الرئيسُ جورج بوش بزيارة المساجد ولقاء زعماء مسلمي أمريكا ، وحثّ الأمريكيين على معاملة جيرانهم المسلمين باحترامٍ ، مما دفعَ مئات المساجد إلى فتح أبوابها أمامَ عشرات الآلاف من الأمريكيين ، " الأمرَ الذي فتحَ شهيةَ الأمريكيين للقراءة عن الإسلام والتعرّف إليه " . وأكّدتْ المصادرُ أنه منذ ذلك الوقت تصدّرتْ الكتبُ التي تترجمُ معاني القرآن قوائمَ الكتب الأكثر مبيعًا في المكتبات

الأمريكية .

وجاءتْ تصريحاتُ مسئولي مجلسِ العلاقات الإسلامية الأمريكية ردًا على محاولة إحدى كبريات منظمات اللوبي الموالي لإسرائيلَ في الولايات المتحدة – اللجنة اليهودية الأمريكية – للتقليلِ من أعداد المسلمين الأمريكيين عندما أصدرَتْ هذه اللجنةُ (الاثنينَ الماضي) تقريرًا يزعمُ أن عددَ المسلمين داخلَ الولايات المتحدة مُضَخَّمٌ بعدّة ملايين . وأوردَتْ وكالةُ أسوشيتد برس قولَ مديرِ اللجنة اليهودية الأمريكية ديفيد هاريس إن اللجنةَ قرّرتْ إصدارَ هذا التقريرِ بعد أحداث الحادي عشرَ من سبتمبر / أيلول الماضي . وأشارتْ الوكالةُ إلى أن هذا هو الوقتُ الذي بذلَ فيه الرئيسُ بوش جهودًا غيرَ مسبوقة للوصول إلى مسلمي أمريكا ، وأضافَ هاريس أنه يأملُ في أن " تُلْقِيَ الدراسةُ الضوءَ على أعدادِ المسلمين الفعلية ، وأنا متأكّدٌ من أن ذلك سيكونُ في مصلحة العديدين في الولاياتِ المتحدة " .

الجديرُ بالذّكرِ أنه يعيشُ في الولاياتِ المتحدة حوالي سبعةِ ملايين مسلمٍ .

ولا تعليقَ لي على ما جاءَ بهذا الموضوع إلاّ بذكرِ قولِ الله تعالى : [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] صدق اللهُ العظيم .

مُسَلْسَلُ اضْطِهَادِ الْمُسْلِمينَ في الْهِنْدِ !!

سبق أن كتبتُ منذ عامين في الجزء الأوّل من هذا الكتاب (صَرْخَاتٌ مَكْتُومةٌ) مقالاً بعنوان (مذابحُ المسلمين في الهند) .. والآن أكتبُ هذا المقالَ بعد أن قرأتُ في جريدة (لوس أنجلوس تايمز) الصادرة يوم الاثنين الرابع من مارس عام ٢٠٠٢م " أثناء وجودي في كاليفورنيا " مقالاً يُوضِّحُ استمرارَ مسلسلِ اضطهادِ المسلمين في الهند ، الذي يدورُ على مسمعٍ ومشهدٍ من العالمِ كلّه ، في صمتٍ رهيبٍ وسلبيّةٍ مهينةٍ من المتشدّقين بالدفاعِ عن الحريّة وحقوقِ الإنسانِ ، وكذلك من سائرِ المسلمين وحكّامهم ، الذين شغلتهم الدنيا ، وأسكرتْهم الكراسيُّ والعروشُ ، وحجّمَتْ أدوارَهم قوَى البغيِ والشرِّ العالميةُ ، وأجبرتْهم على الاختباءِ في الشقوقِ ، يُغمضون أعينَهم ، ويسدُّون آذانَهم ، ويُخرِسون ألسنتَهم ، ويدفنون رءوسَهم في الرمالِ ، وكأنّهم لا يروْن ما يحدثُ للمسلمين من اضطهادٍ ومذابحَ ، ولا يسمعون صرْخاتِهم التي تَهتزُّ لها السماءُ وترتجفُ منها الأرضُ ، ولا ينطقون بكلمةِ لوْمٍ أو احتجاجٍ أو استنكارٍ ، ولا حتى بالشجبِ الذي كانوا قد اعتادوا علي إبدائه في الماضي .. ويبدو أنه لم يعُدْ في إمكانهم اليومَ حتى أن يشجبوا أو يحتجّوا أو يستنكروا أو ينتقدوا ، حتى لا تتهمَهم قُوَى الشرِّ الكبرى بالإرهابِ أو مساندةِ الإرهابيين !!

وسأترجمُ لكم أيها القرّاءُ بإيجازٍ ما قرأتُه في جريدةِ (لوس أنجلوس) عما يحدثُ ببشاعةٍ للمسلمين في الهندِ .. كان عنوانُ المقالِ كما يلي :

اتّهاماتُ العنفِ المنسَّقِ في الهند

بقلم : باول واتسون " أحد كتّابِ التايمز "

كادي — الهند .. إنّ الناسَ يعرفون جيرانهم تمامًا في مدينة صغيرة ، وبحوالي خمسين نسخةً من القرآن تحوّلتْ إلى رمادٍ في المسجد هنا ، فإنّ المسلمين يعرفون تمامًا منْ الذين انتهكوا الحُرُمات !

إنّ " خادم كاسام بابو " الذي يحمي المقبرةَ المقدّسةَ للمسلمين في ضواحي "كادي" ، يقولُ : إنّ "رامش باتل" عضو مجلس المدينة الهندوكي ، كان قائدَ العصابة الإجراميّة التي دنّسَتْ ذلك الموقعَ في هجومٍ منفصلٍ يومَ الجمعة . وإنّ "عباس باثان" المحامي ، وقائدَ الجالية الإسلاميّة ، قد وجّه اللومَ إلى "باتل" وبعضِ المؤيّدين في الجناح اليميني لجماعة أبرشيّة " فيشْوَا الهندوكيّة " لسلسلة حوادث الإحراق المتعمَّد للمباني في الهند الغربيّة ، منذ أن انفجر عنفُ العصابة الإجراميّة الأسبوعَ الماضي . ويُنكرُ "باتل" وجماعتُه أن لهم أيَّةَ علاقةٍ بهذه الهجومات ، ولكن "جريش باتل" خرّيجَ الحقوق بجامعة هارفارد ، وواحدًا من محامِي حقوقِ الإنسانِ في الهند ، ليس لديه شكٌ في أنّ عنفَ القتلِ المنظَّمِ في أنحاءِ ولاية "جوجارات" كان باشتراكِ المسئولين في الحكومة ، وقال المحامي "باتل" في مقابلةٍ يوم الأحدِ في " أحمد أباد" العاصمة التجاريّة للولاية : (إنني أعرفُ من مصادرَ مختلفة أنه كانت هناك تعليماتٌ بعدمِ اتّخاذِ أيِّ إجراء ، وقال (إذا ذهبتَ إلى أيِّ مكانٍ حيثُ يُقتَلُ الناسُ وحيث تُنهَبُ الممتلكاتُ ، فإنّ رجالَ البوليسِ كانوا بالقربِ ، ولم تُتّخذْ أيّةُ إجراءات .) !

إنّ "باتل" نفسَه ، وهو محامٍ هنديٌّ ويمارسُ المحاماةَ وأستاذٌ للقانونِ على مدى أربعين عامًا ، لجأ إلى بيتِ أحد أصدقائه بعد تلقّيه تَهديدات متكررة بسببِ كلامه ضدَّ الاضطراب ، وقال : (إنني أتلقّى تَهديدات كلَّ يومٍ ، ويقولون : أنت مسلمٌ . وكثيرٌ من الناسِ قالوا لي : لمَ لا تذهبُ إلى باكستان ؟! وهذا مُمكنٌ ، ولكن سينتهي الأمرُ بي إلى السجنِ ، لأني سأظلُّ أدافعُ عن عامّةِ الناسِ .)

لقد ادّعت حكومةُ "جوجارات" أنّ البوليسَ وقوّات الجيشِ قد وضعتْ العنفَ

تحت السيطرة ، رغم أنه كانت هناك تقاريرُ عن حوادثَ متقطّعة . وحتى رغمَ أن أحدَ الوزراء ، ويُدعَى "كريشنا أدفاني" قد زار "أحمد أباد" ليعرضَ حلولَ الحكومةِ الفيدراليّة ، فإنّ الذين يحرقون المباني عمدًا قد أشعلوا النارَ في أحد مساجدِ المدينة . وقتلَ الغوغاءُ المهتاجون أكثرَ من خمسمائة من الأفرادِ منذ الأربعاء ، عندما أشعل المسلمون النارَ في قطارٍ يحملُ هنودًا ، ذلك الهجومُ الذي أسفرَ عن مقتلِ ثمانٍ وخمسين من الأفراد ، وأثار أسوأَ عنفٍ هنديٍّ شيوعيٍّ خلال عشرِ سنوات . وقال الناجون إنّ جماعةً من أكثرِ من ألفٍ من المسلمين قد نفّذوا هجومًا منظّمًا دون إثارةٍ بعد مغادرةِ قطارِ البريد مباشرةً للمحطة في مدينة " جُضهرا "

تقاريرُ متناقضةٌ عن مصدرِ الهجوم على القطارِ

ولكن عددًا من التقارير تقولُ بأن شهودَ العيان قالوا : إن الهنودَ أثاروا المتاعبَ بترديد الشعاراتِ العدوانية ، وبرفضهم أن يدفعوا أثمانَ الأطعمة التي اشتروْها من النساء المسلمات . وبعد ساعات قليلة من مذبحة " جُضهرا " قال رئيسُ الوزراء " أتال بَهاري " : (بناءً على تقاريرَ تمهيديةٍ ، إنه يبدو أن القطارَ قد تمّ إيقافُه ، ربما بسببِ الشعاراتِ التي كانت تُدوّي في القطارِ) . وكان الكثيرون من ضحايا حريقِ القطارِ من مؤيِّدي جماعة **VHP** العائدين من المدينة الهندية الشمالية " أيوضهيا " حيث كانت الجماعةُ تُهدّدُ بتحدِّي أمرِ المحكمة ، وبناءِ المعبدِ الهنديِّ الذي أرادوا إنشاءَه في موقعِ مسجد " باباري " الأثريِّ ، الذي دمّره المتطرّفون في ديسمبر عام ١٩٩٢ ، كما يُهدّدون بإثارة الغوغاء من الاشتراكيين في أنحاء الهند ، والتي قتلتْ ما بين ألفين وثلاثة آلاف شخصٍ . وقال " بائان " قائد الجالية المسلمة : إن" كاري " مدينةٌ على بُعد ٢٥ كيلومترًا شمالَ غربِ مدينة " أحمد أباد " قد أفلتتْ من وطأة اضطرابات الأسبوعِ الماضي ، وقام أعضاءُ لجنة الأمنِ الهنودُ بإشعال النارِ في اثنين من سائقي الشاحناتِ

المسلمين ، ولكنهما نجيا من الهجوم . وقال " باثان " أيضًا : لقد دمّروا ونهبوا كلّ محلّ يملكُه مسلمٌ ، رغم أن شوارعَ المدينة كانت مهجورةً يوم الأحد ، وكانت الجاليةُ الأقلّيةُ المسلمةُ مازالت مرعوبةً وقد بدا لهم أن الأمرَ الأسوأ قد انتهى !

وعندما بلغ العنفُ ذُروتَه في مدينة " كاري " قامت جماعةٌ أخرى من الغوغاء الهنود بإشعال النيران في مقبرةٍ مقدّسة للمسلمين ، وحطّموا الموقعَ الذي لم يُمَسَّ لمدّة قرنين من الزمان . ولقد اتّهم باثانُ " بابو بَهاي كاشوال " قائد جماعة VHP المحلية بقيادة مجموعة من الشاحنات حول المدينة والقُرى القريبة ، وحشد الهنود وتحريضهم ضدّ المسلمين من خلال مكبّرات الصوت . وقال "باثان" : لقد رأيتُه يفعلُ ذلك كلّ يوم ، وكان يقولُ في نداءاته : (في هندستان "الهند" لو كان من المفتَرَض أن يعيشَ الهنودُ والمسلمون معًا ، فلابدّ أن يكونوا تابعين لنا) . ولقد أنكر " كاشوالا " عملَ أيِّ شيء غيرَ إمداد الفقراء من الهنود والمسلمين على حدٍّ سواء بالمساعدات الطبّيّة . وقال " كاشوالا " : إننا نقدِّمُ الخدمةَ فقط ، ونفى أن له أيّةَ صلة بالهجوم على المسلمين أو على أماكنهم المقدّسة . وقال "فيشوا بَهاي باتل" : (إنّ المسلمين أحيانًا يحرقون مساجدَهم بأنفسهم ثم يتّهمون غيرَهم) . ومن جانبه اعترض "رامش باتل" عضو مجلس المدينة ، على اتّهامه بقيادة حوالي ثمانمائة من الغوغائيين الهنود في الهجوم الأوّل الأسبوعَ الماضي ، على مقابر المسلمين بضواحي المدينة . ولم يكن "باتل" في البيت . ولكن عند عودته الساعة التاسعة مساءً أصرَّ على أنه كان قوّةً من أجل السلام . وقال في محادثة تليفونية : (أنا لا أذهبُ إلى أيِّ مكانٍ على الإطلاق ، إنني أبقى فقط في منطقتي لتهدئة كلّ فردٍ ، وأنا لا أحرِّضُ أحدًا) .

رمادٌ من القرآن على مِنبر الإمام

وفي حركات هياجٍ وعربدةٍ عامَ ١٩٩٢ دمّروا مسجدَ " كادي " الصغيرَ المُنشأَ في

القرنِ التاسع عشر ، وقد أُعيد بناؤه ، والآن أُتْلفتْ الجدرانُ الداخليةُ للمسجد بسبب النيران الناجمة عن احتراق سجاجيد الصلاة ونسخ القرآن الكريم ، وكان رمادُ العديد من الكتب المقدّسة باقيًا على المنبر الرخاميِّ وعلى درجاته ، حيث يخطبُ الإمامُ كلَّ جمعة . وفي مدينة " أحمد أباد " فإن عمليات السّلب والنهب والهجوم والإحراق المتعمَّد للمباني على المسلمين كانت منظَّمةً ومنسَّقةً تمامًا ، وهذا ما قاله "باتل" محامي حقوق الإنسان ، وقال أيضًا : (لقد اختاروا بدقة ممتلكات المسلمين ودمّروها وقال "باتل" : إنّ من بين البراهين على ذلك ، حقيقةَ أنّ من قاموا بعمليات السّلب والنّهب والإحراق العمْد للمباني ، كانوا يعرفون تلك المباني ، مثل الفندق المحلّي ومحلٍ منفرد مملوك للمسلمين ، ويشكُّ "باتل" في أنّ عمليات الهجوم التلقائية كان يمكنُ أن تكونَ بهذه الدّقة التامّة من حيث أهدافُها ، وقال : إنّ صديقًا قديمًا له من المسلمين طلبه وهو في حالة ذُعرٍ ورُعبٍ بعد منتصف ليلِ الأربعاء ، وهو أسوأُ أيام الشّغب والهياج في مدينة " أحمد أباد " ، ليطلبَ النجدةَ والمساعدةَ لأنّ الهنودَ المحتشدين كانوا يحاصرون بيتَه ، وقال "باتل" إنه أجرى عدّةَ اتّصالات تليفونية في محاولاتٍ يائسة ، ليُقنعَ رجالَ البوليس بإنقاذ صديقه وعائلته ، وأخيرًا اتّصل بالمفوّضِ "مندوبِ الحكومة" الذي قال عنه المحامي : إنه رجلٌ ممتازٌ وواحدٌ من القلائلِ بلا جدالٍ ، وقال المفوّضُ : إنه لا يستطيعُ عملَ شيء لأن رجالَ البوليس كانوا على درجةٍ عاليةٍ من التشيّع .. وأخيرًا أطلق ضابطٌ واحدٌ طلقةً مسيلةً للدّموع ، لإبعاد الغوغاء عن بيتِ صديقِ "باتل" المحامي . ولقد أعاد المحتشدون تجمّعَهم ولكنّهم لم يقتلوا الرجلَ الذي هرب في اليوم التالي . ولم يكن "إحسان جيفري" أحد أعضاء البرلمان السابقين محظوظًا ، فقد مات في تلك الليلة مع أحد عشرَ من أقاربه في النيرانِ المشتعلة بمنزله ، بعد أن حاول أن يُبعدَ المحتشدين بإطلاق النارِ من مسدّسه في الهواء .

(ناشر هذا التقرير : سيدهارثا باروا، من مكتب نيودلهي تايمز) .

وواحسرتاه !! ووامصيبتاه !! وواحزناه !! على الأمانة والأمجاد التي تركها لنا المجاهدون الأوّلون ، فضيّعَها المسلمون المعاصرون ! بتخاذلهم وجُبْنهم وتفرّقهم وتمزّقهم ، وحرصهم على الدنيا الزائلة ، التي باعوا من أجلها الآخرة ورضوانَ الله ، وابتغَوْا الدنيا ورضوانَ الشيطان ، وكأنّهم في الدنيا خالدون ! فما أتفهَ ما به يتمسّكون ! وما أرخصَ ما له يكسبون ! وما أعظمَ الجُرْمِ والخزيِ والعارِ الذي فيه يعيشون ! وما أعصبَ مواقفهم التي سيُواجهون ، يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون !!

إنّ العَيْنَ لتدمعُ ، وإنّ القلبَ ليجزعُ ، لما عنه نقرأُ ونسمعُ ، من هذه الحملاتِ الشّرسة والمذابحِ البشعة والاعتداءاتِ الصارخة ، على المسلمين في كلّ مكانٍ يُقالُ فيه لا إلهَ إلاّ اللهُ محمدٌ رسولُ الله !

أيها المسلمون المعاصرون ، والقادةُ المتخاذلون ، ومع الأعداء متحالفون ، وعن الحقِّ ساكتون ، والله إنكم أمام الله لَمُحاسَبون ، ويومَ الحساب سوف تندمون !! وليتكم تتذكّرون أنّ الأعمارَ في الدنيا محسوبةٌ ، والآجالَ في النهاية محتومةٌ ، والأعمال في الصحف مكتوبةٌ ، ولن تنفعَكم كراسيُّكم ، ولن تشفعَ لكم عروشُكم ، ولن تفديَكم أموالُكم ! ولن تحميَكم من الحسابِ جيوشُكم ! فإلى متى أنتم نائمون ؟! ومن أعدائكم تخافون ؟! وعن قولة الحقِّ تخرسون ؟! وعن نجدة أخوانكم في الله لا تتحرّكون ولا تساندون ؟! ولرءوسكم في الرمالِ تدفنون ؟! وأُذكّرُكم أيضًا بأنّ الأكفانَ ليس لها جيوبٌ ! ويومَ القيامة لن تخفى على الله العيوبُ !!.. فبادروا بتصحيحِ مواقفكم ، ووحّدوا صفوفَكم ، واستعيدوا مروءتَكم وشجاعتَكم ، واحموا أوطانَكم وعقيدتَكم قبل أن يسرقَكم الزمانُ ، ويفوتَ الأوانُ !!..

المقاطعةُ .. هي أضعفُ الإيمانِ !!..

إلى أصحاب الصّرخاتِ المكتومةِ من الشرفاءِ ، الذين تئنُّ قلوبُهم من الألمِ ، وتضيقُ صدورُهم من الحسرةِ والنّدمِ ، لما يَرَوْنَ ويسمعون من البغيِ والعدوانِ الذي تُشنُّه قُوَى الشرِّ والفسادِ الذين طَغَوْا في البلادِ ، وأكثروا فيها الفسادَ ، وزادوا في الظلمِ والاضطهادِ .. وراحوا يعتدون ويقتلون ويُخرِّبون ، ولمنازلِ الآمنين يُدمِّرون ، ولعظامِ الشبابِ يكسرون ، وللمساجدِ والكنائسِ يُحاصرون ويهدمون ، ولمئاتِ المقابرِ الجماعيةِ يحفرون ، وللأحياءِ فيها يدفنون .. دون وازعٍ من أخلاقٍ أو ضميرٍ أو دينٍ ، كما يَرَوْنَ قادةَ العربِ المتخاذلين والخائفين على الأموالِ والكراسيِّ والعروشِ !!...

أقولُ لهؤلاءِ الصارخين ، كفانا الصراخُ والعويلُ ، وكفانا المظاهراتُ والهتافاتُ ، فلم تَعُدْ هناك لدى الكثيرين من القادةِ العربِ آذانٌ تسمعُ ، ولا قلوبٌ تخشعُ ولا عيونٌ تدمعُ ، ولا وجوهٌ تكسوها حُمرةُ الخجلِ !!.. ورحمةُ اللهِ على العروبةِ ونخوتِها ، وعلى الأصالةِ ومروءتِها ، والخلافةِ ومسئوليتِها !!..

أقولُ للصارخين ، فلنتذكّرْ قولَ الرسولِ صلى اللهُ عليه وسلم : (**مَنْ رَأَى منْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**) .

فإذا كانت الأيادي مغلولةً ، والأفواهُ على الألسنةِ مقفولةً ، فليس أمامنا إلاّ التغييرُ بالقلبِ الذي هو أضعفُ الإيمانِ !!..

والتفسيرُ المناسبُ لأضعفِ الإيمانِ لا يكونُ بالصّمتِ المطْبَقِ ، والعجزِ عن الحركةِ ، بل إنّ التغييرَ بالقلبِ يُمكنُ أن يكونَ أقوى من استخدامِ السلاحِ ، وأمضَى من

الصراخ والمظاهرات والهتافات ، التي لم تَعُدْ تُؤثّرُ في الطغاة المعتدين ، ولا في بعض القادة العرب المتخاذلين !!.. فقط يجبُ أن نعلمَ كيف نُطبّقُ الوسيلةَ الثالثة من الحديث الشريف التي هي أضعفُ الإيمان ، والتي تتجلّى معانيها في المقاطعة الحاسمة والشاملة لجميع منتجات المعتدين ، ولنعلمْ بأنَ الشركات الأمريكيةَ واليهوديةَ المتخفّيةَ تحت المسمّيات المختلفة ، تُمدُّ إسرائيلَ بالأموال التي تستخدمُها في ذبح أبنائنا في فلسطينَ ، فكيف يستقيمُ الأمرُ لنا إذا استمررنا في التعامل مع هذه الشركات ؟!..

إنّ الزّعيمَ الهنديَّ الراحلَ " غاندي " استطاع أن يهزمَ الاستعمارَ الإنجليزيَّ بسلاح المقاطعة لجميع البضائع الإنجليزية عندما استجاب الشعبُ إلى دعوته بالمقاطعة ، وكان ذلك من أهمِّ العوامل التي حققتْ الاستقلالَ للهند !!.. فلماذا لا نستعملُ هذا السلاحَ ، وبكلِّ صدقٍ وحزمٍ ، حتى لو لم نجدْ بديلاً لبضائع المعتدين ، بل إننا بذلك نُشجّعُ منتجاتنا الوطنيةَ التي أرهقتها منافسةُ المنتجات الأجنبية ؟؟.. ولابدَّ من المقاطعة التامّة والفورية ودون تسويف ، لجميع المنتجات اليهودية والأمريكية ، ولْنَثقْ في أنَّ مقاطعتَنا ستُغلقُ شركات أمريكيةً أو يهوديةً ، وستفتحُ شركات مصريةً أو عربيةً ، كما ستتيحُ فُرَصَ العملِ للكثيرين من العاطلين .. وتذكّروا أنّ شركةَ " كوكا كولا العالميةَ " الأمريكيةَ نشرتْ عبر الإنترنتْ إعلانًا لملايين البشرِ حول العالم ، تُعلنُ عن سلعتها على قُبّة الصّخرة في القُدْسِ ، وتَحُثُّ المستهلكَ بأن يشربَ كوكا كولا ويساندَ إسرائيلَ ، وشركةُ ماكدونالدز للأكلات السريعة خصّصتْ عائداتها من مبيعات يوم السبت من كلِّ أسبوعٍ للحكومة الإسرائيلية ، لدعمها أمام ما أطلقوا عليه " العنفَ الفلسطينيَّ " .. أَبَعْدَ ذلك يطيبُ للبعض أن يتعاملَ مع مثل هذه الشركات ؟؟!!.. إنني أكادُ أجزمُ بأنَ هذا التعاملَ صار اليومَ حرامًا على كلِّ مسلمٍ

ومسيحيّ ، وقد رأى الإخوةُ المسيحيون حصارَ قوّات إسرائيل لكنيسة المهد في بيت لحم بفلسطينَ ، موقع ميلاد المسيح عليه السلامُ ، مما يُثبتُ أنّ اليهودَ أعداءٌ للمسلمين والمسيحيين على السواء ، بل لجميع البشر من غير اليهود .. وأقولُ لأصحاب الصرخات المكتومة من المناضلين الشرفاء ، سواءً في العالم العربيِّ أو الإسلاميِّ ، أو الأوروبيِّ أو الأمريكيِّ .. فلْنبدأْ الآن وفورًا مقاطعةَ جميع الشركات الأمريكية واليهودية .. وأقولُ للإخوة الشرفاء من الأثرياء ورجال الأعمال ، إنّ عليهم واجبًا كبيرًا في إنجاحِ هذه المقاطعة ، وذلك بإيجاد البدائلِ للسلعِ التي نقاطعُها ، بإنشاء شركاتٍ ومصانعَ جديدة ، تملأُ السوقَ المصريةَ والعربيةَ بالسلعِ البديلة والتي لا تقلُّ جودةً عن السلعِ الأجنبية ، ولكي نفتحَ فرصًا جديدةً للعملِ للعمالة التي ستتوفّرُ بعد مقاطعة الشركات الأجنبية ..ويوجدُ فعلاً بعضُ السلعِ والمطاعمِ الوطنية المصرية البديلة مثل رقائقِ البطاطسِ التي تُنتجُها شركةُ (يوني فود) المصرية ، التابعةُ للاتحاد الاستثماريِّ ، بديلاً لمنتجات (شيبسي) الأجنبية ، وكذلك مطاعمُ (مؤمن) المنتشرةُ فروعُها في القاهرة وغيرُها ، ويُمكنُ أن نستبدلَ المثلجات الأجنبيةَ بالمشروبات الطبيعيةِ الوطنية كعصائرِ الليمونِ والبرتقالِ والقصبِ ومشروبات العرقسوس والخرّوبِ والتمرِ هندي والكركديه والسوبيا ، وهي مشروباتٌ تُفيدُ ولا تضرُّ ، وهي في نفسِ الوقتِ اقتصاديةٌ .. ولنعلمْ بأننا لن نموتَ إذا قاطعنا تلك المنتجات والسلعَ الأجنبيةَ ، بل سنموتُ باستمرارنا في تشجيعها !!..

وأقدِّمُ فيما يلي لجميعِ المناضلين الشرفاءِ الذين سيشاركون بجدّيةٍ ووعيٍ وبروحِ المسئولية والجهاد ، في حملة المقاطعة ، بيانًا بأسماء الشركات والمنتجات التي يجبُ مقاطعتُها فورًا ، نقلاً من إعلانٍ وقع في يدي ، نشرته مجلةُ التوحيد ، كجهادٍ في سبيلِ الله ، ولو بأضعفِ الإيمانِ ، وعلى الشركات البريئة أن تُثبتَ براءتَها وتُعلنَ عن ذلك :

١- شركة فودز مصر : (تستي فودز) ومنتجاتها : (بسكويت سا مبا – شيكولاتة خام كوفرتورة – كراتيه (الأصلي) – دراكولا – شيتوس – فن لايز – سمعة – كرانشي – كيت كات KitKat – تشكلتس) .

٢- شركة لاميرت: هولز – تشيكليس – آدمز – كلورتس – سناكس .

٣- شركة هوستس : توينكيز – هوهوز – كاب كيك – رولز .

٤- منتجات شركة كادبوري .

٥- منتجات حدائق كاليفورنيا للمعلبات .

٦- منتجات روكي : (بسبوسة – جيلي – أم علي)– جيوسي – جيني كولا – بفرلي هيلز .

٧- شركة صافولا : ومنتجاتها : (سمنة روابي – بنت البلد – الشمس الذهبية – فيرن – شيراتون – زيت عافية ، وجميع منتجاتها) .

٨- شركة بيبسي كولا : ومنتجاتُها : (ميراندا – تيم – سفن آب (كلمة بيبسي معناها : ادفع كلَّ بنسٍ حتى تُنقذَ إسرائيلُ) .

(Pay Every Peny To Save Israil)

٩- شركة ليفر مصر : ومنتجاتُها : (شاي ليبتون – صابون لوكس – جود مورننج – لانج – أومو) .

١٠- شركة كوكا كولا : ومنتجاتُها : (كوكا كولا – فانتا – اسبرايت) .

١١- بروكتر جامل اليهودية : ومنتجاتُها : (حفاضات أطفال بامبرز Pampers – فُوَط صحية – أولويز – مسحوق إيريال ARIEL – تايد – صابون كامي – صابون زِسْتْ Zest – زيت شامبو بيرت بلاس

١٢- - بانتين - هايد آند شولدرز - بالموليف - سيجنال ٢ - كولجيت - كلوس أب - كريست - جالاكسي - ماتس فاكتور - شاور تو شاور - برفان هوجو - سائل فيري) .

١٣- شركة جونسون واكس : ومنتجاتُها : (أقراص ناموس ريد - ريد للحشرات)

١٤- المطاعمُ الأمريكيةُ : ومنتجاتُها : (ماكدونالدز - أربيز - بيتزاهت Pizza Hut - كنتاكي KFC - أمريكانا- تكا - تشيلز - ماك بيرجر- Lays - هارديز - فريديز - بيتزا ليتل - سيزو جان آند نابوكس - آي آند دبليو - كاتيز - باسكن - رويتر - ومبي - دومينوز بيتزا - تكساس)

١٥- شركةُ كوداك: ومنتجاتُها :(كاميرات تصوير - أفلام تصوير كوداك) .

١٦- شركة بطاريات شحن : ومنتجاتُها : (إفر إدي - إنَرْ جَيْزَرْ - ديو راسيل) .

١٧- ماكينات التصوير : ومنتجاتُها : (جميع منتجات شركة زيروكس - وأدوات كتابية ماركة شيفر - باركر - ماركة هاير) .

١٨- اتصالات المحمول : نوكيا NOKIA - موتوريلا - الكاتل .

١٩- شركة نايك NIKE للملابسِ الرياضية - ملابس باور رينجرز - كات - أديدس .

٢٠- شركة جنرال إليكتريك : جميع منتجاتها الكهربائية .

٢١- شركات سجائر : مارلبورو - كِنْت - ميريت - جولد كوست - إل إم - مور - كارلتون .

٢٢- شركة هاينز : (صلصة – كاتشب) كرستال (ميونيز – كاتشب) .
٢٣- البنوك : أميركان إكسبريس – أمريكا الدولي – سيتي بنك أوف أمريكا – بنك أوف نيويورك – البنك المصري الأمريكي .
٢٤- شركة جونسون : جليد – شاوت – ريد – كرين جونسون – تكتار وافون – ريندون – جودانا .
٢٥- ثلاجات وبوتاجازات : وايت ويستنجهاوس – ألاسكا – كليفيناتور .
٢٦- أجهزة تكييف : وستنجهاوس – يونيون إير – فيلكو – ميراكو – جيبسون دايكن – أدميرال – هارموني .

ولقد أصدر الرئيس محمد حسني مبارك قرارًا جريئًا وشجاعًا بمقاطعة إسرائيلَ اقتصاديًا ، كما أعلن فضيلةُ الإمامِ الأكبرِ شيخ الأزهرِ في مؤتمرٍ دينيٍ عقدته جامعةُ الأزهرِ بمقاطعة المنتجاتِ اليهودية والأمريكية ردًا على المذابحِ التي تُمارسُها إسرائيلُ ضد المسلمين في فلسطينَ أطفالاً وشيوخًا ونساءً .

وأقولُ لأصحاب الصرخاتِ المكتومة وأصحابِ الضمائرِ الحيّة ، ومنظماتِ حقوقِ الإنسانِ في أنحاءِ العالمِ ، ولجميعِ الهيئاتِ والنقاباتِ والجمعياتِ ، ولربات البيوتِ ولجميعِ المواطنين المصريين والعربِ والمسلمين والمسيحيين ، وخاصةً المغتربين منهم ، أن يُشاركوا بصدقٍ وحزمٍ في هذه المقاطعة والدعوة لها .. حتى لو انسحبتْ إسرائيلُ من الأراضي التي احتلتها ، فإنّ الجرائمَ التي ارتكبتها لا يمكنُ أن تُنْسَى ولا يمكنُ أن تمرَّ دون عقابٍ ، وحتى لو تراجعتْ أمريكا وأيّدتْ الحقوقَ الفلسطينيةَ ، لأنّ كلَّ جريمة ارتكبتها إسرائيلُ ، لم تحدثْ إلاّ بمباركة أمريكا ومساندتها وانحيازِها الكاملِ لإسرائيلَ ، كما أقولُ لهم : إذا أدّيتم واجبَكم وقمتم

بدوركم الإنسانيّ في استخدامِ سلاحِ المقاطعة ، فأنتم شركاءُ في الجهادِ المقدّسِ وسيكونُ ظهرُ الأرضِ خيرًا لكم من بطنِها ، أما إذا تراخيتم في أداءِ هذا الواجبِ وتخاذلتم ، فأنتم شركاءُ للعدوِّ وآثمون أمام اللهِ ، وسيكونُ بطنُ الأرضِ خيرًا لكم من ظهرِها !!..

وإذا كان شعارُهم الدمويُّ : (**ادْفَعْ دُولاَرًا تَقْتُلْ عَرَبِيًا**) ..فلْيَكُنْ شعارُنا السِّلْميُّ : (**قاطِعْ مُنْتَجًا يَهُودِيًا أو أَمْرِيكِيًا تُنْقِذْ مُسْلِمًا**) !!..

لقد طَالَ انْتظَارُكَ يَا صَلاَحَ الدِّين !!..

إن ما واجهتْه وما تواجهُه الأمَةُ الإسلاميةُ في أواخرِ القرن العشرين وأوائلِ هذا القرن الحادي والعشرين ، قد فاقَ كلَّ تصوُّرٍ ، من تحدّيات بالغة واعتداءات صارخة وتكتلات ظالمة ، من أعداء الإسلامِ والمسلمين ، والتي تجلّتْ صورُها بوضوحٍ وجلاء في تحالفِ الصليبيين الجدُد واليهودِ الصهاينة والملحدين ، من شتى أنحاء العالم في نسيان خلافاتهم العقائدية والعرقية والمذهبية والسياسية ، والتغاضي عن مظاهرِ العداء الشديد الذي كان بينهم ، والاتفاق على شنِّ حملاتٍ شرسة وحروبٍ ضروسٍ على كلِّ التجمعات والتكتلات والهيئات الإسلامية في كلِّ مكان .. فقد رأوْا جميعُهم خطرًا شديدًا يتهددُهم من ازدهارِ ونموِّ الوعيِ الإسلاميِّ واتساعِ مداه ، وإقبال أعداد هائلة من مواطني الدولِ المختلفة على اعتناقِ الإسلام ، كما رأوْا خطرًا عظيمًا آخرَ يهدِّدُ أنظمتَهم الاقتصاديةَ التي تقومُ على نظام الرِّبا الفاحش ، بظهورِ الاقتصاد الإسلاميِّ الذي يقومُ على أسسِ التعاونِ والخيرِ لكلِّ الناسِ ، ويقضي على الجشعِ واستغلال حاجة الإنسان .

وراحوا يؤلِّبون حكوماتِ بعضِ الدول الإسلامية ويحرِّضونَها على ضرب المنظمات والهيئاتِ والشركاتِ الإسلامية ، والقضاء عليها واتّهام أصحابها بالنصب والاحتيالِ ، ثم مصادرةِ أموالهم وأرصدتهم وممتلكاتهم بحجة المحافظة على أموال المساهمين والمودعين في هذه الهيئات والشركات ، وللأسف نجحتْ هذه الفتنةُ وخُدعَتْ بها الحكوماتُ في بعضِ الدول الإسلامية ، وقضتْ بذلك على مصدرٍ من مصادرِ الخيرِ الكبيرِ الذي كان سيعمُّ المجتمعات الإسلاميةَ بتنامي النظامِ الاقتصاديِّ الإسلاميِّ ، والذي كان يمكنُه القضاءُ على الجشعِ والاستغلال الذي يتجلّى في النظامِ الاقتصاديِّ

الرّبويّ ، الذي يعرّضُ التجارةَ للكساد ويهدّدُ التجار باحتمالات الإفلاس ، والذي يهدمُ قاعدةً أساسيةً من قواعد الإسلام ، وهي تحريمُ الرّبا والنهيُ عن التعامل به بين المسلمين امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله : [وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا] وقوله تعالى : [يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً] وقوله تعالى : [يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا] .

وبعد أن نجحتْ الحملةُ على الاقتصاد الإسلاميّ ، بدأتْ حملاتٌ جديدةٌ أخرى على الإسلامِ والمسلمين ، وراحوا ينشرون الفتنَ والشائعات الكاذبةَ بين الدول الإسلامية للإيقاع بينهم ، واختلاق الخلافات على الحدود وتحريض البعضِ على البعضِ الآخَرِ .. ونصبوا الفخاخَ للمخدوعين بوعودهم الكاذبة ، كما حدث مع العراق حينما حرّضوه على غزو الكويت ، وأضاءوا له النورَ الأخضرَ ، وادّعَوْا أنّهم لن يتدخلوا في مشكلة العراق مع الكويت باعتبار أنه نزاعٌ بين عربٍ وعربٍ ، وخُدِعَ العراقُ بوعودهم الكاذبة ولم يُدركْ مكرَهم الخبيثَ ونيّتَهم السيّئةَ المبيّتةَ .. ولما تم غزوُ العراق للكويت واستيلاؤه بالكامل عليه ، راح الخبثاءُ الماكرون الذين أضاءوا النورَ الأخضرَ للعراق للغزو ، وأكّدوا له حيادَهم ، راحوا يمثّلون دَوْرَ المدافعين عن الحرية وحقوق الإنسان والشعوب المقهورة ، والرافضين للعدوان ، وبدأوا يطالبون العراقَ بالانسحاب من الكويت وإلاّ فإنه سوف يُجْبَرُ على الانسحاب ، وراحوا ينصبون بقيةَ شباكهم لإيقاع الدول العربية والإسلامية في مستنقع هذه المؤامرة الدنيئة ذات الأهداف الخبيثة المستترة ، وأقنعوا بعضَ الدول العربية بالمشاركة في إزالة العدوان العراقيّ على الشعب الكويتيّ " المظلوم " .. ويبدو أن مصرَ بحسِّها السياسيِّ الخبيرِ المدرك لأبعاد المؤامرة وبقيادتها الواعية ذات النظر البعيد ، راحتْ تحذّرُ العراقَ

وتنصحُه بضرورة الانسحاب حتى يفوِّتَ على المتآمرين الفرصةَ لتحقيق أهدافهم ، ولكن يبدو أن العراقَ لم يعتقدْ أو يُصدِّقْ جدّيةَ التهديدات الموجّهة إليه ، خاصةً وأن الذين يهددونه هم الذين أضاءوا له النورَ الأخضرَ للغزو .. وركبتْ القيادةُ العراقيةُ رأسَها ورفضتْ الانسحابَ ، واستغلَّ المتآمرون هذا العنادَ ليُظْهِرُوا للعالم أنهم طرقوا كلَّ الأبواب السلمية لإقناع العراق بالانسحاب من الكويت ، وأنهم سيكونون معذورين إذا استخدموا القوةَ لإجبار العراق على الانسحاب ، وراحوا يطالبون المجتمعَ الدوليَّ بالتحالف والمشاركة في المعركة بحجة الدفاع عن الشعب الكويتِّي . فسارعَ الحاقدون والموتورون وكذلك المخدوعون من العرب ، يؤيدون المتآمرين بل ويشاركون ببعض جيوشهم في ذلك التحالف الخبيث الذي ضمَّ حوالي ثمان وعشرين دولةً ، لضرب العراق وإجباره على الانسحاب من الكويت .. وبدأ الرئيسُ الأمريكيُّ الأسبقُ " بوش الأبُ " يرتدي مسوحَ الرهبان ، ويمثّلُ دَوْرَ المنقذ والمدافع عن الضعفاء .. وراح يُطبِّق المثَلَ الإنجليزيَّ الماكرَ ، الذي يقولُ : اضربْ رأسَ الثعبان بيد عدوِّك .. فهو لا يريدُ أن يُضحّيَ بجنوده الأمريكيين بأن يُقحمَهم في حرب قد يترتبُ عليها خسائرُ في أرواح الجنود الأمريكيين ، فقد أخذَ درسًا مما حدث معهم في حرب فيتنام ، وأثناء تدخلهم في الصومال .. واعتمدتْ خططُهم الماكرةُ على وضع الجيوش العربية المتحالفة معهم ، في الخطوط الأمامية المواجهة للجيش العراقيِّ حتى يتجنبوا الخسائرَ في جنودهم ، الذين وضعوهم في الخطوط الخلفية ، وراحتْ القواتُ المتحالفةُ الأمريكيةُ والأوروبيةُ تشنُّ الهجمات الجويةَ بمئات الطائرات بقصف جويٍّ مكثّف شرس ، حيث دمّروا المنشآت العسكريةَ والاقتصاديةَ وحتى المدنيةَ ، وقتلوا الآلافَ العديدةَ من العسكريين والمدنيين الأبرياء ، ولما وجَّه العراقُ بعضَ الصواريخ إلى إسرائيلَ ، وفكّرتْ إسرائيلُ في الردِّ نصحَهم " بوش " بعدم الردِّ حتى لا يؤثِّرَ ذلك على تحالف الدول العربية معهم واشتراكهم في ضرب الجيش العراقيِّ .. وخرجَ

الجيشُ العراقيُّ من الكويتِ مُجْبرًا ، ولم يكتف المتآمرون بانتهاء احتلال العراق للكويت وعودة الأسرة الحاكمة والحكومة الكويتية إلى وطنهم ، ولكن بدأتْ تتضحُ النيّاتُ الخبيثةُ التي تَهدفُ إلى القضاء على العراق قضاءً مبرمًا حتى لا يُشكّلَ خطرًا أو تَهديدًا لأمنِ إسرائيلَ ، الحليف الأول لهم في منطقة الشرق الأوسط ، فراحوا يدّعون بأن لدى العراق أسلحةً للدّمار الشامل ، وهو بذلك يُهدّدُ الدولَ العربيةَ المجاورةَ بالاعتداء عليهم كما يهدّدُ أمنَ إسرائيل ، وبهذه الحجة استطاعوا أن يُخوّفوا الدولَ والإمارات العربيةَ المجاورةَ ، وأن ينشروا القوات الأمريكيةَ في مواقعَ استراتيجية هامّة في هذه البلاد ، وخاصّةً حولَ مناطق استخراج البترول ، واستطاعوا بمكرهم أن يصوّروا احتلالَهم لهذه المناطق بأنه تواجدٌ للدفاع عن هذه الدول ، وأصبح على حكوماتها أن تتكفّلَ بمرتبات قوات الاحتلال ونفقات أقامتهم ، مما أدّى إلى إرهاق ميزانيات هذه الدول وتدهور اقتصادياتها .. ولم يُدركْ القادةُ العربُ أبعادَ المؤامرة في التوقيت المناسب ، مما خلقَ صورةً جديدةً من صور المعارضة التي لم تكنْ مألوفةً من قبلُ بين الكثيرين من أفراد هذه الدول العربية التي وقعتْ تحت الاحتلال الجديد لبعض أراضيهم ، وقد تمكّنَ المحتلّون من ترسيخ أقدامهم ، والسيطرة على مصادر الثروة في هذه الدول ، الممثّلة في البترول ، والتحكّم في تقدير كميّات إنتاجه .. وأصبح من المتعذّر على هذه الحكومات العربية أن تطالبَ القوات المحتلّةَ بالجلاء عن أراضيهم ، مما ضاعفَ من حالات الغضب الشّعبيِّ ، وازدياد قوّة الأصوات المعارضة للاحتلال الأجنبيِّ .

ورغمَ هدوء الجوّ بين العراق وجيرانه بعد انتهاء الحرب المدمِّرة التي شنَّها الخبثاءُ على العراق ، إلاّ أنّهم ظلّوا يقصفون العراقَ بين الحين والآخَر ، وفرضوا عليه حصارًا اقتصاديًا قاسيًا تسبَّبَ في نقص الغذاء والدواء مما أدَّى إلى وفاة المليون من الأطفال ،

وتسميم الأجواء العراقية الملوّثة بآثار الأسلحة المحرّمة دوليًا ، والنفايات النووية التي أغرقوا العراقَ بها .. وقيل إن هذا التلوّث ستظلُّ آثارُه إلى مئات السنين القادمة .. وهذا القصفُ المتكرِّرُ للعراق يهدفُ إلى أمرين ، الأمرُ الأوّلُ هو إقناعُ الدولِ العربية التي يحتلون أراضيها ، بأن العراقَ مازال يُشكّلُ تهديدًا لهم ، حتى يستمرَّ الاحتلالُ والاستنزافُ لثرواتهم .. والأمرُ الثاني هو الدفاعُ عن إسرائيلَ بالقضاء على قوّة العراق قضاءً تامًا حتى لا تقومَ له قائمةٌ في المستقبل ، وحتى لا يُشكّلَ تهديدًا لأمنِ إسرائيل ، لأن اليهودَ يؤمنون بنبوءة تقولُ إن فناء إسرائيلَ والقضاءَ على دولتهم سيكونُ على أيدي جيوشٍ تأتيهم من العراقِ للقضاء على عُلُوِّهم الكبيرِ الثاني والأخيرِ ، بعد أن قضتْ الجيوشُ القادمةُ من بابلَ " العراق " على دولتهم الأولى التي أسَّسها داودُ وسليمانُ عليهما السلامُ .. ويقولُ القرآنُ الكريمُ في هذا : [فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا] " ٧ الإسراء " .

ولم تتوقفْ مؤامراتُ أعداء الإسلامِ والمسلمين عند هذا الحدّ ، بل راحتْ تتعدَّدُ وتتشعَّبُ في أماكنَ كثيرةٍ من العالمِ ، فانقضُّوا على المسلمين في كوسوفو والشيشان ، وراح الدُّبُّ الروسيُّ الملحدُ يقصفُ ويُدمِّرُ وينسفُ ويقتلُ المسلمين في الشيشان المسلمة ، ووقفَ المنافقون من الأوروبيين والأمريكيين يتفرّجون ، وخرستْ ألسنةُ المتشدِّقين بالدفاعِ عن الحرية وحقوق الإنسان ، وكأن المسلمين ليسوا من بني الإنسان !!.. ولم يتحرّكوا للدفاع عن الشيشان كما تحرّكوا للدفاع عن الكويت .. لماذا ؟ لأن الشيشانَ ليس بها بترولٌ كما في الكويت .. إذن ، فالدفاعُ عن الكويت لم يكنْ دفاعًا عن المبادئ ، إنما كان دفاعًا عن المصالح .. وللأسف الشديد فإن موقف العربِ والمسلمين من قضية الشيشان لم يكنْ على مستوى المسئولية التي تتطلّبُها

الأُخُوَّةُ الإسلاميةُ التي أقرَّها القرآنُ الكريمُ في قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ] .

وأحدثُ مظاهرِ المؤامرةِ على الإسلامِ والمسلمين ، العدوانُ الذي شنَّه الغربيون على الشعبِ الأفغانيِّ ، بحجةِ الانتقامِ من مرتكبي حادثِ الاعتداءِ على مبنى مركزِ التجارةِ العالميِّ بنيويورك في الحادي عشرَ من سبتمبر من العامِ الأولِ للألفيةِ الثالثةِ .. وبحجةِ القضاءِ على الإرهابِ ، وراحتْ أمريكا تُحرِّضُ دولَ العالمِ الموتورةَ والمعاديةَ للإسلامِ والمسلمين ، وتدعوهم للتحالفِ والمشاركةِ في ضربِ أفغانستان ، والقضاءِ على نظامِ حكومةِ " طالبان " وتنظيمِ " القاعدة " الذي يتزعَّمه " أسامةُ ابنُ لادن " الذي اتّهموه بالتدبيرِ للهجومِ على مركزِ التجارةِ العالميِّ في نيويورك ، وعلى مبنى " البنتاجون " بواشنطن ، رغم إعلانِ " أسامة ابن لادن " والمسئولين في حكومةِ " طالبان " عن عدمِ مسئوليتِهم أو اشتراكِهم أو علْمِهم بذلك الحادثِ ، أو معرفتِهم للمدبِّرين له .. وطالبوا أمريكا بإظهارِ أيِّ دليلٍ على اتّهامهم ، ولكن أمريكا لم تُقدِّمْ دليلاً واحدًا على صدقِ اتّهامهم .

والحقيقةُ المفقودةُ والسِّرُّ الغامضُ الذي لا يعرفُه الكثيرون من المخدوعين ، هو أن الولاياتِ المتحدةَ الأمريكيةَ كان لها بعضُ الأهدافِ الاقتصاديةِ في وسَطِ القارّةِ الآسيويةِ ، وخاصّةً مناطقِ البترولِ ، وأجْرَتْ المخابراتُ الأمريكيةُ بعضَ الاتصالاتِ مع المسئولين في حكومةِ " طالبان " للموافقةِ على مدِّ خطوطٍ لأنابيبِ البترولِ عبرَ أفغانستان ، ووعدوهم بإغراقِهم بالأموالِ ، وأنّهم سيضعون تحتهم"سجّادةً من ذَهَبٍ " إذا تعاونوا معهم في هذا الأمرِ ، وفي نفسِ الوقتِ ألْمَحَتْ المخابراتُ الأمريكيةُ أنّ العكسَ سيكونُ إذا رفضوا التعاونَ معهم ، وأنّ رفضَهم التعاونَ ربما يُؤدّي إلى القضاءِ

على حركتهم وإنهاءِ وجودهم .. ولكنَ المجاهدين الأفغانَ رفضوا مطالب المخابرات الأمريكية وتهديداتهم ، فأوغرَ ذلك صدورَ الأمريكيين تجاهَ حكومة "طالبان" وأضمروا لهم الشرَ . وكان ذلك قبل حادث الهجوم على مركزِ التجارة العالميّ بنيويورك بعدَة شهورٍ .. ولما وقعَ ذلك الحادثُ ، انتهزتْها أمريكا كفرصة ذهبية لتنفيذ أهدافها ، واتخذتْ ذلك الحادثَ ذريعةً للانقضاض على أفغانستان ، بحجة محاربة الإرهاب . ولقد قرأتُ بنفسي خبرًا في جريدة "ذي نيو فيدراليست" الصادرة يوم الخامسِ من نوفمبر ٢٠٠١م في لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا ، نقلاً عن جريدة "لوفيجارو" الفرنسية ، ويقولُ الخبرُ إنّ "بن لادن" كان يُعالَجُ في المستشفى الأمريكي في " دُبَيّ" في الفترة ما بين الرابعِ والرابعِ عشر من يوليو ٢٠٠١م ، وأن أحدَ رجالِ المخابرات الأمريكية CIA التقى به في المستشفى ، وأجرى معه بعضَ المباحثات .

واستطاعت الإدارةُ الأمريكيةُ أن تُقنعَ الحاقدين على الإسلامِ من الشرقِ والغربِ بالتحالف والمشاركة في ضربِ أفغانستان ، وشارك الروسُ الملحدون رغبةً في الثأرِ من الشعبِ الأفغانيِّ الذي طردهم من أرضه ، كما شاركتْ بكلِّ حماسٍ انجلترا انتقامًا أيضًا من أفغانستان التي طردتْهم وحطّمتْ أحلامَ الإنجليز فيها .. وحتى اليابان التي ضربتها أمريكا بالقنابلِ الذّرية ونسفتْ ومَحَتْ مدينتيْ " نجازاكي وهيروشيما " وقتلتْ الآلافَ المؤلّفةَ من الشعبِ اليابانيِّ ، في الحربِ العالمية الثانية ، نَسيَتْ أو تناستْ ما فعله الأمريكيون بشعبها ، وراحت تتحالفُ مع أمريكا ضدّ أفغانستان التي لم تُسئْ إلى اليابان بأيَّة صورةٍ من الصورِ ، وكان من المُتصَوَّر أن يرفضَ الشعبُ اليابانيُّ المشاركةَ في ضربِ الأبرياء ، لأنه أكثرُ الشعوبِ إدراكًا وإحساسًا بالظلم في ضربِ الأبرياء والمدنيين بعد الكارثة التي حلّتْ بشعبِهم بسبب ضربِهم بالقنابلِ الذّرية وآثارها ..ولا

ندري كيف تبلّدتْ أحاسيسُهم وماتت ضمائرُهم !!..

ومن أكثر ما يُثيرُ الغرابةَ والاشمئزازَ والخزيَ والعارَ ، أن بعض الدول الإسلامية ساعدتْ أمريكا والمتحالفين معها بالسماحِ لهم بإنشاء القواعد العسكرية التي تضربُ منها أفغانستان ، مثل باكستان التي تخاذلَ حكّامُها في مساعدة الشعب الأفغانيّ ضدَ العدوان ، وسيعلمُ حكّامُ باكستان إن شاء اللهُ عاجلاً أو آجلاً ، أنّ اللهَ سيُديرُ عليهم الدوائرَ ، ويسلّطُ عليهم الأعداءَ الذين تحالفوا معهم ، ويضربونهم في عُقْرِ دارِهم ، ويتحالفون ضدَّهم مع الهنودِ أعدائهم .. ومما يُثيرُ الأسى والخجل أن بعضَ الدولِ العربيةِ سمحتْ للقوّات الأمريكيةِ والإنجليزية الجاثمة على أراضيها وللسفنِ والأساطيلِ التي ترسو على سواحلها ، بإجراءِ المناورات والتدريبات لشنِّ العدوانِ على الشعبِ الأفغانيِّ المسلمِ ، الذي يُدافعُ عن أرضِه وشرفِه ودينِه ، ولم يعتدِ على أحدٍ .

ومما يزيدُ المسلمين خجلاً وحُزنًا أن بعضَ المتمرِّدين والمنافقين من الشعبِ الأفغانيّ ممن يُسمُّون أنفسَهم بتحالف الشمالِ ، الذين كانوا على خلافٍ مع حكومة " طالبان " راحوا يُؤيِّدون ويُساعدون الأمريكيين والمتحالفين معهم ضدَّ أبناءِ شعبهم وإخوتهم في الإسلامِ ، طمعًا في الحكمِ والسُّلْطة التي وعدَهم بِها الأمريكيون ، وخدعهم المعتدون وجعلوهم في المواجهةِ أمامَ قوّات " طالبان " حتى لا تكونَ الخسائرُ في الأرواحِ في قوّات المعتدين .. وكان هذا الموقفُ المشينُ للتحالف الشماليّ الأفغانيّ يُعتبَرُ خيانةً كبيرةً بكلِّ المقاييسِ ، خيانةً لشعبهم ، وخيانةً لوطنهم ، وخيانةً لدينهم .. إذ أنهم تناسَوْا قولَ الله تعالى :[إنَّ اللهَ يُحبُّ الَّذينَ يُقَاتلُونَ في سَبيله صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ]" ٤الصف" وقولَه تعالى : [وَقَاتلُوا في سَبيلِ الله الَّذينَ يُقَاتلُونَكُمْ

وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] " ١٩٠ البقرة "

كما تناسى هؤلاء المنافقون الذين ساندوا المعتدين على إخوانهم ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي موسى :(الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) " حديث ٢٥١٣ النسائي "
وقوله عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ (يَدُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَيُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ وَيَرُدُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَقْصَاهُمْ) " حديث ٢٦٧٥ ابن ماجة " وقوله عليه الصلاةُ والسلامُ عن سَعْد : (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ) " حديث ٣٩٣١ ابن ماجة " وقوله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده لَقَتْلُ مُؤْمِنٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا) !

هؤلاء المنافقون الذين ساعدوا المعتدين واشتركوا معهم في غزوِ إخوانهم المسلمين ، وغدروا بالأسرى الذين استسلموا لقوّات تحالف الشمال ، وقتلوهم خيانةً وغدرًا ، وسلّموا بعضَهم لأعدائهم ، قد نَسَوْا قولَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم عن سليمانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عن أبيه :(اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تُمَثِّلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا) " حديث ٢٢٤٦ أبو داود" وقولَ الله تعالى :[وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) !

ولن ينجوَ هؤلاء المنافقون الغادرون من عقاب الله لهم في الدنيا والآخرة ، وقد بدأتْ بالفعلِ تدورُ عليهم الدوائرُ ، فقد سلّطَ اللهُ عليهم الأعداءَ الذين تحالفوا معهم

ضدَّ إخوانهم ، فطالبوهم بالخروج من العاصمة "كابول" لوضعها تحت إشراف القيادة الإنجليزية ، تحت غطاء ما يُسمَّى بالإشراف الدوليّ .. أي أنّ الأمل قد تلاشى أمام الخونة الطامعين في السُّلطة والحكم ، ويكونون بذلك قد سلّموا وطنهم للحكم الأجنبيِّ وأضاعوا استقلالَهم وكرامتَهم ، وخانوا إخوانَهم ودينَهم .

إنّ التاريخَ يُعيدُ نفسَه ، ففي الماضي شنَّ الغربيون حملاتهم على الشرق الإسلاميِّ باسم المسيحية وتحت شعار الصليب ، وأطلقوا عليها اسمَ الحروب الصليبية ، والمسيحيةُ منهم براءٌ .. وقيَّضَ اللهُ لهم البطلَ صلاحَ الدّين الأيّوبيَّ فهزمهم وخلّصَ المسلمين من شرورهم ..

أما هذه المرّةُ التي يتعرّضُ المسلمون فيها لحروبٍ أكثرَ شراسةً وأشدّ حدَّةً ، فلا توجدُ قيادةٌ عربيةٌ أو إسلاميةٌ على مستوى صلاحِ الدّينِ ، لتُرهبَ الأعداءَ ، وتتصدَّى لعدوانهم على الشعوبِ المسلمةِ ، وقد أدركَ المعتدون ضعفَ الدولِ الإسلامية وخوَّفوهم بقولِ (مَنْ ليس معنا فهو علينا) فالتزمَ معظمُ الحكّامِ المسلمين الصمتَ ، وأعلن بعضُهم تأييدَهم للمعتدين ، وأعلن البعضُ القليلُ احتجاجَهم على العدوان ، ولكنه احتجاجٌ أجوفٌ لا يُقدِّمُ ولا يُؤخِّرُ ، وقد اعتاد على سماعه المعتدون !

ولهذا فإنّ المسلمين اليومَ في أشدِّ الحاجةِ إلى ظهورِ صلاحِ الدّينِ آخَرَ ، يُوحِّدُ كلمتَهم ويجمعُ صفوفَهم المبعثرةَ ويُعيدُ وحدتَهم الممزّقةَ ويبثُّ فيهم روحَ الجهادِ والفداءِ ، للدفاعِ عن الإسلامِ والمسلمين ، ولاستردادِ العزَّةِ والكرامةِ للعربِ والمسلمين .

فأين أنت يا صلاحَ الدّين ؟!.. ومتى تظهرُ ؟!.. وإلى متى سننتظرُ ؟!.. ولقد حان وقتُ ظهورِك .. **فلقد طالَ انتظارُك يا صلاحَ الدّينِ !!..**

لَوْ لَمْ أَكُنْ عَرَبِيًا !!..

لم يكن باختياري أن أكونَ عربيًا أو غيرَ عربيٍّ ، فالإنسانُ يُولدُ على الفطْرَة ، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يجعلانه مسلمًا .. وكذلك الإنسانُ عامَّةً ، فهو يُولدُ في بيئة معيَّنة لا دخلَ له فيها ، فإن وُلدَ في بلد عربيٍّ سُمِّيَ عربيًا ، وإن وُلدَ في انجلترا سُمِّيَ إنجليزيًا ، وإن وُلدَ في فرنسا سُمِّيَ فرنسيًا ، وإن وُلدَ في أمريكا سُمِّيَ أمريكيًا ، وهكذا .. إذن فليس بيد أحد يومَ ميلاده أن يختارَ ديانتَه أو جنسيتَه !!..

ويعيشُ الإنسانُ في البيئة التي وُلدَ فيها ، ويرتبطُ عاطفيًا بها ، ويشعرُ بالولاء والانتماء نحوها ، ويرثُ من قومه وعشيرته العادات والتقاليدَ والمبادئَ والقيمَ ، التي ورثوها هم أيضًا عن آبائهم وأجدادهم ، ولم يُفكّروا مجرّدَ تفكيرٍ أو يبحثوا مدَى صحَّتها أو موضوعيتها ، ثم يجدُ نفسَه تلقائيًا يتعصّبُ لما ورثَه من هذه العادات والتقاليد ، دون أن يُعطيَ عقلَه فرصةً للتفكيرِ ومراجعة وتحليلِ هذه العادات والتقاليد التي لم يكنْ له حريةُ الاختيارِ في أيٍّ منها !!..

وإذا كانت هذه الأوضاعُ مُلزمةً للإنسان في طفولته طبقًا لنشأته وتربيته وتأثّره بأهله وقومه وبيئته ، فهذا شيءٌ طبيعيٌّ لا غريبَ فيه .. أما أن يظلَّ الإنسانُ مقيَّدًا وملتزمًا بهذه الأوضاعِ بعد أن يكْبُرَ وينضجَ عقلُه ويعملَ فكْرُهُ ، فهذا مالا يُمكنُ القبولُ به ، ولا يتَّفقُ مع العقلِ المفكّرِ أو المنطقِ السليم .. إذ أنّ الإنسانَ الذي يحترمُ عقلَه ويُقدِّرُ ذاتَه لابدّ أن يُعيدَ النظرَ في كلّ ما حولَه ، وما يعتنقُه من معتقدات وأفكارٍ وما يتمسَّكُ به من عادات وتقاليد ، وما يُمارسُه قومُه من السلوكيات ، وما يُطبِّقونه من الأخلاقياتِ .. وبعد أن يُحلِّلَ ويُفكِّرَ بحُريَّة عقلٍ ونزاهة فكْرٍ ، عليه أن يُبْقيَ على

ما يُوافقُ عقلَه الواعيَ وفكْرَهُ المتحرّر ، وأن يرفضَ كلّ ما لا يقبلُه عقلُه ، حتى لو أغضبَ ذلك قومه وأهله .. وليكنْ للإنسان العاقلِ الأسوةُ الحسنةُ في ابراهيمَ عليه السلامُ ، الذي فكَّرَ بعقله فيما يفعلُه قومُه من عبادةِ الأصنامِ ، فأنكر ذلك رغم أنه لم يكنْ قد توصَّلَ إلى معرفةِ الله بعد .. ولم يسكتْ عند ذلك الحدِّ ، وإنما راحَ يُحطِّمُ تلك الأصنامَ في محاولةٍ لإقناعِ قومه بتصحيح معتقداتهم ، ولم يضعُفْ أمام تَهديداتهم ، وخاصَّةً بعد أن أعملَ عقلَه وعرفَ أن للكوْن إلهًا خالقًا قادرًا ومهيمنًا ، وأن هذا الإله هو الذي يجبُ أن يُعْبَدَ .. ولم يتزحزحْ عن موقفه حتى بعد أن أوثقوه بالحبال وألقوا به في النيران ، التي أمَرَهَا اللهُ تعالى أن تكونَ بَرْدًا وسلامًا على إبراهيمَ ، جزاءَ ثباته على الحقِّ والإيمان !!..

ولنا أيضًا القدوةُ الحَسَنَةُ في رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، الذي خيَّرَهُ قومُه بين أن يُعطوه ما يُريدُ من الأموالِ وأن يُملِّكوه عليهم وبين تَرْكه أمْرَ الدّعوةِ إلى الإسلامِ ، فثبتَ على الحقِّ وقال قوْلَته الشهيرةَ : (واللهِ يا عمُّ ، لو وضعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يساري ، على أن أتركَ هذا الأمرَ ، ما تركتُه حتى يُظهرَه اللهُ أو أهلكَ دونه !!..)

هذه أمثلةٌ رائعةٌ على الشجاعة في الثباتِ على الحقِّ واحترامِ العقلِ .. ويحكي التاريخُ عن نماذجَ طيبةٍ من الناسِ ، من الفلاسفةِ والمؤمنين الذين ثبتوا على الحقِّ الذي يُؤمنون به ، وفضّلوا الموتَ الكريمَ على العيْشِ المهينِ .. ولعلّنا نذكُرُ بلالَ ابنَ رَبَاحٍ ، الذي كان عبدًا حبشيًا ، الذي ظلَّ على إيمانه بوحدانية الله ، وتحمَّلَ من صنوفِ التعذيب ما لم يتحمَّلْه الكثيرون ممن كانوا معه ، وكلما زادوا في تعذيبه زادَ هو في كيدهم بقوْله : أحدٌ أحدٌ ، فكان جزاؤُه أن أصبحَ من العشرةِ المبشَّرينَ بالجنّة !!..

وكم من علماءِ الإسلامِ الصالحين الذين تصدَّوْا للحكّام الطغاةِ ولم يُوافقوهم على

ظلمهم ، بل وطالبوهم بمراعاة العدل في حكمهم وكفِّ الأذى عن شعوبهم ، ولم يخشَوْا في الله لَوْمَةَ لائم ، ولم يُرهبْهم بَطْشُ حاكمٍ ، وفي سبيلِ الحقِّ وإيمانهم باعوا دنياهم بأُخراهم ، وبكاملِ رضائهم !!..

إنني عربيٌّ وأفخرُ بعروبتي ، وأنتسبُ إلى النبيِّ العربيِّ ، وإلى الخلفاء الراشدين العرب وإلى السّلَف الصالحِ من العربِ ، ويُشرِّفُني أن أكونَ عربيًا مثلَهم .. أما عربُ اليوم ، فمعظمُهم" ولا أقولُ جميعُهم " ليسوا بعربٍ ولا يتخلّقون بأخلاقِ العربِ ، ولا يعرفون شهامةَ العربِ ، ولا يشعرون بغَيْرَة العربِ ، ولا ينتمون إلى أُخُوّة العربِ ، ولا يهتمّون بهمومِ العربِ .. فهم على الكراسيِّ والعروشِ يحرصون ، ولشعوبهم يظلمون ، وللشرفاءِ يَضطَهدون ، وللأموالِ يجمعون ، وبالكثيرِ منها على أولادهم وأحفادهم يُخصِّصون ويقسمون ، وبهذه الأموالِ إلى البنوكِ الأجنبية يُرسلون ويكترون ، وعلى فقراءِ العرب يبخلون ويُقتِّرون ، وفي صالاتِ السُّكْرِ والفسوقِ يسهرون ، وعلى رءوسِ المطربين والراقصات يُغدقون الأموالَ وينثرون ، ولنصرةِ العربِ والمسلمين المستضعفين يتخاذلون ، ولأعدائهم يُؤيِّدون ويُناصرون ، وعلى التوافهِ من الأمورِ يختلفون ويختصمون ، وفي أوقاتِ الشِّدَّة يتفرَّقون ، وعن إخوانهم يبتعدون وبأعداءِ العربِ يستنجدون ، وبقوّاتِ الاحتلالِ الأجنبيِّ يُرحِّبون ، وبالكوارثِ التي تنهالُ على العربِ لا يشعرون ، وللمؤامراتِ التي تُحاكُ ضدَّهم لا يُدركون ، ولْيَذْهَبْ غيرُهم من العربِ إلى الجحيمِ مادامُوا في العزِّ الخادعِ ينعمون ، وفي أحضانِ الأعداءِ يرتمون ، وهم بهذه الغفلةِ يهلكون ، وفي محيطِ النهايةِ يغرقون!!..

فهل تراني أفخرُ بانتسابي لهؤلاء المتغرّبين من العرب ؟!.. لا وألفُ لا .. لو فعلتُ ذلك ونسبتُ نفسي للعربِ ، لاستحققتُ عقابَ الأدبِ !!.. إذ لا يُشرِّفُني أن أنتسبَ إليهم ، ولا أن أكونَ واحدًا منهم .. ويُسعدُني أن أكونَ مصريًا أو فرعونيًا أو محمَّديًا

أو إسلاميًا ، ولكن لا يُسعِدُنِي أن أُسَمَّى " اليومَ " عربيًا ، مادامَ العربُ المتغرِّبون على حالِهم الْمُخزِي والمشين !!.. فإذا سألَنِي اليومَ سائلٌ : لو لم تكنْ عربيًا ، فماذا كنتَ تودُّ أن تكونَ ؟ فستكونُ إجابتِي :

لَوْ لَمْ أَكُنْ عَرَبِيًا لَمَا وَدِدْتُ "الْيَوْمَ " أَنْ أَكُونَ عَرَبِيًا !!!!!.

ممنوع الاقتراب أو التصوير .. ياللتخلّف !!

عجبًا عجبًا فوق عجب .. كأننا نقولُ إنّ الحجَّ في شهرِ رجب !!

إنني أعجبُ وأتعجبُ ، وأضحكُ ملءَ شَدَقَتَيَّ كلما رأيتُ على مبنىً حكوميٍّ تلك اللافتةَ التي كُتبَ عليها : (ممنوع الاقتراب أو التصوير) .. ويزدادُ العجبُ والتعجّبُ ، ويشتدُّ ضَحكي عندما أسيرُ في الطريقِ الصحراويِّ ، ثم أجدُ نفسَ اللافتاتِ التي تقولُ : (ممنوع الاقترابُ أو التصويرُ) .. وأتلفّتُ هنا وهناك لأرى ما يُخشَى عليه من الاقترابِ أو التصويرِ ، فلا أجدُ إلاّ رمالَ الصحراءِ المترامية وعلى مرمى البصرِ !! كما لا أجدُ جنودًا ولا حرّاسًا ليمنعوا الناسَ من الاقترابِ أو التصويرِ!!.. وأقولُ في نفسي : أإلى هذا الحدِّ توقّفت العقولُ وتجمّد الفكرُ ؟؟!!..

هل نَسيَ المسئولون الذين يأمرون بوضعِ هذه اللافتاتِ ، أننا دخلنا الألفيةَ الثالثةَ بما فيها من قمّةِ التكنولوجيا ، وأنه لم يَعُدْ صعبًا على الجواسيسِ أن يُصوّروا ما يُريدون ، دون حاجةٍ إلى الاقترابِ أو حَمْلِ كاميراتِ التصويرِ ؟؟!!..

أقولُ للمسئولين الذين يخافون على أمنِ الوطنِ ، ويُعلّقون هذه اللافتاتِ التي تُحذِّرُ من الاقترابِ أو التصويرِ .. إنّ إسرائيلَ " وهي عدوُّنا اللدودُ ، لم يَعُدْ صعبًا عليها أن تعرفَ أسرارَنا، لأنّ الطائراتِ الأمريكيةَ تقومُ بتصويرِ المنطقةِ الحدوديةِ ومنزوعةِ السلاحِ بيننا وبين إسرائيلَ ، وفقًا لمعاهدةِ السلامِ .. كما يجبُ ألا ننسى أنّ إسرائيلَ تتجسّسُ على مصرَ من خلالِ سفارتِها في القاهرةِ ، ومن خلالِ المركزِ

الأكاديميّ الإسرائيليّ ، ومن خلال شركاتها داخل مصر ، ومن خلال شركة العال للطيران ، وشركات السياحة وغيرها ، ومن خلال الخبراء الزراعيين الإسرائيليين الذين استقدمتهم وزارةُ الزراعة المصرية ، سواءً بحسن نية أو عن سوء قصد (الله أعلمُ) فراح هؤلاء الخبراءُ (أو الجواسيسُ على الأصحّ) يُصوِّرون ما يشاءون . فضلاً عن تسميمهم أرضنا الخصبة حتى ضعفتْ وهبط معدلُ إنتاجها ، وتقهقرَ قطنُنا وخُلِعَ من على عرشه ليسبقَه القطنُ الإسرائيليُّ .

ويجبُ أيضًا أن نعلمَ أنَ شبكةَ الأقمارِ الأمريكية للتجسّس الموجودة في الشرق الأوسط وعددُها ١٦ قمرًا أمريكيًا تُعطي لإسرائيل صورًا يوميةً لكلّ التحركات التي تحدثُ في جميع الدول العربية ، ولنتذكّرْ أن هذه الأقمار الأمريكيةَ هي التي ساعدتْ إسرائيلَ في حرب ١٩٧٣ وأرشدتْها إلى موقع الثغرة (ثغرة الدفرسوار) التي كانت بين الجيشين الثاني والثالث ، فاستطاعت عبورَ القناة وحصارَ مدينة السويس .. كما لا يستطيعُ أحدٌ أن يُنكرَ أنَّ إسرائيلَ تتميّزُ بتقدّم تكنولوجيّ رفيعِ المستوى مكّنها من إنتاجِ وإطلاقِ الأقمارِ الصناعية ، ولابدّ أن نعترفَ بأنّ هناك فجوةً كبيرةً بيننا وبين إسرائيلَ في هذا المجال .

ولعل المسئولين في مصرَ وفي جميع الدول العربية قد قرأوا (إن كانوا يقرأون) وفهموا (إن كانوا يفهمون) وتذكّروا (إن كانوا لا ينسون) أنّ إسرائيلَ أطلقتْ في الثامنِ والعشرين من مايو ٢٠٠٢م قمرَ التجسّس (أفق – ٥) الذي يُمكِّنُها من استعادة قدرتها على تلقّي الإنذارِ المبكّر ضد أيّ تحركات للجيوشِ العربية ، والتجسّس عليها ، ويستطيعُ هذا القمرُ أن يُصوِّرَ بوضوحٍ كاملٍ أيَّ جسمٍ طولُه مترٌ واحدٌ فقط ، مما يُمكّنُ إسرائيلَ من رصد أيّة عملية للانتشارِ العسكريِّ في أيّة دولة

عربية ، كما سيتيحُ هذا القمرُ لإسرائيلَ متابعةَ برامجِ تطويرِ الصواريخِ الباليستيةِ في كلٍ من إيرانَ وباكستان ، فما بالُكم بجيرانها الأقربين ؟!..

ألا يُعتبرُ هذا القمرُ إنذارًا للحكّامِ العربِ ، الذين أُغلقَتْ أعينُهم وصُمَّتْ آذانُهم ، وراحوا يغطّون في نومٍ عميقٍ ؟!.. ألا يحلمون باختيارٍ آخرَ غيرِ الاختيارِ الذي يُسمّونه الاختيارَ الاستراتيجيَّ للسلامِ أو (الاستسلامِ) ، وقد نَسَوْا أنّهم أمام عدوٍ شرّيرٍ لا يؤمنُ بالسلامِ ولا يُفكّرُ إلاّ في القضاءِ على العربِ وتدميرِ قدراتهم تمامًا حتى لا تقومَ لهم قائمةٌ ، وحتى تُحقّقَ إسرائيلُ ما تحلمُ به من إنشاءِ دولتهم من الفراتِ إلى النيلِ ، التي صوّروها على الخريطةِ المعلَقةِ بوضوحٍ في مبنى الكنيست الإسرائيليِّ ، والتي يشرحُ معناها العلمُ الإسرائيليُّ ، الذي يضعُ نجمةَ داودَ بين خطّين زرقاوين يُمثلان نَهرين هما نَهرا النيلِ والفراتِ ؟!..

أنا لا أبالغُ في تصويرِ قوّةِ إسرائيلَ على أنها أسطورةٌ لا تُقهرُ ، ولكني أريدُ أن أُحذّرَ من تقليلِ قدراتها العسكريةِ والتكنولوجية ، وأحذّرَ من خطورتها ، كما أُحذّرُ من استمرارِنا في سياسةِ اللامبالاةِ التي أودتْ بنا إلى ما نحن فيه اليومَ من عجزٍ عن نصرةِ إخواننا في فلسطينَ . وأودُّ أن أُذكّرَكم بأن القمرَ الصناعيَّ الإسرائيليَّ قادرٌ على التقاطِ أرقامِ السياراتِ الموجودةِ في عواصمِ الدولِ العربية ، ومن بينها القاهرةُ .. كما يُوفّرُ هذا القمرُ لإسرائيلَ إمكانيةَ رصدِ أماكنِ تحركاتِ القواتِ العربيةِ البريةِ والجويةِ والبحريةِ والصاروخيةِ والدفاعاتِ الجوية ، ومتابعةَ مراكزِ القيادةِ والسيطرةِ السياسيةِ والاستراتيجيةِ والتعبوية ، وأهدافَ البنيةِ العسكريةِ في آخرِ لحظةٍ قبل توجيه ضرباتها بدقةٍ عالية (وهذا ما ذكره اللواءُ حسام سويلم الخبيرُ العسكريُّ والاستراتيجيُّ في جريدةِ الوفدِ الصادرةِ يوم الخميسِ الثالث عشرَ من يونيو ٢٠٠٢م) وتحاولُ إسرائيلُ

الاستقلال عن الولايات المتحدة الأمريكية في مجال المخابرات والاستطلاع ، فرغم ما تلبيه اتفاقياتُ التعاون الاستراتيجيّ المتتاليةُ بين إسرائيلَ والولايات المتحدة ، والمبرمةُ منذ عام ١٩٨١ وحتى اليوم من احتياجات إسرائيلَ المعلوماتية ، بما في ذلك حصولُها على الصور الفضائية التي تحصلُ عليها أقمارُ التجسّس الأمريكيةُ ، إلاّ أنّ إسرائيل تريدُ أن تُؤمِّنَ لنفسَها استقلاليةً كاملةً في هذا المجال ، خشيةَ أن يأتيَ يومٌ تمنعُ فيه واشنطنُ عنها بعضَ المعلومات التي تحتاجُها لتلبية متطلبات مخططها الاستراتيجيِّ ، وهو الأمرُ الذي دفع إسرائيلَ إلى التجسّس على أمريكا نفسِها ، كما حدث في قضية (جوناثان بولارد) .

ألا يدعونا كلُّ ذلك إلى أن نتوقفَ قليلاً عن الكلام ، وأن نبدأَ كثيرًا في العمل ، فكثيرًا ما تكلمنا وانهزمنا ، وكم شجبنا ولم يهتم لشجبنا أحدٌ ، وكم صرخنا ولم يسمعْ صراخَنا أحدٌ ، وكم هتفنا ولم تنصرنا الهتافاتُ ، وكم رفعنا من الشعارات . ولعلنا نذكرُ اللاءات الشهيرةَ التي كانت تقولُ : لا صُلحَ ولا اعترافَ ولا مفاوضات ولا مرورَ من قناة السويس .. وأصبحنا بعد خمسين عامًا نستجدي العالَمَ كلَّه حتى توافقَ إسرائيلُ على العودة إلى حدود ما قبل الهزيمة النكراء عام ١٩٦٧ ، ومع ذلك ترفضُ إسرائيلُ ، ولا يستطيعُ أحدٌ أن يُجبرَها ، فلا أمريكا بقيادة بوش المساند والمؤيِّد لوحشية ودموية شارون السفاح ، ولا الأممُ المتحدةُ التي أصبحتْ أداةً في يد إسرائيلَ من خلال أمريكا ، ولا دولُ أوروبا وآسيا التي تتفرجُ على ذبح العجول ولا تجرؤُ أن تحتجَّ على الجزّار !!..

يابئسَ الأنام والنيام .. ألا تستحون ، أو من الله تخافون ؟!.. أم أنكم ستظلون في الغفلة تغطّون ، وبرءوسكم في الرمال تدفنون ؟!.. هل مازال يحلو لكم بعد كلِّ هذا التحذير ، أن ترفعوا لافتات (ممنوع الاقترابُ أو التصويرُ) ؟؟!!..

أَغِـــثْـــنَـــا... يَا اللهُ !!..

لم يَعُدْ لنا مَنْ نستغيثُ به مِنْ هَوْلِ ما نحن فيه إلاّ أنت ياالله !!..

لقد تكالَبَتْ قُوَى الشّرِ علينا ، كما أخبرنا نبيُّنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم في حديثِه الشريفِ حين قال : (**يُوشِكُ أَنْ تَتَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ كَمَا تَتَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِها ، قالوا : أَوَ مِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئذٍ يَا رَسُولَ الله ؟! قَالَ : لاَ ، بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ**) !!..

وصدق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فالمسلمون اليوم فاق تعدادُهم المليارَ من البشرِ ، ولكن لا قيمةَ لكثرتِهم ، فهم متفرّقون ومختلفون ، وعلى الأموالِ والكراسيِّ والعروشِ يحرِصون ، وفي الفسادِ منغمسون ، وللأعداءِ يُصادقون ومعهم يتحالفون ، ولإخوانِهم في المِحَنِ يخذلون ولا ينصرون !!..

ليس لنا ملجأٌ نُهرولُ إليه للنجاةِ إلاّ إليك يا اللهُ !!..

إنّ لك في كلِّ أمرٍ حكمةً لا يعلمُها إلاّ أنت !!.. لقد كان في علمك منذ الأزل أنه ما من أمّةٍ تُؤتَمَنُ على دينِها إذا استُحْفِظَتْ عليه .. فاليهودُ قد استُحْفِظُوا على التوراةِ

فحرّفوها ، والنصارى قد استُحْفظُوا على الإنجيلِ فحرّفوه .. ولما كان القرآنُ خاتمَ الكتب السماوية إلى أن تقومَ السّاعةُ ، فإنك بحكمتك لم تستحفظْ المسلمين عليه كي لا يُضيِّعوه أو يُحرِّفوه ، وتكفّلتَ يا اللهُ بحفظه في قولك الحقِّ : [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] ٩ الحجر

ولهذا لم يستطعْ أحدٌ على مدَى التاريخ أن يُحرِّفَ القرآنَ ، وكانت كلُّ محاولةٍ لتحريفِه تبوءُ بالفشلِ ، لأن الذي تكفّل بحفظِه هو اللهُ الذي أنزله !!..

إنّ ما يجري حولنا ، وما آل إليه حالُنا ، وما نراه مما يُؤذينا ، هو نتيجةُ ما عملتْه أيدينا ، ومن تخاذلنا وتراخينا .. ولأننا نسيناك يا اللهُ فأنسيْتَنا أنفسَنا ، فحادتْ عن الحقِّ قلوبُنا وعميتْ عن الصواب أعينُنا وصُمَّتْ عن الصرخاتِ آذانُنا ، وهُنَّا على أنفسنا فهُنَّا على أعدائنا ، وانكسرتْ شوكتُنا ، وضعفتْ قوتُنا وتمزّقتْ وحدتُنا .. وسبحانك يامن قلتَ : [وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] ١٩ الحشر وكأننا نسينا قولَك الحقَّ : [يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ] ٧ محمد

أغثْنا يا اللهُ ، والطفْ بنا !! ونجّنا من شرِّ الحكّامِ المتخاذلين !!.. والأصدقاءِ المتآمرين !!.. لقد تألّمَتْ الأجسادُ في المضاجعِ ، وجفّت العيونُ في المدامعِ ، ودوَّت الصرخاتُ في المسامعِ .. ولا سميعَ ولا مُجيبَ !!..

أين لنا بمثلِ أميرِ المؤمنين عمرَ ابنِ عبدِ العزيزِ ؟! الذي عرف بأنّ رجلاً مسلمًا واحدًا قد أُسِرَ في دولةٍ من الدولِ ، فأرسل إلى ملكِ تلك الدولةِ قائلاً : إذا لم تُفْرِجْ

عن الرجلِ المسلمِ فورًا ، فسأُرسلُ إليك جيشًا أوّله عندك وآخرُه عندي ، فأفرجَ الملكُ عن الرجلِ فورًا !!.. وأين لنا بمثلِ أميرِ المؤمنين المعتصمِ بالله ابنِ هارون الرشيد ، الذي سمع عن امرأة مسلمة أسيرة في مدينة " عمّورية " وقد لطمها رجلٌ ، فصاحتْ قائلةً : وامعتصماه !! فأمرَ المعتصمُ بتجهيزِ جيشٍ من اثنيْ عشرَ ألفًا ، وتوجّه إلى عموريةَ وحاصرها حتى فُتحَتْ له ، وأطلق سراحَ المرأةِ المسلمة وملّكها الرجلَ الذي أسرها والرجلَ الذي لطمها !!..

هذه هي نخوةُ الحكّامِ المسلمين الذين يعرفون مسئوليةَ الدفاعِ عن الإسلامِ والمسلمين ، أما في هذا العصرِ الأغبرِ ، فقد ابتُلينا في العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ ببعضِ الحكّامِ الذين لا يعرفون لهذه النخوةِ معنىً ، ولا لمسئوليةِ الحكمِ الإسلاميِّ فهمًا ، وعلى الله العوَضُ ومنه العوَضُ !!..

أغثْنا ياالله !!.. فإن لم تُغثنا فلن يُغيثَنا ملكٌ ولا رئيسٌ ولا أميرٌ ، فهؤلاء قد شغلتهم الدنيا ، وأنستهم الآخرةَ ، هؤلاء نَسُوا اللهَ فأنساهم أنفسَهم ، ونَسُوا أن لهم يومًا سيقفون فيه أمام الله ، لا يشفعُ لهم مُلْكٌ ولا مالٌ ولا سُلْطَانٌ ، ولهم الخزْيُ في الدنيا والآخرة ، فليفرحوا قليلاً ، فسوف يندمون ، وعن كلِّ شعوبهم سوف يُسْأَلُون [وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ولاَ يَسْتَقْدِمُون] " ٣٤ الأعراف "

لقد بُحّتْ أصواتُنا ، وكُتِمَتْ صرخاتُنا ، وضاقتْ صدورُنا ، ولن نستغيثَ بملك ولا برئيسٍ ولا بأميرٍ ، فما هؤلاء إلاّ جماعةٌ من الأشقياء !!.. ولن يتغيّرَ واقعُنا الْمُرُّ إلاّ بمعجزةٍ من الله ، وصدق اللهُ إذ يقولُ : [أَزِفَت الآزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ] " ٥٧-٥٨ النجم !!..

كلمةٌ لابدَّ من قوْلِها !!..

هذه الكلمةُ لم يكنْ في نيّتي أن أكتبَها ، ولم تخطرْ على بالي ، إلاّ بعد أن انتهيتُ من كتابة موضوعات كتابي هذا (صَرَخَاتٌ فِي الْهَوَاءِ الْمُلَوَّث) كلّه بنفسي على الكمبيوتر ، أثناء إقامتي في كاليفورنيا بالولايات المتحدة ، التي امتدّت إلى خمسة عشرَ شهرًا .. وما دفعَني لكتابتها ، أنّ بعضَ الإخوة من المصريين المغتربين في أمريكا قالوا لي وهم يعتقدون أنّهم ينصحونني ويُشفقون عليّ : إننا ننصحُك بأن تحذفَ بعضَ موضوعات هذا الكتاب ، وخاصّةً تلك التي تتعلّقُ بالرئيس مبارك ، وسياسة الحكومة المصريّة ، حتى لا تُعرِّضَ الكتابَ للمصادرة ومنع نشره ، بعد أن تُنفقَ الكثيرَ في تكاليف طبعه ، وحتى لا تُعرِّضَ نفسَك للمساءلة والمتاعب مع الأجهزة الأمنيّة ! وقالوا أيضًا إنّهم يسمعون من القادمين من مصرَ ، ويقرأون في الصحف العربية التي تصدرُ في بعض الولايات الأمريكية ، أن الحكومةَ المصريةَ لا تسمحُ بنشر النقد السياسيِّ الذي يتعرَّضُ لسياسة الحكومة ، أو لمواقف الرئيس مبارك !

فعجبتُ لهذه المفاهيم الخاطئة والسائدة لدى الكثيرين ، وذلك بسبب السّموم التي يبثُّها بعضُ الحاقدين من المغتربين ، وبعضُ أصحاب الأقلام المشبوهة من الكتّاب التي تقطرُ كتاباتُهم سُمًّا زُعافًا ، ويشنّون حملات ضاريةً على مصرَ وحكومتها وقيادتها ، افتراءً وظلمًا وبُهتانًا ! ومما أصابني بالذهول ، وجعلني أشعرُ بالحزن والأسى ، أنّ بعضَ من ينشرون هذه السّمومَ ، من المصريين ! كما رأيتُ التساؤلات الصامتةَ على وجوه المصريين الشرفاء المخلصين لبلدهم ، المشفقين عليها ، وكأنّهم يقولون : هل ما نسمعُه وما نقرأُه صحيحٌ ؟!

وكان لابدَّ أن أُقنعَهم بأنّ مايسمعونه من هذه السّموم إنما هي محضُ افتراءات

وأكاذيب ، يُرادُ بها تسميمُ الأفكارِ وتشويهُ صورةِ المجتمعِ المصريِّ ، والإساءةُ إلى حكومةِ مصرَ وقيادتها ، وأنّ هؤلاء الحاقدين يريدون إشاعةَ أنّ القيادةَ المصريةَ تكمِّمُ الأفواهَ ، وتقصفُ الأقلامَ الحرّةَ والصادقةَ التي تنتقدُ الأوضاعَ ، وتزجُّ بأصحابِها في السجونِ والمعتقلاتِ بلا محاكماتٍ !

وكان هؤلاء المصريون المخلصون ، الحائرون ، المتعطشون لمعرفة الحقيقة ، كانوا معذورين في حيرتهم وتساؤلاتهم ! فقد رأيتُ وسمعتُ بنفسي أحدَ هؤلاء الحاقدين ، وكان يتحدّثُ في أحد برامجِ قناة (الجزيرة) التليفزيونية ، وهو أحدُ الكتّابِ المصريين المغتربين الفاشلين ، والممتلئين بالعُقَد ومركّباتِ النقصِ ، وظلَّ يصبُّ جامَّ حقده وأكاذيبَ لسانه الكريه ، على بلدنا مصرَ ، التي لم يُثمرْ فيه عطاؤُها ، وكأنه لم يأكلْ من طعامها ولم يشربْ من مائها ، ولم يستنشقْ يومًا من هوائها ! وراح يُلقي بلُعَابه القميءِ وبما يسيلُ من فيه من صديد ، ويُعلنُ في تشنّجٍ وتبجّحٍ بأن اضطهادَ المسيحيين في مصرَ يُمارَسُ بأبشعِ الصّورِ ، وأن جميعَ المسلمين ماهم إلاّ إرهابيون مجرمون وقتلةٌ وسفّاحون ، وأنه لولا تدخّلُ أمريكا وضغوطُها على القيادةِ المصريةِ ، لقضَى المسلمون في مصرَ على جميعِ المسيحيين الموجودين فيها ، وعندما اعترض مقدِّمُ البرنامجِ على تصريحاته ، وذكرَ له أن البابا شنودةَ نفسَه يُعلنُ بين الحينِ والآخَرِ ما يُكذّبُ كلامَه ، قال الحاقدُ بصراخٍ كأنه ينهَقُ أو ينبحُ أو يعوي : إن البابا شنودةَ وغيرَه مُكَمَّمَةٌ أفواهُهم ، ولا يستطيعون قولَ الحقيقة ، خوفًا من بطشِ الحكومة .

ونسيَ هذا الحاقدُ أنّ البابا شنودةَ كان دائمًا من الشخصيات المصرية الوطنية والشُّجاعة ، الذين يُعبِّرون عن رأيهم بكلِّ صدقٍ وشجاعة ، دون خوف من أحد ، كما نسيَ هذا الحاقدُ والموتورُ أنّ البابا شنودةَ كان معتَقَلاً في أواخرِ أيامِ الرئيسِ الراحلِ أنورَ السادات ، وأن الذي أطلقَ سراحَه وأخرجَه من الاعتقال هو الرئيسُ

مبارك ، كما أفرجَ عن جميعِ المعتقلين السياسيين ، الذين اعتقلهم الساداتُ ، وتركَ لهم حريّةَ التعبيرِ، التي مازالوا يُمارسونها حتى اليوم ، وإذا كانت عينا هذا الحاقد لا ترى ، وعقلُه لا يفهمُ ، فليتصفّحْ الجرائدَ المصريةَ التي تصدرُ هذه الأيام ، وخاصّةً جرائدَ المعارضة التي توجّهُ انتقاداتها إلى كلّ ما يستوجبُ النقدَ ، ويكتبُ الصحفيون والكتّابُ آراءَهم وبكاملِ الحريّة دون أن يقصفَ أحدٌ لهم قلمًا ، أو يُصادرَ صحيفةً ، أو يعتقلَ صاحبَ رأيٍ حرٍّ ، ينتقدُ ولا يهدمُ ، ينصحُ ويُبيّنُ الحقائقَ ولا يُثيرُ الفتَنَ .. فإذا كانت عينا هذا الحاقد عمياوتين ، وفهمُه متخلّفًا ، وإحساسُه نحو بلده متبلّدًا ، فهذا ليس ذنبَنا ! وليعرفْ هذا الحاقدُ أن كلّ من سمعه أو رآه في ذلك البرنامجِ ، لم يشعرْ إزاءه إلاّ بالازدراءِ والاحتقارِ !

وإني لأستنكرُ من قناة (الجزيرة) التي نحبُّها ونحترمُها ، أن تسمحَ لمثلِ هذا الحاقد والموتورِ وأمثاله أن يتطاولَ على مصرَ وقيادتها وشعبها بهذا الشكلِ القذرِ ، دون أن يكونَ في نفسِ البرنامجِ أحدُ المصريين الشرفاءِ القادرين على التصدّي لمثلِ هذا الموتورِ، لكي يردَّ على افتراءاته وأكاذيبه ، ويتصدّى لحقده وتعصّبه الأعمى ! ولابدَّ للمسئولين في قناة (الجزيرة) أن يُراعوا ضرورةَ الالتزامِ بحد أدنى من آداب الحديث لكلّ من يُسمَحُ له بالتحدّث في برامجها ، حتى ولو أدّى الأمرُ إلى إنهاء الحلقة ! حتى لا تتحوّلَ هذه البرامجُ إلى صورٍ من البذاءات السّوقية التي يتبادلُها السّفلةُ في الطرقات والأسواق ، التي لا يحكمُها عُرْفٌ ولا آدابٌ ولا أخلاقٌ ، وحتى لا يُؤثّرَ ذلك في تقديرنا لمكانة قناة (الجزيرة) واحترامها في نفوسنا !!

ولم يكن أمامي لكي أُطَمئنَ المصريين المغتربين الشرفاءَ ، وأصحّحَ أفكارَهم ، وأتصدّى لهذه الإشاعاتِ الكاذبةِ والمغرضةِ ، إلاّ أن أقولَ لهم : لقد قرأتم بأنفسكم كتابيَ السابقَ

الذي صدرَ بعنوان ، (صَرْخَاتٌ مَكْتُومَةٌ) ورأيتم ما فيه من النقد السياسيِّ والاجتماعيِّ ، ومع ذلك لم يتعرَّضْ أحدٌ للكتاب ولا لشخصي ! أليس هذا دليلاً على كذب تلك الادّعاءات والأكاذيب ؟! ومع ذلك سأُثبتُ لكم باليقين ، كذبَ هذه الادّعاءات ، بأن أُسافرَ إلى مصرَ وأطبعَ هذا الكتابَ بكلِّ ما فيه ، ولن أحذفَ منه كلمةً واحدةً ، وإن شاء اللهُ ، سأعودُ إليكم بعددٍ من النُّسَخِ منه ، وأهديها إليكم وإلى أولئك الحاقدين ، لعلّهم يخرسون ، ولعلّكم تقطعون ألسنتَهم ، ولا تُصدِّقونهم في شيءٍ بعد ذلك ، ولتكونوا لسانَ صدقٍ ودفاعٍ عن سمعةِ بلدكم وشرفِ وسماحةِ شعبها ، وتنشروا الحقائقَ التي تمحون بها تلك الافتراءاتِ والأكاذيبَ !
وموعدُنا معكم إن شاء اللهُ ليس ببعيدٍ ، وإنّ غدًا لناظرِه لقريبٌ !!

والحمدُ لله ! فقد صدقَ وتأكّدَ ظنّي ، وطُبِعَ الكتابُ بالكاملِ ، ولم يُحذَفْ منه شيءٌ ، وأهديتُ نسخًا منه إلى كثيرٍ من كبارِ المسئولين في مصرَ ، ومنهم بعضُ الوزراءِ وكبارِ الضباطِ ، ومع ذلك لم يتعرّضْ الكتابُ للمصادرةِ أو منعٍ للنشرِ ، كما لم يتعرّضْ أحدٌ لي بأيِّ لومٍ أو مساءلةٍ ، أو حتى مجرّدِ عتابٍ ، وإن شاء اللهُ سأجعلُ من هذا الكتابِ (حصوةَ ملحٍ) في أعينِ الكاذبين والحاقدين ، والعملاءِ من المغتربين !!

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهـــــداء	٣
المقدمة	٤
١ – برافو ياريّس	٦
٢– شكرًا لشارون .. وشكرًا لبوش !!	٨
٣– بكلّ الصّدق والحبّ من مواطن ، إلى السيد رئيس الجمهورية	١٠
٤– الفتن الطائفية .. إلى متى ؟!	٢١
٥– أربعة لا أمان لها	٢٤
٦– إسرائيل.. حمامة السلام .. يا سلام !!	٣٢
٧– جاوز الظالمون المدى	٣٦
٨ – الناس اللي فوق .. والناس اللي تحت	٣٩
٩ – آخر فكرة .. لمصطفى أمين	٤٤
١٠ – ليــه متــغــرّب ؟!	٤٧
١١ – لسانك مفتاح الهلاك أو النجاة	٥١
١٢ – صــاحب مبــدأ	٥٦
١٣ – الدعوة الإسلامية وتحدّيات اليوم	٥٩
١٤ – الشفاء من السحر	٦٤
١٥ – قد ترى الخير في باطن الشر	٧٠
١٦ – الاستشارة والاستخارة	٧٤
١٧ – الإرادة والتدخين	٧٨
١٨ – يا نقابة المعلمين .. هل من مزيد ؟؟!!	٨٢
١٩ – إن الإنسان لفي خُسْرٍ	٩٠

٢٠- يارجال المرور .. ارحموا الجمهور !! ٩٦
٢١ - العتبة الخضرا ١٠٥
٢٢ - أيـــن هو الوفـــاء ؟! ١١١
٢٣ - قانون إجراءات .. والحق قد مات ١١٧
٢٤ - استيقظ أيها الوعي المدفون ١٢٢
٢٥- زوجاتٌ فائزاتٌ وأُخرى خاسراتٌ ١٢٨
٢٦- مصر يا بلدي ١٣٢
٢٧- الأصالةُ المصريةُ مازالت بخيرٍ ١٣٣
٢٨- الأناني ١٣٧
٢٩- برُّ الوالدين .. كنزٌ للدارين ١٣٨
٣٠- دعوهم .. ليأكلوا من حلال ١٤٢
٣١- أميرُ الشارعِ المصريِّ ١٤٦
٣٢- حسنة قليلة ١٤٩
٣٣- أدركوني .. أو اقتلوني ١٥١
٣٤ - الإسلام دينُ رحمةٍ وليس دينَ إرهاب ١٥٦
٣٥ - المسلمون يتزايدون في أمريكا بعد الهجمات ١٦٤
٣٦- مسلسل اضطهاد المسلمين في الهند ١٦٦
٣٧- المقاطعة .. هي أضعفُ الإيمان ١٧٢
٣٨- لقد طال انتظارُك يا صلاحَ الدّين ١٧٩
٣٩- لو لم أكنْ عربيًا ١٩٠
٤٠- ممنوع الاقتراب أو التصوير ..ياللتخلّف.................. ١٩٤
٤١- أغثْنَا يا اللهُ !! ١٩٨
٤٢- كلمةٌ لابدَّ من قولِها ! ١٩٥
الفهرس ٢٠٥

الكاتب في سطور :

- من مواليد القاهرة عام ١٩٣٦- وحصل على دبلوم المعلمين الخاص عام ١٩٥٨ ، والدراسات التدريبية التكميلية بكلية المعلمين عام ١٩٦٤ ، وتخرّج في معهد الإعداد والتوجيه بجامعة الأزهر عام ١٩٦٥ - درس البرنامج التدريبي لمعلمي اللغة الإنجليزية بالجامعة الأمريكية عام ١٩٧٤ .
- شارك في العمل الفدائي ضد الإنجليز في منطقة القنال عام ١٩٥١ ، ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره ، وشارك في نفس العمل الفدائي عام ١٩٥٣ ، كما شارك في مقاومة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .
- عمل مدرسًا للغة الإنجليزية في محافظتي الدقهلية والقاهرة منذ عام ١٩٥٨ - وتدرّج في وظائف التربية والتعليم حتى أصبح مديرًا لإدارة التعليم الخاص بإدارة عابدين التعليمية بالقاهرة .
- شارك في العمل النقابي منذ عام ١٩٦٤- وأصبح نقيبًا للمعلمين في إدارة عابدين التعليمية في دورة عام ١٩٩٣ ، وفي دورة عام ١٩٩٧ ، وفي دورة عام ٢٠٠٠ .
- كان أوّل من حصل على لقب " المعلم المثالي " في مصر عام ١٩٦٥، في محافظة الدقهلية - وحصل على لقب " المعلم المثالي " على مستوى الجمهورية عام ١٩٧٤ .
- نال تكريم وزارة التربية والتعليم باعتباره من الروّاد الأوائل للتعليم ، في أعوام ١٩٩٦ و ١٩٩٧ و ١٩٩٨ و ١٩٩٩ و ٢٠٠٠ - كما نال تكريم نقابة المهن التعليمية باعتباره من روّاد العمل النقابي في أعوام ١٩٩٦ و ١٩٩٧ و ١٩٩٨ و١٩٩٩ و ٢٠٠٠ .
- مارس فن التمثيل والإخراج المسرحي لعدّة سنوات - وحصل على جائزة التفوّق الممتازة في التمثيل الصامت من جامعة عين شمس عام ١٩٥٨- وقدّم عدّة عروض مسرحية من تأليفه وإخراجه بمدينة " مرات " بالمملكة العربية السعودية بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٠ - وكتب العديد من القصص والمسرحيات والأغاني والأزجال - وكتب عدّة مقالات في بعض الجرائد والمجلات المصرية ، وفي جريدة " صوت السلام " وجريدة " بلادي " في ولاية نيو جيرسي بالولايات المتحدة الأمريكية .

- من مؤلفاته :كتاب " نهاية إسرائيل في القرآن الكريم – بين النبوءة والأرقام " –وكتاب" دمار أمريكا قادم قادم – في الكتب السماوية " – وكتاب " صرخات مكتومة "– وكتاب " صرخات في الهواء الملوّث "

(كُتُب تحت الطبع للمؤلف)

للشـُـرفَاء فَـقَــطْ ! ! ..(مجموعة قصصيّة)– الْمُتَفَوِّقُونَ في مَدْرَسَة مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ .. (الثمن مُدَعَّمٌ)– عَــرَفْـــتُ اللّـــهَ ، فَــأَحْــبَـبْــتُــه !!..(الثمن مُدَعَّمٌ)– التَّيْسِيرُ مَأْرَبِي .. في تَفْســيرِ الْقُــرْطُبِي .. (الثمن مُدَعَّمٌ)– الْهِدَايَةُ وَالنَّجَاةُ .. في أَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ... (الثمن مُدَعَّم)

ترقبوا الكتب الجديدة للمؤلف :

للشرفاءِ فقط !!.. ....(مجموعة قصصيّة) .

المتفوقون في مدرسة محمدٍ بن عبدِ الله (الثمن مُدَعَّم)

عَرَفْــتُ اللهَ فَأَحْــبَبْــتُهُ .... (الثمن مُدَعَّم)

التيسيرُ مأربي في تَفْسيرِ الْقُرْطُبِي .... (الثمن مُدَعَّم)

الْهِدَايَةُ وَالنَّجَاة ، في أَحَاديث رَسُولِ الله .(الثمن مُدَعَّم)

هذا هُوَ الإِسْلاَمُ (الْمُفْتَرَى عَلَيْه) " باللغتيْن العربية والإنجليزية " (الثمن مُدَعَّم)

 " الطبعة الأولى "

رقم الإيداع : ١٥٠٨٤/ ٢٠٠٢